رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية.. والخروج

غطاس عبد الملك الخشبة



دار الهلال

رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج

بقلم
غطّاس عبد الملك الخشبة

دار الهلال

نقدم هذا الكتاب الفريد ، عن تلك الرحلة التاريخية التى شغلت أفكار الكثيرين من العلماء وأصحاب التاريخ والمصريات ، نرجو أن نكون قد استوفينا أنحاءها جميعا ، وأن يكون القول فى ذلك قد كشف كثيرا من الغموض الذى أحال القصة إلى ما يشبه الأساطير ، وأن يكون هذا أقصى ما يمكن أن يحيط بأطرافها فى كتاب .

المؤلف

راجع النصوص عن التوراة الأنبا غـريغوريـوس أستـاذ البحث العلمى بالبطريركية المرقسية بالقاهرة

تصدير

بقلم : د . إبراهيم أحمد رزقانة

هذا الكتاب الممتع إنما يروى لنا قصة شعبية تتصل بتاريخنا الدينى والسياسى ، بل ويتعرض فى بدايتها إلى نشأة الإنسان على الأرض ، وتلك قصة معروفة سبق أن اختلف القول فى مضمونها من حيث الشكل وترتيب الحوادث ، غير أن المؤلف هنا جمع أطرافها ونظمها فى تسلسل يدفع الناظر فيها لأن يتخيلها كاملة .

والمعروف أن بعض القصص ، من هذا القبيل ، قد لاترقى إلى المستوى الموثق بالتاريخ العام الذى يناقش الموضوعات دون حساسية فى الدين أو فى القومية ، فتبدو لذلك فى حاجة ماسة إلى التحقيق فى بعض أجزائها .

ومن ذلك مااستعرضه المؤلف فى بداية الكتاب عن خلق الإنسان وحادثة الطوفان ، فتساءل : هل البشرية من أصل واحد منذ البدء من لدن آدم ، أم أنه تجدد مرة أو أكثر ؟ ، بمعنى : هل الإنسان ينتمى إلى آدم الأول ، أو إلى أكثر من آدم واحد ؟

وهذا الموضوع نظر فيه علماء التاريخ الطبيعى للأجناس البشرية ، وقالوا بما جاءت به الأديان فى صراحة لاتقبل الشك ، وهو أن الإنسان إنما يرجع إلى آدم الأول الذى نشأ وتسلسل حتى الآن فى مجموعة الأجناس البشرية بألوانها وعاداتها وعقائدها .

وينبغى أن نؤكد أن مناقشة القصص التى تجنح نحو العقائد الدينية ، لاتمس الإيمان بشىء ، لأن أصحابها وهم الساميون عامة ، وبنو إسرائيل خاصة ، لم يكونوا إذ ذاك هم كل البشرية فى الوجود ، ولم يكونوا هم وحدهم أصحاب ديانة ولا أتباع رسل ، فالقرآن الكريم ، وهو أحدث الكتب المقدسة ، يقول فى محكم آياته : « ومنهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » . وهو قول يتفق مع الدراسات العلمية فى مجال ماقبل التاريخ ، ثم فى التاريخ الطبيعى للجنس البشرى ، وفى التاريخ العتيق العام ، ومابعده .

ولذلك فإن مناقشة القصص فى جزئية ، من جزئيات البشرية ، لا يعنى إلا تاريخ هذه الجزئية ، ولايمس الإيمان بالله ، لا من قريب ولا من بعيد ، فإن إله الكون واحد دائم الوجود ، وما الكرة الأرضية إلا شىء ضئيل جدا فى هذا الكون اللانهائى ، ولو زالت الأرض لما انتقص منه شىء .

ورغم أن قصة هذا الكتاب عن رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، تقترن بالتاريخ المصرى القديم مباشرة ، فهى مع ذلك لم تذكر فى الوثائق المصرية أصلا ، وأيضا على الرغم من أن مصر وبلاد آسيا الصغرى من أقدم الأمم على الأرض قاطبة ، وأنها تسبق تلك القصة بأجيال طويلة ، قبل عهد إبراهيم الخليل ، فإنه ليس من حق شعب من الشعوب أن يدعى عن طريق القصص أنه كان رأسا أو أصلا للبشرية ، لأن هذا إدعاء مردود بالحجة .

وليس فيما تقدم مايعيب القول فى قصة بنى إسرائيل والخروج ، فهى ذات شواهد فى التوراة وفى القرآن الكريم ، وكتب فيها بعض من أهل العلم والمعرفة بالتاريخ .

وهذا الكتاب قد احتوى القصة على الترتيب من بدايتها مما يلى الطوفان الأعظم ، متتبعا هجرة سيدنا إبراهيم الخليل من أرض الكلدانيين بالعراق ،

حتى جاء إلى أرض فلسطين ، ثم نزوله إلى مصر ، ثم يلى ذلك قدوم يوسف الصديق خلال غزو الهكسوس العماليق مصر ، ثم نزول بنى اسرائيل فى ذلك العهد ، وانتهى به القول الى الخروج ، مؤيدا ذلك بالتاريخ والجداول والرسوم ، على الوجه الذى ارتآه المؤلف .

فالكتاب يحكى تلك القصة باستطراد معتمدا على ماجاء فى التوراة وفى مراجع التاريخ العام ، وفيما سبق القول فيه من أنحاء الموضوع ، مما للمؤلف فيه وجة نظر آخر ، ويتميز مع ذلك بحسن الاسلوب مع تسلسل القول على الترتيب ، دون أن يرتفع الى مستوى الصدق باليقين ، أو ينخفض إلى ماهو فى جملة الاساطير الخرافية .

فقصة بنى إسرائيل فى مصر والخروج تامة فى ذاتها من جميع الجوانب فى هذا الكتاب ، ونحن نأمل أن يكون للتوسع فيها على هذا النحو وجه فائدة للتاريخ .

مقدمة

موضوع كتابنا هذا يحكى رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، وهى قصة تاريخية قديمة ذكرتها التوراة ، تكتنفها حوادث يختلط بعضها مع تاريخ مصر القديم ، فى غموض ، أو بإزاء شواهد تبدو فى ذاتها صحيحة ، ومع ذلك ليس لها فى وثائق الآثار المصرية ما يدل عليها صراحة ، فلم يرد ذكر إسرائيل فيها غير مرة واحدة ، فى وثيقة تنسب الى عهد الملك « مرنبتاح » والمرجح أنه لم يكن يعنى بنى اسرائيل هؤلاء بالذات ، وذلك لسبب يبدو واضحا وهو أن دخلوهم إلى مصر ، كان فى عهد ملوك الرعاة (الهكسوس) وظلوا فيها مائتى وعشر سنين ، وبين ذلك الى عهد الملك « مرنتباح » ، ما يقرب من خمسمائة عام .

والوثائق المصرية قديما ، كان لايدون فيها من الحوادث غير ماهو فى صميم التاريخ المصرى ، وعلى الوجه المضىء له ، الذى به يصح اشهارها ، وقد بان مثل ذلك فى غزو « الهكسوس » لمصر ، فقد اضطربت تواريخ الأسرات من الثالثة عشرة الى نهاية السابعة عشرة ، ولايزال حتى الآن ترتيب أسماء الملوك وسنو الحكم فى كل منها متعذرا تماما فى الآثار .

والمشاهد فى القديم من القصص التاريخية ، وخاصة مايلحق منها أطراف العقائد الدينية ، متى لم تكن موثقة فى تضاعيف التاريخ العام ، فإنها قد تفقد بعض رونقها فى حبك الحكاية ، وقد يختلف القول فى بعض أنحاء منها ، غير أن قصة بنى إسرائيل هذه ، لما كان مصدرها بالتفصيل

فى التوراة ، ثم مواضع منها فى القرآن الكريم ، وبدا فيها من الشواهد بعض الذى يخيل للناظر أنه يتفق فى التاريخ مع نظائر لها فى الآثار ، فقد أضفى ذلك عليها مميزات تنحو بها الى الاعتقاد ظنا ، بأنها قد حدثت بالفعل ، وبهذا النحو شغلت هذه القصة أذهان المؤرخين والباحثين ، ليس على سبيل القطع باليقين بل إنما على مستوى الاجتهاد فيما يمكن فيه إعادة النظر بالتدقيق فى أنحاء التاريخ العام ، مع التجاوز عما هو عند البعض صدق باليقين ، أو ما هو غير ذلك ظن عند آخرين ، فالأمر لايتجاوز محاولة البحث باستقصاء عن الحقيقة .

والذين كتبوا من قبل فى موضوع قصة بنى إسرائيل فى مصر الفرعونية ، إنما تناولوها من نهايتها ، فى القول عن الخروج ، وكيفيته وموضعه من سيناء ، ومع كثرة ماقيل فى ذلك فقد اختلفوا جميعا فى الزمان والمكان ، عندما اختلط عليهم التاريخ القديم وخفيت عنهم أسماء المواضع التى جاء ذكرها فى التوراة ، فنظروا فى ذلك على ظنون منهم بقدر ماتخيلوه .

فأما قصة بنى إسرائيل فى كتابنا هذا ، الذى نحن بصدده فى هذه المقدمة ، فإنها على استيفاء واسع النطاق ، مع مايكتنفها تباعا فى ترتيب واضح مترابط الأزمنة مع التاريخ العام وتاريخ مصر الفرعونية خاصة ، وعلى اتساق مع ماجاء بالتفصيل فى الحكاية ، مدعم كل ذلك بالشروح والجداول والرسوم والخرائط الطبوغرافية والمصادر القديمة ، بقدر المستطاع مما يبين فيه ، مدى الجهد الذى بذل فى اخراجه على هذا النمط المتكامل .

وهذا الكتاب ، فضلا عن استيفائه الموضوع الذى كتب من أجله ، فيه متعة القراءة وتقييم المعانى ، ووجه نظر آخر فى تعريف بعض ماغمض من التسميات القديمة ، وفيما قيل فى مواضع من تاريخ مصر القديم ، تدخل فى سياق هذه القصة الطريفة ، مما يلزم أن يعاد النظر فيه ، دون أن يتطرق اليه

الشك مع تفسيراتها الشاذة .

فأما بداية الرحلة ، التى نحن بصددها هنا ، فقد كانت فى زمن ابراهيم الخليل ، فى أواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد . عندما هرب من أرض الكلدانيين هو واخوته وأبوه الى « حاران » بين النهرين فى شمال العراق خوفا من الملك « زاميس بن نينوس » الذى اهدر دمه اذا لم يسجد للثريا(١) والأصنام ، كما يعبد الأشوريون ، وظل بها أربع عشرة سنة ، فلما مات ابوه عبر الفرات إلى أرض كنعان ، ثم نزل منها الى مصر مغتربا ، ومعه لوط ابن اخيه ، على رأس قافلة من أهل الشام يحملون هدايا إلى الملك « سنوسرت الثانى » رابع ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ودعا اسمه « أبشا Abisha» .

ثم تلاه « يوسف الصديق » أحد أحفاده ، من أولاد يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم ، بعد أن باعه إخوته إلى قافلة من التجار الاسماعيليين ، كانت فى طريقها الى مصر ، فاشتراه ، « فوطيفار » رئيس شرطة فرعون .

ثم كملت الرحلة الى مصر بنزول أبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، الذى يدعى أيضا « إسرائيل » ، وهو ابو الأسباط الإثنى عشر ، مع بنيه ونسائهم وأولادهم جميعا ، وكان عددهم إذ ذاك سبعين نفسا(٢) .

فأما نهاية هذه الرحلة فقد كانت بالخروج من مصر ، بقيادة موسى النبى ، بعد أن مكثوا مائتين وعشر سنين ، ذاقوا فى أواخرها ذل عبودية قاسية ، بعد طرد الهكسوس ، منذ ابتداء الاسرة الثامنة عشرة الى آخر حكم الملكة « حتشبسوت » ، وكان عددهم فى أول السنة الثانية من الخروج ، عندما دخلوا إلى برية سيناء ، ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلا ، عدا الشيوخ والنساء والأولاد ، كما ذكرت التوراة(٣) ، وقد مكثوا فى التية أربعين سنة ، قبل أن يدخلوا أرض كنعان .

ورغم مرور مايقرب من خمسة وثلاثين قرنا من الزمان على تلك الرحلة التاريخية ، فهى لاتزال الى الآن ، موضوعا حيا يشغل أفكار المؤرخين

والباحثين ، وعلماء المصريات فى مشقة بالغة ، حتى يكاد أن يظن بأنها خرافة قد ابتدعها اليهود .

والقصة فى ذلك ليس لها من مصادر غير التوراة ، مع بعض شواهد من التاريخ القديم ، مما لايدع للناظر فسحة أن ينفك عن هذين ، فيظل فى حيرة قد تدفعه الى الاستنتاج ، فيتعرض الى شطط فى القول غير مقبول .

فأما الأمور التى يقف بازائها الباحث فى تردد أو جهل ، متى أراد استكمال أنحاء الموضوع على استقصاء مع ربط أطرافها جميعا بما يقابلها أو يتصل بها من حوادث التاريخ العام ، فإنا نلخصها هنا فيما يلى :

١ ـ البدء منذ آدم ، على الوجه الذى وصف به فى التوراة أنه أبو البشر جميعا ، وأن اولاده الثلاثة ، باسمائهم ، التى ذكرت هنالك ، هم المدخل إلى تاريخ الانسانية الكاملة فى العالم .

٢ ـ حدوث الطوفان الأعظم فى زمان نوح ، كما جاء فى نص التوراة بأنه قضى على كل قائم حى ، على الأرض ، غير نوح وبنيه ومن كانوا معه فى الفلك ، حيث يوحى هذا بأنه أعد كذلك ، ليكون نوح وأولاده كل منهم بمثابة آدم آخر .

٣ ـ استقصاء أصل المصريين القدماء فى العصر العتيق الذى سبق عهد الأسرات الفرعونية يلح فيه التساؤل :

ـ هل هم من نسل آدم الأول ، الذى ذكرته التوراة ، بفرض ان الحياة كانت متصلة الى مابعد الطوفان ، أم أنهم من نسل نوح ، على زعم انقطاع الحياة حينئذ ، وكما ارتأت الشعوب جميعا ان تصفهم ثم نقل ذلك عنهم التاريخ القديم ، الذى يشير إلى أن القبائل السامية والحامية والآرية فى العالم ينتسبون الى اولاد نوح ، وهم سام وحام ويافث .

٤ ـ ضبط تاريخ ميلاد إبراهيم الخليل ، بحيث يمكن أن يعد هذا ، اذ صح ، كالضوء الذى ينير ظلام ماتقدم من غابر السنين ، ويكتمل به ماتأخر

عنه إلى أقرب مايتعلق به من الحوادث المعهودة التاريخ عن يقين ، فيتكشف بذلك تاريخ كل من أولاده واحفاده ، ويعلم حينئذ من هو بالحقيقة فرعون إبراهيم ، عندما نزل الى مصر ومن هو فرعون يوسف من بعده ، وبالتالى من هو الفرعون الذى سمح بدخول بنى اسرائيل الى مصر ، ومن هو فرعون موسى النبى الذى قادهم فى الخروج الى برية سيناء ؟

٥ ـ إلتزام الناظر هنا بتحديد تاريخ غزو الهكسوس لمصر ، فى أوائل الأسرة الثالثة عشرة ، لأن تفصيل المدة التى قضوها حكاما على المصريين إنما هو ضرورة ملحة ، يمكن بها أن يتبين الفرق بين هؤلاء ، على أنهم قوم غزاة من الرعاة البدو العماليق ، وبين أولئك من بنى إسرائيل ، على أنهم من الرعاة المستوطنين ، فيسهل بذلك تحديد زمن الخروج لكل منهما ، دون أن نخلط بينهما فى شىء .

٦ ـ ومتى استكمل البحث كل ذلك ، أمكن أن ينظر أخيرا فى الطريق الذى سلكه بنو إسرائيل حين خروجهم من مصر ، بقيادة موسى النبى ، هل كان ذلك بارتياد الصحراء الشرقية إلى سيناء ، عن طريق مخاضة خليج السويس ، كما يرى البعض ، أم كان من جهة الشمال ، عند مستنقعات جنوبى بحيرة المنزلة ، ثم بالانعراج شرقا إلى سيناء ؟ وهو رأى آخر ، وفى الحالتين ، هل كان غرق فرعون وجنوده حقيقة محتملة ؟ أم أنه مبالغة فى الأمر ، بعد أن تعذر على الجيش أن يعبر المخاضة التى غاصت فيها مقدمته ، أو أن يتخلص منها ؟

هذه جميعا ، مع مايكتنفها من دراسات تكميلية ، بعضها يختص بضبط التواريخ تباعا ، منذ آدم فرضا إلى زمان خروج بنى إسرائيل ومايليه ، وبعضها بشأن استقصاء أسماء الاعلام والأماكن والمواقع الغريبة التى ذكرتها التوراة ، ثم تجميع أطراف الحوادث على التوالى ، مع تسلسل تاريخ الأسرات الفرعونية ، كل ذلك قد أجهد تفكير الذين حاولوا أن يتناولوها

فأخرجوها عن منهج بحثهم أصلا ، حيث تبين لنا أن كل ماقيل فى ذلك كان مجملا وفى اتجاهات غير مترابطة أو منتظمة ، وعلى محور واحد من حيث نقطة الخروج ، دون اقتران القول فيه بما يؤيده على وجه ما من التفصيل .

والقصة فى ذاتها ، رغم انها لاتوجد تامة فى موضع آخر غير التوراة ، فهى على مستوى المعرفة واحدة من غرائب التاريخ القديم لبنى إسرائيل ، ينظر فيها العلماء والباحثون على هذا الوجه دون حساسية من جهة العقائد والمعجزات ، ودون النظر فى تاريخ الأمم ، إلا بالقدر الذى يتحمله اطراد القول .

وعلى هذا النهج قد سلكنا فى كتابنا هذا ، الذى يتضمن رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، كما ذكرتها التوراة وكما أوضحنا نحن أطرافها وأنحاءها، بفرض انها قصة تاريخية اختلف القول فى توضيحها من جهة الزمان والمكان وحبك الرواية فيها مع التاريخ المصرى القديم ، وعلى أن القول فى ذلك لايستقيم إلا عن استقصاءات يتعمدها الناظر بقدر الاستطاعة ، دون خروج عن الأصل الذى رويت به فى مصادرها .

وقد حاولنا جهد الطاقة أن نستوفى أنحاء الموضوع على انتظام فقسمنا القول فى ذلك إلى خمسة أبواب فيها سبعة عشر فصلا :

(١) « الثريا » : اسم نجم معروف ، سمى كذلك لأنه يبدو متلالئا ، وكأنه عدة نجوم ، فأطلق عليه التصغير على سبيل الكثرة ، فقيل : « الثريا » ـ انظر (لسان العرب) .
والمصريون القدماء كانوا يسمونه :
Sipdt (سبيدت)

ويعدونه إله سيناء ، وكان الأشوريون وأهل بابل ومابين النهرين والعرب قديما يعبدونه ، فيما يسميه الأسيويون ايضا الإلهة « عشتروت » زوجة الإله « بعل » وهو كوكب المشترى .

(٢) « التوراة » سفر التكوين ـ ص ٤٧/٤٦ ، قال .
« جميع النفوس ليعقوب التى أتت الى مصر الخارجة من صلبه ، ماعدا نساء بنى يعقوب جميع النفوس ست وستون نفسا ، وإبنا يوسف اللذان ولدا فى مصر نفسان ، جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت الى مصر سبعون » .

(٣) كذا فى التوراة « سفر الخروج » ص ـ ٣٧/١٢ ـ قال
« فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس الى سكوت نحو ست مائة ألف ماش من الرجال ، عد الأولاد .. » وانظر « سفر العدد » ـ ص ٤٦/١ أيضا وفى ذات الموضع / عدد ٤٠ ـ قال
« وأما إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر ، فكانت أربع مائة وثلاثين سنة .. »
ويبدو أن العدد من الناس مبالغ فيه بالقياس الى معدلات المواليد والوفيات ، فى المدة التى قضوها فى مصر وهى مائتان وعشر سنين ، وليست أربع مائة وثلاثين ، كما ذكرتها التوراة على زعم انها منذ نزول ابراهيم الى مصر وقد يكون المجموع اقرب الى عشرات الآلاف وليس مئات الآلاف . من الناس

الباب الأول

البدء منذ ادم
إلى إبراهيم الخليل

- البدء من لدن أدم
- الطوفان بين ادم وبين ابراهيم فى ضوء التقويم العبرى
- نسل ادم قبل الطوفان
- نسل أولاد نوح بعد الطوفان

البدء من لدن ادم

البدء ، يراد به هنا ، ابتداء ظهور الإنسان العاقل الكامل على الأرض ، أو هو بدء تاريخ الانسانية ، والقول فى هذا ليس واضحا تماما على وجه واحد يمكن التيقن منه ، بل إنما هو بالقياس إلى تصورات حقائق تستنبط من محصلات الأشياء التى تتخيل أنها صحيحة ، أو مما يمكن تحليلها ، والناظر فى ذلك لايسعه إلا أن يجمع بين تصوره وبين ماجاء فى كتب الدين ، التى استهلت القول فى ذلك بمبادىء السموات والأرض .

فأما البدء عند أصحاب العلوم الطبيعية ، والفلك والحياة ، وطبقات الأرض والحفريات ، فيحتويه عدة بحوث متماسكة عن تطورات طبيعية متعالية فى القدم ، يستدلون عليها من عمليات قياسية وتحليلية ، ويستخرجون من ذلك بطرائقهم وتصوراتهم نتائج قد يتقبلها العقل وقد يقف عندها حائرا ، ولهم فى ذلك شواهد فى الاستدلال .

والفلكيون يذكرون أن الكون مجموعات من السدم الغازية المتماسكة بالقوة فى مجرات يتوسط كل منها نجم لامع بمثابة النواة من الذرة ، ومجموعتنا واحدة منها مركزها نجم الشمس ، تدور حوله الكواكب كل فى فلك بقوة الجاذبية الكونية ، والأرض إحدى هذه ، وقد ظلت ملايين عديدة من السنين فى تطورات طبيعية حتى ظهرت الحياة عليها بعد أن استكملت أسبابها تدريجيا خلال تلك الأزمنة الطوال[١] .

والإنسان أقرب الأحياء على الأرض زمانا إلى التاريخ ، فلم يظهر إلا قريبا جدا ، منذ مايقرب من عشرين ألف سنة قبل الميلاد ، تخللتها عهود مطيرة ، وأجواء شديدة الحرارة والبرودة ، فكان يعيش كالحيوانات البرية ، أقرب إلى سلوك الشمبانزى فى القردة ، منه إلى الإنسان ، ولم يكتمل فى الهيئة والعقل إلا فى أوائل العصر الحجرى الحديث ، قريبا من ستة آلاف سنة قبل الميلاد ، ولم يكن إذ ذاك جنسا واحدا فى نوعه ، بل إنما كان فى ثلاث هيئات من جنسه تختلف فى اللون باختلاف سمت الشمس على البقعة التى ظهر وعاش فيها ، فمنه الأسود والأحمر والأبيض .

وقد اتفق الناس على تسمية الجد الأعلى للإنسان باسم : آدم الأول ، إما لأدمة فيه ، وهى كلون التربة بأنواعها ، وإما لكماله وتمامه فى الخلقة ، وسميت امرأته : حواء ، لحوة فيها تتميز بها ، وهى حمرة الشفتين مع ليونة جلدتها ، وفى « التوراة » : أن الله ألقى على آدم سباتا ثم استل منه ضلعا فكساه لحما وخلق له حواء زوجة له .

فأما أقدم العقائد الدينية التى نظرت فى بدء الخليقة وأصل الحياة وظهور آدم أبى البشرية على الأرض ، ثم فى الموت ومابعده ، فإنا نلمس ذلك فيما اقتنع به الكهنة المصريون القدماء ، منذ أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وهو مايعد بحق أقصى مايمكن أن يتخيله العقل الإنسانى فى هذا الشأن وأقربه إلى التشبيه بما جاء فى كتب الأنبياء وفيما أرتاه أصحاب العلم الطبيعى ، مع الفارق فى الزمان بين هذه وبين تلك ، دون اعتبار أن المصريين القدماء كانوا وثنيين على الإطلاق ، حيث قد ظهر أن جميع معتقدات الإنسان القديم فى ذلك كانت تدور حول ما ارتآه قدماء المصريين .

فقد كانوا يعتقدون أنه . فى البدء كان الغمر والظلمة ، ثم ظهر إله الشمس (رع ) خلف تل من اليابسة هرمى الشكل ، وقف عليه الإله : (اتوم  أبو البشر) وذلك بعد أن برز من الغمر وخلق

نفسه من الماء والطين تاما كاملا .

وشبيه بهذا ماجاء فى أول سفر التكوين ، من التوراة ، فى قوله : * فى البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخاوية ، وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه ، وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهارا ، والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا .

وسفر التكوين ، من التوراة ، أول الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى النبى ، واليهود يسمونه : « فى البدء » لأنه يذكر ابتداء خلق السموات والأرض والكائنات ، وأن الله خلق آدم وحواء امرأته فى اليوم السادس ، ثم استراح فى اليوم السابع وقدسه .

وفى القرآن الكريم من الآيات شواهد على صحة ماجاء فى التوراة ، أو مناقضات لبعض ذلك ، وكل قول فى كليهما له عند أهله من فقهاء الدين منهج فى النظر والتفسير والتأويل ، دون أن يكون فى ذلك مايناقض مذهب القول فى ابتداء الخليقة ونشأة آدم من تراب الأرض .

وأما كيف يكون عمر آدم على التحديد ، فالقول فى ذلك ينظر فيه أصحاب العلم الطبيعى على وجه يكاد لايتجاوز فى القدم بداية العصر الحجرى الحديث ، وينظر فيه فقهاء الديانات على أوجه من التفسير ، أما المؤرخون فإنهم يميلون إلى الجمع بين آراء الطبيعيين وبين مايمكن قبوله مما جاء فى التوراة ، بفرض انها مرجع قديم لايجوز تجاهله ، رغم اختلاف النسخ المعهودة المترجمة عن العبرانية .

والنظر فى ذلك ، على هذا القياس ، يمكن أن يكون على افتراضين :

أحدهما أن يكون مع اتصال الحياة من آدم إلى مابعد الطوفان ، والآخر أن يكون مع انقطاعها بالطوفان وابتداء حياة أخرى ، على الوجه الذى جاء فى التوراة بأنه قضى على كل قائم حى على الأرض .

وفى كلا هذين الفرضين يضطر الناظر أن يعتمد على أن آدم الذى طرده الله من الجنة لم يكن أبعد من أوائل العصر الحجرى الحديث ، منذ قريب من ستة آلاف سنة ، قبل الميلاد ، لأنه إذا تجاوز ذلك خرج عما هو آدم ، كما ذكرته التوراة ، ويعتمد الناظر على بعض الدلائل التاريخية التى تشير الى أن الحياة كانت متصلة من لدن آدم إلى ما بعد الطوفان .

والتوراة فى ذاتها كانت مصدر خلاف بين اليهود وبين النصارى فى عدد السنين بإزاء أعمار أولاد آدم إلى الطوفان ، ثم بإزاء أولاد نوح بعد الطوفان ، إلى تاريخ ميلاد إبراهيم الخليل ، الأمر الذى يعسر معه تحديد عمر آدم ، أو تاريخ حدوث الطوفان ، بما هو أقرب إلى الحقيقة .

فاليهود يعتمدون على النسخة العبرية عندهم ، وهى التى ترجمت إلى اللغات الشرقية واللاتينية ، فى القرن العاشر بعد الميلاد .

والنصارى ليس لديهم غير النسخة اليونانية التى ترجمها من العبرية أحبار من اليهود ، بناء على رغبة « بطلميوس فيلادلفوس » ملك مصر ، مدة حكمه سنة ٢٨٢ ـ ٢٤٦ ق . م . وتعرف بالنسخة السبعينية .

وترجمة هذه النسخة باليونانية جاء ذكرها فى المراجع القديمة (٢) ، وأكمل هذه ماذكره أبو الريحان البيرونى ، فى كتابه : (الآثار الباقية) قال فى هذا الموضع :.

« ... وذلك أن طائفة من بنى إسرائيل لما غزا بختنصر بيت المقدس وخربه ، انجلت عنه واعتصمت بملك مصر(٣) ، وأقامت فى جواره إلى أن ملك بطلميوس فيلادلفوس ، واتصل بهذا الملك خبر التوراة ، عند اليهود ، فتفحص عن هذه الطائفة حتى عثر عليهم فى بلدة زهاء ثلاثين ألف نفر ، فآواهم وقربهم وأطلق لهم الإذن فى الانصراف إلى بيت المقدس ، بعد أن أمر كورش ملك فارس بعمارة البيت وعودة اليهود إلى أورشليم ، فخرجوا مع بعض من حاشيته ، وقال لهم : إن لى قبلكم حاجة ، إن أسعفتونى بها فقد تم شكركم لى ، وهى أن تسمحوا لى بنسخة من كتابكم التوراة ، فأجابوه

إلى ذلك وحلفوا له بالوفاء به ، فلما وصلوا إلى بيت المقدس انجزوا وعدهم بانفاذ نسخة منها اليه ، وكانت بالعبرانية فلم يفهمها وعاودهم بطلب من له معرفة ، بالعبرانية واليونانية معا ليترجم له ، ووعدهم الجوائز والصلات ، فاختاروا من أسباطهم الأثنى عشر اثنين وسبعين رجلا ، من كل سبط ستة نفر من الأحبار والكهنة ، وأسماؤهم عند النصارى معروفة ، فنقلوها إلى اليونانية ، بعد أن فرق بينهم ووكل بكل رجلين منهم من يقوم بشأنهم ، حتى فرغوا من ترجمتها وصار فى يده ست وثلاثون نسخة ، وقابل بعضها ببعض فلم يجد فيها إلا ما لابد من وقوع مثله فى اختلاف العبارات عن المعانى المتفقة ، فوفى لهم بما وعد وأحسن تجهيزهم وصرفهم » .

وقد قيل فى اختلاف سنى أعمار الأعلام ، منذ آدم إلى تاريخ إبراهيم الخليل ، بين الأصل وبين ما فى الترجمة اليونانية ، أنه نشأ عن الأشتباه فى كتابة الأعداد بحروف المعجم بالعبرية ، على طريقة العرب قديما فيما كانوا يسمونه : حساب الجمل[٤] ، وتلك حروف يكاد بعضها يقرب فى الهيئة مع حروف آخر ، فنتج من ذلك احتمال تصرف الأحبار اليهود فى النقل إلى اليونانية ، فاختلفت السنون باختلاف بعض الحروف المتشابهة[٥] .

غير أن الخلاف فى ذلك بين اليهود والنصارى يبدو انه على الوجه الذى ذكره أبو الريحان البيرونى فى كتابه : (الآثار الباقية[٦]) ، وذلك انه يرجع أصلا إلى اعتقاد كل من الفريقين ، فى الزمان الذى يخرج فيه المسيح المنتظر فى آخر الأيام على زعم اليهود ، ثم فى الزمان الذى يولد فيه المسيح عيسى بن مريم ، كما بشرت به الأنبياء قبل ولادته من العذراء .

فاليهود يعتقدون أن المسيح المنتظر سوف يظهر فى آخر الايام[٧] ، على نهاية ألف وخمسمائة وخمس وثلاثين سنة من ظهور الإسكندر ، حيث تكتمل سنو العالم سبعة آلاف سنة من لدن آدم ، فلما ولد المسيح عيسى وظهر فى النسخة العبرية أن مابين آدم وبين الإسكندر قريب من أربعة آلاف سنة ، وأن هذه المدة بعينها فى الترجمة السبعينية تزيد على خمسة آلاف ، زعم

النصارى أن اليهود نقصوها حتى تخرج ولادة المسيح عيسى فى منتصف المدة التى يزعمونها وينتظرونها انتظار شيء قد استيقنوه ، وبذلك يخالف بشارة الأنبياء .

وكان كل فريق يعمد إلى آية أو جملة من التوراة تقبل التأويل ، فيحولون حروفها إلى أعداد تجمع بحساب الجمل فتعطى المقدار الذى يفرضونه من السنين على قدر ما ارتأوه فى تأويلهم ، وقد تبين فيما بعد أن كلا منهما مدع فى ذلك ، فلم ينته العالم بعد انقضاء السنين التى حددوها منذ قيام حكم الإسكندر ، على زعم اليهود ، ولم يخرج فى نهايتها مسيحهم المنتظر ، وكذلك ولد المسيح عيسى بن مريم ولم تصح التواريخ التى حاول النصارى أن يستنبطوها بالحساب من أقاويل الأنبياء ، بالسريانية أو بالعبرية فى البشارة بمولده .

وعلى هذا الظن الخاطىء ، ثم الاختلاف فى أعمار المواليد ، كان تاريخ آدم فى توراة اليهود بالعبرية على بداية سنة ٤٠٠٤ ق . م . وفى التوراة السبعينية ابتداء من سنة ٥٣٤٠ ق . م ، بفرض أن الفرق بين النسختين ، فى مجموع سنى المواليد منذ آدم إلى إبراهيم الخليل ، ألف وثلاث مائة وست وثلاثين سنة .

وقد ذكر عالم الآثار أحمد كمال ، فى كتابه[٨] ، (علوم وعوائد قدماء المصريين) : أن هنالك مذاهب كثيرة فى تقدير عمر آدم ، وأكثر ذلك يعتمد على ماجاء فى التوراة ، غير أنه ثبت لدى المحدثين ، من أصحاب علم طبقات الأرض ، أن أقصى مايمكن أن يفرض لعمر آدم لايزيد على سنة ٦٠١٦ قبل الميلاد ، على مارواه « كلانتون Clanton الإنجليزى[٩] .

ونحن هنا سننظر فى الأمر على قدر مانحتاج اليه فى كتابنا هذا ، دون أن نتعمد عمر آدم بغير ما فى نسختى التوراة ، بل إنما سنتتبع الحوادث على التقويم الميلادى مع مايقابلها بالتقويم العبرى الحديث ، حتى إذا ما اجتزنا

أول عهد الأسرات الفرعونية كان الباقى قابلا للامتداد نحو نسل آدم قبل الطوفان ، ثم يتخطاه نحو آدم على أقرب الفروض المقبولة .

* * *

---

(١) وفى كتاب (تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء) ، لحمزة بن الحسن الأصفهانى ، طبع ألمانيا سنة ١٨٨٤ م ، نقلا عن أبى معشر البلخى قال

« .. والفلكيون يرعمون أنه قد مضى من عمر الدنيا ، منذ أول يوم سارت فيه الكواكب الى اليوم الذى خرج فيه الخليفة المتوكل بالله إلى دمشق ، أربعة الاف ألف ألف ، وثلثمائة وعشرون ألف ألف ، لسنى الشمس » .

والمراد بذلك أن عمر الأرض والكواكب حول الشمس أربعة آلاف وثلاث مائة وعشرون مليون سنة شمسية ٤٣٢٠,٠٠٠,٠٠٠ منذ ابتدائها إلى سنة ٨٥٨ ميلادية ، وهى سنة ٢٤٤ هجرية ، التى سار فيها المتوكل إلى دمشق .

(٢) انظر كتاب (تاريخ يوسيفوس اليهودى) المتوفى سنة ١٠٠ م ـ طبع بيروت سنة ١٨٧٢ م .

وانظر كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) لأبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ـ طبع المانيا سنة ١٨٧٨ م

(٣) وملك مصر الذى لجأ يهود السبى البابلى اليه فى عهده ، هو الملك (واح اف رع) ، المسمى باليونانية (ايريس ـ ٥٦٨/٥٨٧ ق م) ، من ملوك الأسرة السادسة والعشرين .

(٤) جساب الجمل طريقة كانت للعرب قديما فى كتابة الأعداد بدلالة حروف المعجم ، على الترتيب الأبجدى ، وذلك أن توصل الحروف إلى بعضها فى كلمة بالقياس إلى ترتيبها المتوالى بالأعداد الهندية ، بحيث يكون العدد الدال على الآحاد فى بدايتها فأما مقادير الحروف من الأعداد فهى على الوجه التالى

ا	ب	حـ	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى	ك
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠
ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت
٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠
ث	خ	ذ	ض	ظ	ع					
٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠					

فيقال ، على سبيل المثال للعدد ٣٠٩ (شط) ، كقولك بالعربية « تسع وثلاثمائة » واليهود كانوا يستعملون مثل هذا الاجراء تبعا لحروف لغتهم بالعبرية .

(٥) وذكر مثل ذلك المؤرخ غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون ، المعروف بابن العبرى ، المتوفى سنة ١٢٨٦ م ، فى كتابه . (تاريخ مختصر الدول) ـ طبع بيروت سنة ١٨٩٠ م .

(٦) انظر المرجع السابق ـ لأبى الريحان البيرونى، فى كتابه (الآثار الباقية) .

(٧) آخر الأيام ، على زعم اليهود انما تكون فى نهاية الألف السابعة ممايلى أدم ، وقد حددوه ، أيضا بأنه يقع فى حوالى سنة ١١٩٩ م ، أى بعد ألف وخمسمائة وخمس وثلاثين سنة من ظهور الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٦ ق م ، ومعنى هذا أن آدم الأول على هذا الرعم إنما يكون بحيال سنة ٥٨٠١ ق . م ، وهو أقرب الى ماجاء فى النسخة المترجمة الى اليونانية ، من التوراة ـ (انظر المرجع السابق ، للبيرونى ص ١٥/) .

(٨) انظر كتاب (بغية الطالبين فى علوم وعوائد قدماء المصريين) لأحمد كمال ـ طبع القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ .

(٩) وهذا الزمان الذى يحد عمر آدم ، على مارواه (كلانتون Clanton الانجليزى مستنبط مما ذكره « يوسيفوس » المؤرخ اليهودى ، من أن مابين آدم إلى الطوفان هو ٢٢٥٦ سنة ، كما فى التوراة اليونانية ، ثم أضيف هذا المقدار إلى أول التقويم العبرى الحديث ، وهو سنة ٣٧٦٠ ق . م ، بفرض انه بازاء حدوث الطوفان فصار مجموعهما الى آدم ٦٠١٦ سنة

وفى التقويم اليونانى القديم مايشير إلى أن ابتداء الخلق سنة ٥٤١٦ ق م . وهذا أيضا كسابقه أخذ قياسا الى إضافة مابين آدم الى الطوفان فى التوراة العبرية ، وهو ١٦٥٦ سنة ، إلى أول التقويم العبرى بفرض أن الطوفان كان سنة ٣٧٦٠ ق م .

وفى هذا وذاك اعتقاد على أن الطوفان هو بدء التقويم العبرى ، على هذا التاريخ ، غير أنه متى فرض الأمر كذلك اضطربت التواريخ ممايلى الطوفان ولاتستقيم بوجه ما مع تواريخ معهودة محققة

وفى كتاب (تاريخ سنى الملوك والأنبياء) لحمزة بن أبى الحسن الأصفهانى ـ طبع ليبسك بالمانيا سنة ١٨٨٤ م ـ ص١١/ قوله ٠

« إن اليهود يسوون تاريخهم حكاية عن التوراة إلى ٤٠٤٢ سنة قبل الهجرة ، والنصارى يسوونه الى سنة ٥٩٩٠ » ولسنا من هذا على ثقة تماما ، لوجود التباس فى القول .

والأشبه انه يريد أن يقول إن اليهود يسوون تاريخهم الى سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد والنصارى الى ٥٦٦٠ ق م ، بفرض أن الفرق بين هذين مقدار (١٦٥٦ سنة) هى التى بين آدم وبين الطوفان ، كما فى التوراة العبرية .

الفصل الثانى :

الطوفان بين ادم وبين إبراهيم الخليل فى ضوء التقويم العبرى

إن الطوفان على الصفة ، التى وصف بها فى التوراة من أنه قضى على كل قائم حى على الأرض[1] ، يمكن أن يعد بذلك فاصلا بين عهدين ، كل منهما مستقل عن الآخر :

أحدهما يختص بالزمان الذى عاش فيه أولاد آدم إلى أن أهلكهم الطوفان ، ولم يبق منهم غير نوح وبنيه ونساء بنيه .

والآخر يختص بالزمان الذى بدأ فيه جيل آخر من الناس ، على رأسهم نوح وأولاده الثلاثة بعد الطوفان .

فإذا كان الأمر كذلك ، على هذا الوجه الثانى ، فإنه يمكن أن يعد كل واحد من هؤلاء الأبناء الثلاثة بمثابة آدم ، مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة .

وإذا لم يكن كذلك ، وفرض انطلاق الحياة واتصالها بعد الطوفان ، فهما عهدان وإن كانا منفصلين بالحقيقة ، إلا أن أعمار الخلق فيهما ظلت متصلة ، بفرض أن الطوفان لم يحجب الحياة بينهما غير أشهر قليلة ، قد يمكن خلالها أن يحتمى الناس من الغرق ، أو يفلت البعض بحيلة ماقدر

الطاقة ، وهو الأمر الذى نراه مقبولا من خلال التفسيرات المعتدلة فى هذا الشأن .

قال البيرونى[٢] :

« ... فأما الفرس وعامة المجوس فقد أنكروا الطوفان بكليته وزعموا أن الملك متصل فيهم من لدن « كيومرث كلشاه[٣] ، الذى هو الانسان الأول عندهم ، ووافقهم على إنكارهم إياه الهند والصين وأصناف الأمم المشرقية ، وأقر به بعض الفرس ووصفوه بغير الصفة الموصوف بها فى كتب الأنبياء ، وقالوا : كان من ذلك شىء بالشام والمغرب فى زمان « طهمورث[٤] ، لم يعم العمران كلها ، ولم يغرق فيه إلا أمم قليلة ، وأنه لم يتجاوز عقبة حلوان[٥] ولم يبلغ ممالك المشرق ..» .

ويبدو أن هذا القول أقرب إلى الواقع فى مصر ، من قبل أنه ليس فى تاريخ الملوك الفراعنة ، ولا فى متون الآثار مايشير صراحة إلى حدوث طوفان أهلك الحرث والنسل ولم يبق على شىء فى الأرض ، أو أنه ربما كان قليل التأثير فى مصر .

ومع فرض حدوثه فعلا ، فإنا إذا اعتمدنا على ماجاء فى التوراة العبرية المعتمدة عند اليهود ، بأن آدم كان فى سنة ٤٠٠٤ ق . م ، أو قريبا من ذلك ، فإن حدوث الطوفان يكون إذ ذاك فى أواخر الأسرة السادسة .

وأيضا إذا أخذنا بما جاء فى التوراة اليونانية ، بأن آدم يرجع إلى سنة ٥٣٤٠ ق . م ، أو الى قريب من ذلك ، فإن تاريخ حدوث الطوفان لابد أن يكون حينئذ فى أواخر الأسرة الأولى .

قال أبو الريحان البيرونى فى كتابه (الآثار الباقية) :

« وذكر أينانوس الراهب الاسكندرى ، وهو أحد أصحاب الأحبار ، أن المدة التى بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة ، أول الطوفان ، ألفان ومائتان

وست وعشرون سنة ، وشهر وثلاثة وعشرون يوما ، وأربع ساعات ، حكى ذلك عنه ابن البازيار فى كتاب « القرانات » وهو إلى قول النصارى أقرب ، ويخيل إلىّ انه مبنى على طرق أصحاب الأحكام من المنجمين ، وأنه ظاهر التعسف والتدقيق .. » .

وفى تاريخ (يوسيفوس اليهودى[٦]) :
أن من آدم إلى الطوفان ٢٢٥٦ سنة ، ومنه إلى ملك الإسكندر الأكبر ٥١٨١ سنة .

ونقل عنه المؤرخ « غريغوريوس » المعروف بابن العبرى[٧] ، المتوفى سنة ١٢٨٦ م ، ثم البطريرك « افتشيوس » المسمى بابن البطريق[٨] ، زمان المدة من آدم إلى الطوفان ، وهو مطابق أو قريب لما فى التوراة « السبعينية » .

وقد بان فى نسختى التوراة ، رغم اختلاف أعمار الخلق فى كليهما ، منذ آدم إلى مابعد الطوفان ، أن ميلاد إبراهيم الخليل واحد فى كليهما ، ثم ينقطع الخلاف بينهما نزولا حتى تاريخ خروج بنى إسرائيل ، ومايليه .

ولما كان مع ذلك ، ومع عدم الاخلال بتسلسل المواليد ومفردات السنين ، بحيال كل منهم ، أنا إذا ثبتنا تاريخ آدم من إحدى النسختين ، اعتمادا على ما جاء بها ، اختلف زمان حدوث الطوفان فى الأخرى واضطرب تاريخ الأعلام فيهما جميعا إلى زمان إبراهيم الخليل ، وكذلك الأمر إذا ثبتنا زمان الطوفان واعتمدناه من إحداهما لذلك صار الأوفق أن نربط التاريخ فى كليهما بالتقويم العبرى الحديث ، ونتحرى مع ذلك تاريخ ميلاد إبراهيم بالحقيقة ، وهو الطريق الذى سلكناه هنا فى محاولة الحصول على تواريخ صحيحة .

والأصل فى التقويم العبرى قديما أن السنين كانت تحسب على نظام الشهور القمرية ، من غرة الشهر الى غرة الشهر الذى يليه ، فعدة أيام

السنة ، كما هى فى سنى العرب ، ثلاث مائة وأربعة وخمسون يوما ، دون أن يكون لهم ابتداء محدود ، ثم استعملوا فى حسابهم تقويم سنى الإسكندر بعد ذلك إلى قبيل التاريخ الميلادى ، ثم صححوا بعد ذلك ترتيب السنين الخوالى على التقويم الشمسى ، فصارت أول سنة فى بداية التقويم العبرى مقابلة لسنة ٣٧٦٠ قبل الميلاد ، بفرض انهم يؤرخون بدءا من آدم أو من أقرب زمان إلى آدم ، على زعمهم ، وبالتالى صارت أول سنى الهجرة عند العرب بإزاء سنة ٤٣٨٢ عبرية .

وقد تبين لنا أن التواريخ الملحقة بهامش التوراة العبرية المعتمدة عندهم ، وفى الترجمات بالعربية واللاتينية ، منذ آدم إلى مابعد الخروج ، لاتستقيم مع التقويم الشمسى ، إلا فيما هو من الحوادث قريب أو يلى تاريخ السبى البابلى وخراب أورشليم .

قال البيرونى(٩) فى هذا الموضع :

« وأما العبرانيون ، وجميع من انتمى إلى موسى من اليهود ، فإن شهورهم قمرية ، والسنة أثنا عشر شهرا ، مجموعها ٣٥٤,٠٠ يوما ، وهى :

(١) تشرى ٣٠ يوما	(٥) شباط ٣٠ يوما	(٩) سيوان ٣٠ يوما
(٢) مرحشوان ٢٩ يوما	(٦) آزار ٢٩ يوما	(١٠) تموز ٢٩ يوما
(٣) كسليو ٣٠ يوما	(٧) نيسان ٣٠ يوما	(١١) آوب ٣٠ يوما
(٤) طبيت ٢٩ يوما	(٨) أيير ٢٩ يوما	(١٢) أيلول ٢٩ يوما

فلما خرج بنو إسرائيل من مصر اتفق ذلك لليلة اليوم الخامس عشر من شهر نيسان ، والقمر تام الضوء والزمان ربيع ، فأمروا بحفظ ذلك اليوم(١٠) ، فاضطروا إلى استعمال السنة الشمسية ، ليقع يوم أربعة عشر من نيسان فى أوان الربيع ، حين تورق الأشجار ، وأحوجهم ذلك إلى إلحاق الأيام التى يتقدم بها عن المطلوب ، بالشهور إذا استوفت أيام شهر واحد ، فالحقوها شهرا تاما سموه « آزار الثانى(١١) ، لأنه ردف سميا لما قبله ، وسموا السنة الكبيسة « عبورا » اشتقاقا من (معبارت(١٢) ..

وعلى هذا الإجراء كانوا يضيفون شهرا تاما كل ثلاث سنوات ، غير أنه لما كان يتجمع من ذلك بعض أيام كثيرة بتوالى السنين ، فقد لجأوا إلى إضافة سبعة أشهر فى كل تسع عشرة سنة ، بمعدل الفرق فى عدد الأيام بين السنين الشمسية والقمرية فى مثل ذلك العدد من السنين ، فصارت السنة عندهم : إما أنها كبيسة ، وإما أنها بسيطة ، وكل من هاتين : إما انها ناقصة أو معتدلة ، أو زائدة ، وذلك بتعديل عدد الأيام فى الشهور الثلاثة الأولى من السنة[١٢] .

والناظر فى الأحداث التى اكتنفت دخول بنى إسرائيل ، إلى مصر الفرعونية حتى خروجهم إلى أرض كنعان ، متى لم يتيقن من أنهم صححوا ماتقدم من السنين الأوائل قبل الميلاد ، لتكون بإزاء تقويمهم العبرى الحديث ، فإنه يضطر لأن يعدها سنين قمرية يلزم تحويلها .

والأشبه أنهم لم يطابقوا ذلك إلا عمليا فى بعض المناسبات العقائدية عندهم دون أن يصححوا شيئا مما ذكروه فى التوراة ، ومع ذلك فإنا سنعتمد هنا على التاريخ الميلادى ونتبع به مما يقابله من السنين العبرية .

فأما التقويم الميلادى فينسب الى ميلاد السيد المسيح ، ولد إبان الحكم الرومانى فى عهد مضطرب ، كان فيه حاكم فلسطين والجليل « هيرودو » الذى كان يضطهد اليهود ، ولم يتحدد تاريخ الميلاد إلا بعد فترة طويلة ، على أنه كان فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، ويقابله عند العبرانين سنة ٣٧٦٠ عبرية .

والتاريخ الميلادى هو المعتمد الآن فى أوروبا وفى أكثر بلاد المشرق ، والأصل فيه التقويم الرومى ، والسنة فيه شمسية ، وكذلك فى التقويم المصرى القديم ، وهى تساوى $\frac{1}{4}$ ٣٦٥ يوما تقريبا ، والبسائط منها ٣٦٥,٠٠ يوما ، وأما السنة الكبيسة فهى ٣٦٦,٠٠ يوما ، بإضافة يوم كل أربع سنوات ، يذوب فيها كسر اليوم ، فالكبائس من السنين الميلادية هى

التى تقبل القسمة على أربعة دون باق ، فأما الشهور فهى المعهودة بمسمياتها إلى وقتنا هذا .

وأما التقويم الهجرى ، فهو العربى الحديث ، فقد كان العرب قديما فى الجاهلية يؤرخون تبعا للحوادث الهامة عندهم ، وكانت سنوهم قمرية ، اثنى عشر شهرا تختلف تسميات بعضها عند القبائل .

وأقدم ذلك : التاريخ الذى كانوا ينسبونه إلى إبراهيم الخليل ، بدءا من العام الذى قيل فيه إنه بنى الكعبة[١٤] ، وقد اندثر هذا لقدمه ، وتفرق الأقوام الذين كانوا يستعملونه .

وأما الأقرب الى العهد الإسلامى ، فأشهر ذلك تأريخهم بيوم وفاة كعب ابن لؤى ، وهو الجد الثامن للنبى ، وكان ذلك حوالى سنة ٦٠ ق . م .

ثم عام « الغدر » ، وكان ذلك سنة ٤٦٠ ميلادية ، بفرض أن مابينه وبين عام الفيل مائة وعشر سنين .

ثم عام « الفيل » وهو الذى ولد فيه النبى محمد سنة ٥٧٠ م ، وفيه نزل أبرهة ، القائد الحبشى الذى أرسله قيصر الروم لمحاربة اليهود فى اليمن ، فاستولى على صنعاء سنة ٥٧٢ م ، ثم قدم مكة يريد هدم الكعبة ، فابتلاه الله بوباء فتك بالجيش .

ثم عام « الفجار » ، وكان بداية حرب بين بطون قريش[١٥] سنة ٥٩٠ م .
ثم تاريخ تجديد بناء الكعبة ، قبل مبعث النبى بخمس سنوات ، فى سنة ٦٠٥ م .

ثم العام الذى بعث فيه النبى محمد سنة ٦١٠ م ، لما بلغ الأربعين من عمره .

ثم انتهى الأمر بعد ذلك بأن أرخ العرب بيوم هجرة النبى من مكة الى المدينة ، فى صحبة أبى بكر الصديق ، فرارا من أذى قريش ، وهو التقويم

العربى المعتمد إلى يومنا هذا ، على الشهور القمرية بمسمياتها المعهودة إلى الآن .

فأول سنى الهجرة ، يوم أول شهر محرم سنة ١ هـ ، يقابله فى التقويم الميلادى يوم ١٤ يوليو سنة ٦٢٢ م ، وهذا بعينه يوافق شهر آوب سنة ٤٣٨٢ فى التقويم العبرى .

تاريخ هجرى	تاريخ عبرى	تاريخ ميلادى	بداية التواريخ
٠٠٠٠٠	٣٧٠٠ عبرية	٦٠ ق . م	وفاة كعب بن لؤى
٠٠٠٠٠	٣٧٦٠ عبرية	١ ميلادية	أول التقويم الميلادى
٠٠٠٠٠	٤٢٢٠ عبرية	٤٦٠ ميلادية	عام الغدر .
٠٠٠٠٠	٤٣٣٠ عبرية	٥٧٠ ميلادية	عام الفيل ، ومولد النبى محمد
٠٠٠٠٠	٤٣٥٠ عبرية	٥٩٠ ميلادية	عام الفجار الأول
٠٠٠٠٠	٤٣٦٥ عبرية	٦٠٥ ميلادية	تجديد بناء الكعبة
٠٠٠٠٠	٤٣٧٠ عبرية	٦١٠ ميلادية	بعث النبى محمد
سنة ١ هجرية	٤٣٨٢ عبرية	٦٢٢ ميلادية	أول التقويم الهجرى
(أول المحرم)	شهر آوب	١٤ يوليو	

وقد أتينا هنا بقول مجمل فى تقويم السنين ليكون أمكن فى تعيين التواريخ ابتداء من آدم فرضا الى ميلاد ابراهيم الخليل ومايليه ، وذلك لأنه لما كانت هذه جميعا يحيط بها عهد الملوك المصريين الفراعنة ، وكان هؤلاء بعضا من نسل آدم فرضا وبعضا من نسل نوح ، فإنا سننظر فى ذلك تباعا على الاتصال ، بفرض أن موضوع كتابنا هذا عن الحوادث والمناسبات التى جرت فى مصر ، مما تكتنف رحلة بنى إسرائيل اليها حتى خروجهم الى ارض كنعان بقيادة موسى النبى .

* * *

(١) وفى التوراة قوله ٠

* وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض ، فتعاظمت المياه جدا ، وظلت مائة وخمسين يوما ، خمسة عشر ذراعا فى الارتفاع حتى غطت الجبال ، فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض ، ومحا الله كل قائم حى ، وبقى نوح والذين كانوا معه فى الفلك * انظر سفر التكوين أصحاح /٧ .

(٢) انظر كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ـ لأبى الريحان البيرونى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ـ طبع ألمانيا سنة ١٨٧٨ م .

(٣) « كيومرث كلشاه » . أى كيومرث ملك الأرض ، فأما (كيومرث) فهو اسم أول ملوك الفرس البشداديين ، وهو فى نظرهم والد البشر ، بمثابة آدم الأول على الأرض .

ويبدو أن اسم (كيومرث) محرف عن « جومر » بن يافث بن نوح ، حيث قد جاء ذكره فى التوراة ، سفر التكوين صح /١٠ ـ قال

* وبنو يافث : جومر وماجوج ومادای وياوان وتوبال وماشك وتيراس ، وبنو جومر . اشكناز وريفاث وتوجرمه ..*

(٤) طهمورث ٠ ثالث ملوك الفرس الكبار من الأوائل ، بعد « أوشهنج » سمى كذلك على أنه خير من على الأرض ـ انظر (الكامل فى التاريخ) .

(٥) « عقبة حلوان » جبل يمتد تجاه مدينة حلوان ، على الحدود الشرقية للعراق ، قبالة بغداد الى الشمال الشرقى .

(٦) انظر كتاب : (التاريخ القديم لليهود) للمؤرخ « يوسيفوس اليهودى » المتوفى سنة ١٠٠ م ، طبع بيروت سنة ١٨٧٢ م .

(٧) انظر كتاب : (تاريخ مختصر الدول) ـ طبع بيروت سنة ١٨٩٠ م .

(٨) انظر كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق) للبطريرك افتشيوس ، المعروف بابن البطريق ، طبع بيروت سنة ١٩٠٥ م .

(٩) انظر المرجع السابق (الآثار الباقية) لأبى الريحان البيرونى .

(١٠) وفى التوراة : * هى ليلة تحفظ للرب ، لاخراجه إياهم من مصر ، هذه الليلة هى للرب تحفظ من جميع بنى اسرائيل * ـ خروج أصحاح /١٢ .

(١١) « آزار » . هو الشهر السادس فى السنة العبرية ، وآزار الثانى هو السادس المكرر فى السنين الكبيسة .

(١٢) « معبارت » بالعبرية هنا ، من « التعبير » ، بمعنى الوزن والتحقيق ، والمراد أنها سنة كاملة على القياس التام .

وأما مقابلة الشهور الميلادية بالعبرية ، فهى أن يجعل أول شهر « أبيب » بإزاء أول برج الحمل من ٢١ مارس إلى ٢٢ أبريل ، فى أول فصل الربيع .

(١٣) وذلك ، أنه لما كان الفرق بين السنة الشمسية وبين السنة القمرية ١٠,٣٦٧ يوم تقريبا ، فإنه لتذويب هذا الفرق بتلك الطريقة من الكبس ، فقد جعلوا السنة الناقصة من البسائط ٣٥٣,٠٠ يوما ، والناقصة من الكبائس ٣٨٣,٠٠ يوما ، وجعلت المعتدلة من البسائط ٣٥٤,٠٠ يوما ، والمعتدلة من الكبائس ٣٨٤,٠٠ يوما . فأما الزائدة من البسائط فهى ٣٥٥,٠٠ يوما ، والزائدة من الكبائس ٣٨٥,٠٠ يوما . والعمدة فى التمييز بين هذه الأنواع من السنين يتناول إضافة شهر آزار الثانى ، أو حذفه ، مع تعديل أيام الشهور الثلاثة الأول من كل سنة بما يناسب نوعها دون أن يزيد عدد ايام الشهر منها على ثلاثين يوما ، ولاينقص عن تسعة وعشرين يوما

(١٤) لايعرف يقينا تاريخ أول بناء للكعبة ، غير أن الأقرب على اعتبار ان ابراهيم الخليل أو ابنه اسماعيل ، أيهما أول من جاور الكعبة وأحاطها ، يشبه أن أول حجر وضع فيها للبناء ، كان سنة ١٨٢٨ ق . م ، فى أواخر سنى إبراهيم ، بعد وفاة سارة امرأته بسبع سنوات ، عندما ذهب لزيارة ابنه اسماعيل فى ارض مديان ، وتزوج هناك امرأته « قطورة » ، وكان اسماعيل إذ ذاك يبلغ من العمر سبعا وخمسين سنة . وفى التوراة ، (تكوين صح/٢٥) :

* وعاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا ، وولد يقشان شبا ودوان ، وكان بنو دوان : أشوريم ولطوشيم ، ولأوميم ، وبنو مديان . عيفة وعفر وأبيداع والدعة ، جميع هؤلاء بنو قطورة ..*

(١٥) وقيل فى ذلك : إن أبا معشر الغفارى كان له مجلس خاص بسوق عكاظ ، يجلس فيه ويفتخر على الناس ، فبسط يوما رجله وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز منى فليضربها بالسيف ، فوثب عليه رجل من كنانة فضربه بسيفه على ركبته فاحتزها واقتتل الفريقان .

الفصل الثالث

نسل آدم قبل الطوفان

آدم ، أبوالبشر ، لا جمع له ، خلقه الله من أديم الأرض ، وبه يسميه العرب وأهل المشرق : « آدم »[١]

وقدماء المصريين ، وهم من أوائل نسل آدم يسمونه :

(Otum  أتوم)

ويذكرون فى قصته : أنه أول من برز على قمة الأرض التى انحسر عنها الغمر الأزلى ، ومن ورائه إله الشمس :

(Re  رع)

ثم خلق نفسه من الماء والطين فى أحسن صورة وأكملها ، فسمى كذلك لتمامه فى الهيئة ، فهو أبوالبشرية وآلهة الأرض وأتباعهم[٢] جميعا .

واليهود يسمونه : « أدماه » ، وفى التوراة قوله :

* وجبل الرب الإله آدم من تراب الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار نفسا حية ، وغرس له فى عدن[٣] شرقا ، شجرا شهى النظر مثمرا جيد الأكل ، ووضع الرب آدم الذى جبله هناك ، وخلق له امرأته حواء[٤] .. *

والفرس يجعلون بدء التناسل على الأرض من لدن آدم اخر يسمونه : « كيومرث » ، ومعناها . ملك الأرض ، وهذا الاسم يشبه أنه محرف عن (جومر) بن يافث بن نوح ، وقد تبين من جداول الملوك الفرس البشدادية ، التى نقلها أبوالريحان البيرونى فى كتابه[٥] : (الآثار الباقية) أن آدم عندهم لا يتعدى سنة ٣٦٨٤ ق . م ، على تلك التسمية بعينها .

• وتاريخ آدم عند رجال الدين يبدأ من حيث طرده الله من الجنة التى وضعه فيها بعد أن صار عارفا للخير والشر ، وهو ، وإن كان فرضا ولاحقا لما هو بالحقيقة بداية خلق الإنسان على الأرض ، فهو يمثل أقرب الأزمنة لما يمكن تصوره لبداية الحضارة الإنسانية فى الأجيال المتقدمة .

فهو فى التوراة العبرية ، المعتمدة عند اليهود ، بحيال سنة ٤٠٠٤ ق . م ، وعليه قياس تسلسل مفردات السنين بين الأعلام إلى ما بعد السبى البابلى .

وأما التوراة السبعينية ، المنقولة باليونانية عن تلك ، فتنطق بزيادات فى سنى الأعلام تباعا ، منذ آدم إلى إبراهيم الخليل ، قدرها ألف وثلاث مائة وست وثلاثين سنة ، فيقع تاريخ آدم بإزاء سنة ٥٣٤٠ ق . م .

والتقويم العبرى الحديث المصحح على السنين الشمسية يبدأ من سنة ٣٧٦٠ قبل الميلاد ، نزولا إلى زماننا ، وموقعه فى نسختى التوراة يختلف باختلاف القول فى آدم أو فى حدوث الطوفان ، أيهما جعل أساسا فى ترتيب السنين تباعا ، غير أنا إذا حولنا مفردات سنى الأعلام ومجموعاتها إلى التقويم الشمسى ، بدلا عما ذكروه فى التوراة بإزائها على التقويم العبرى القديم ، على نظام الشهور القمرية ، ظهر أن :

أول السنين العبرية بحيال سنة ٣٧٦٠ ق . م ، يقع فى التوراة المعتمدة بالعبرية عند اليهود ، بإزاء مولد شيث بن آدم ، ويقع فى التوراة السبعينية بإزاء لامك بن متوشالح ، أبى نوح .

وأكثر المؤرخين القدامى إنما يعتمدون فى ذلك على ما جاء فى النسخة السبعينية ، على زعم أنها قد تكون أقرب إلى الواقع من تلك ، ومن هؤلاء المؤرخ اليهودى « يوسيفوس(٦) isephus » ، المتوفى سنة ١٠٠ م .

وبعض المؤرخين يعتمدون على بداية التاريخ العبرى مقابلا لسنة ٣٧٦٠ ق . م ، ويجعلونه بإزاء ميلاد نوح تارة ، فيقع تاريخ آدم ، على تقدير مفردات النسخة السبعينية بحيال سنة ٥٤٠٢ ق . م ، أو على مقادير مفردات النسخة العبرية بإزاء سنة ٤٨١٦ ق . م .

وقد يجعلونه مقابلا لتاريخ أولاد نوح الثلاثة ، فيقع تاريخ آدم على هذا السبيل بزيادة قدرها خمسمائة سنة .

وقد يجعلون كذلك أول التقويم العبرى بإزاء حدوث الطوفان ، فيقع تاريخ آدم فى النسخة العبرية على سنة ٥٤١٦ ق . م . وفى النسخة السبعينية على سنة ٦٠٠٢ ق . م .

غير أنه متى كان النظر على هذا السبيل فرضا ، فقد يحدث من جراء ذلك اضطراب فى تواريخ الأعلام ، وخاصة فيمن ذكرتهم التوراة بعد الطوفان ، ويبدو الأمر إرتجالاً على غير هدى .

ولذلك آثرنا أن نبين بالتفصيل تباعا نسل آدم قبل الطوفان ، ثم نسل نوح من بعده ، طبقا لما جاء فى نسختى التوراة جميعا ، دون تغيير فى أيهما ، ثم نردف كلا منهما بجدول يتبين فيه موقع كل واحد من الأعلام ، مع تصحيح مقادير السنين على التقويم الشمسى مع ما يناظرها بإزائه فى التقويم العبرى المعهود .

ومن خلال ذلك يمكن بوجه ، أقرب إلى الاستقصاء ، أن ننظر فى العصر العتيق ، فيما هو قبيل عهد الأسرات الملكية الفرعونية ، من بين تلك الأزمنة المتعالية فى القدم ، حيث يبدو أنه لايتجاوز تاريخ آدم ، كما أنه ليس هنالك من الدلائل مايشير إلى أن حدوث الطوفان كان قبل بداية التاريخ العبرى سنة ٣٧٦٠ ق . م .

١ ـ قايين وهابيل ولدا آدم :

وفى التوراة(٧) :

أن أول أولاد آدم ، قبل الطوفان ، قايين وهابيل أخوه ، فأما قايين فكان عاملا فى الأرض ، وكان هابيل راعيا للأغنام .

وحدث أن قايين قدم قربانا للرب من ثمار الأرض ، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه وسمانها ، فقبل الرب قربان هابيل ولم ينظر إلى قايين ، فغضب وحقد على أخيه فقتله ، فناداه الرب قائلا : هذا دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض ، ملعونة هى بسببك إن فتحت فاها لتقبل دم أخيك ، وتائها تكون

أنت فى الأرض ، فسقط قايين على وجهه ، وخرج فسكن فى أرض نودٍ[8] ، شرقى عدن .

وهذه القصة ، قد فصلها غريغوريوس بن أهرون ، المعروف بابن العبرى[9] ، فيما ملخصه :

« إن آدم ولد له أربعة : قايين وأخته « قليما » توأمان ، ثم هابيل وأخته « لبوذا » توأمان ، فأراد آدم ألا يتزوج الأخ بأخته التوأم ، بل إنما يتزوج بتوأمه أخيه ، فرفض قايين أمر أبيه ، ثم قدما للرب قربانا فلم يقبل قربان قايين ، فغضب فقتل أخاه حتى يتزوج بأخته .... » .

ومثل هذا القول فى معناه ، من حيث الغضب إلى حد القتل ، وسفك الدماء ، قريب بوجه ما ، مما جاء عن قصص الآلهة على الأرض ، فى عقائد قدماء المصريين ، وهى قصة (أوزير وأخيه ست) :

وذلك أن الإله الأعظم خلق السماء ، وخلق الأرض والحياة عليها ، ثم جبل « أتوم » من الطين وجعل له زوجة من جنسه ليثمرا فى الأرض ، فولد « أوزير وأخته إزيت » توأمين ، وكانا مثال الخير والخصب والسعادة ، ثم ولد « ست وأخته نفتيس » توأمين ، وكانا مثال الجدب والشقاء ، ورأى « ست » بطبيعة الشرفية ، أن يقتل أخاه حتى ينفرد بالحكم على الأرض ، فقتله وقطعه أشلاء ، غير أن زوجته « إزيت » جمعتها من أماكنها ، وقام من بعده ابنه « حور » فتغلب على « ست » وملك الأرض بعد أبيه .

وهذه قصة مشهورة فى عقائد المصريين[10] ، ترجمها « بلوتارخ » اليونانى ، المؤرخ المعروف ، ووضع لها عدة تفسيرات ، أشهرها وأقربها إلى العقل أن « أوزير » يمثل النيل ، وهو شريان الحياة ، وزوجه « إيزيت » هى رمز الأرض الخصبة التى تروى بمائه فتجلب الخير والأمان ، فأما « ست » فهو رمز الجدب والقسوة والصحراء القاحلة .

فأحدهما « أوزير » بمثابة هابيل من ولدى آدم ، فى قصة التوراة ، والآخر « ست » بمثابة « قايين » قاتل أخيه ، الذى طرده الله ليسكن صحراء نود .

٢ ـ شيث بن آدم :

فلما كان آدم له من العمر مائة وثلاثون سنة ، ولد له ابنه « شيث » ، وكان

صبيحا جبارا تام الخلق ، ومات آدم وله من العمر تسع مائة وثلاثون سنة ، وولد له بنون وبنات .

وفى « التوراة السبعينية » : أن آدم ولد شيثاً لما كان له من العمر مائتان وثلاثون سنة .

وفى كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦ م ، قال :

« شيث بن آدم ، يقال إنه أول من ابتدع الكتابة ، وشوق أولاده إلى الحياة السعيدة التى كانت لأبويه فى الجنة ، فانقطعوا إلى الجبل معتكفين على العبادة والنسك والعفة ، لا يطوون بجنبة النساء ، فسموا بذلك : بنو ألوهيم ، أى الإله ..... » .

وقال : « والصابئة[١١] تزعم أن شيث بن آدم هو « أغاثا ديمون » المصـرى معلم هرمس[١٢] .... » .

٣ ـ أنـوش بـن شـيث :

فى التوراة : « وعاش شيث مائة وخمس سنين ، وولد له « أنوش » ، وحينئذ ابتدىء أن يدعى باسم الرب ، ومات شيث وله من العمر تسع مائة واثنتا عشرة سنة ، وولد له بنون وبنات .... »

وفى التوراة السبعينية ، باليونانية : « وشيث ولد له ابنه « أنوش » حين بلغ من العمر مائتين وخمس سنين ..... » .

وفى كتاب (مختصر تاريخ الدول) لابن العبرى ، قوله :

« أنوش بن شيث ، يقال إنه أول من دعا اسم الرب ، ومنحه الله تعالى معرفة الأكوان ومسير الكواكب ، وهو ، وإن لم يجانب النساء ، لم يغفل التقرب إلى الله زلفى .... » .

٤ ـ قينان بن انوش :

فلما كان عمر أنوش تسعين عاما ، ولد له قينان أبنه ، ومات أنوش وله

من العمر تسع مائة وخمس سنين ، وولد بنين وبنات .

وفى التوراة اليونانية : أن قينان ولد لما كان عمر أنوش أبيه مائة وتسعين سنة .

٥ ـ مهللئيل بن قينان :

وقينان ، لما كانت له من العمر سبعون سنة ، ولد ابنه مهللئيل ، ومات قينان ، عن تسع مائة وعشر سنين ، بعد أن ولد له بنون وبنات .

وفى النسخة اليونانية : وعاش قينان مائة وسبعين سنة ، ثم ولد له ابنه مهللئيل .

٦ ـ يارد بن مهللئيل :

وعاش مهللئيل خمسا وستين سنة ، وولد له ابنه : يارد ، ثم مات مهللئيل وله من العمر ثمان مائة وخمس وتسعون سنة ، وولد له بنون وبنات .

وفى النسخة اليونانية : أن مهللئيل ولد له يارد ، إذ كان له من العمر مائة وخمسا وستون سنة .

وفى كتاب : « تاريخ مختصر الدول » لابن العبرى :

« أنه فى سنة أربعين من عمر يارد ، هبط بنو ألوهيم ، أولاد شيث ، من الجبل ، بعد أن يئسوا من العود إلى الفردوس ، ورغبوا فى النساء ، فلم يقبل بنو قرابتهم أن يزوجوهم ، مستخفين بهم ، فاختطبهم قوم قايين باذلين لهم بناتهم ، فنكحوهن فولدن الجبابرة المبرزين فى الحروب والغارات ، وقيل إن بنات قايين اخترعن آلات الملاهى ذامرات بها .... » .

٧ ـ أخنوخ بن يارد :

وعاش يارد مائة واثنين وستين سنة وولد له ابنه « أخنوخ » ، ثم مات يارد وله من العمر تسع مائة واثنتان وستون سنة ، وولد له بنون وبنات .

وأخنوخ(١٣) : هو إدريس ، عليه السلام ، جاء ذكره فى القرآن ، فى

قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا » .

وتفسير قوله : « ورفعناه مكانا عليا » ، قال فيه أبوالفداء ، صاحب كتاب « البداية والنهاية » ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

« إن ملكا حمله إلى السماء الرابعة ، فلما كان فى هذا الموضع لقيه ملك الموت وهو فى طريقه إلى الأرض ليقبض روحه ، فقال له : أين إدريس ؟ قال : هو ذا على ظهرى ، فقبض روحه فى السماء قبل أن يصل إلى الأرض .... » .

ويشبه عند قدماء اليونان (هرمس Hermes) ، وقيل إنه أول من خط بالقلم وعنى بالعلوم الإلهية .

فأما قدماء المصريين فعندهم الإله « تحوت » رب المعرفة والكتابة والعلوم ، وكانوا يصورونه على هيئة قرد صغير يعتلى ظهر الكاتب خلف كتفيه ورأسه ، فيفيض عليه الوحى والإلهام والحكمة ، وتارة يصورونه على هيئة رجل له وجه الطائر : « إبيس » ، ذى المنقار الأقنى الطويل ، ويحمل فى يمناه القلم وفى الأخرى محبرة .

وفى كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى :

« وقيل : إن الهرامسة ثلاثة ، أولهم « هرمس » الساكن بصعيد مصر الأعلى ، وهو أول من تكلم فى الجواهر العلوية ، وأنذر بالطوفان فبنيت من بعده الأهرامات ، والثانى « هرمس » البابلى[١٤] ، وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش ، والثالث : « هرمس » المصرى ، الذى يسميه اليونانيون : (طريطى ميجستس Trite Megestises) ، أى : صاحب العلوم الإلهية الثلاثة ، وهى : الوجود والحكمة والحياة .... » .

٨ ـ متوشالح بن أخنوخ :

وعاش أخنوخ ، خمسا وستين سنة وولد له ابنه « متوشالح » ثم سار أخنوخ مع الله بعد ذلك ثلاثمائة سنة ، ولم يوجد[١٥] ، لأن الله أخذه .

وفى النسخة السبعينية : أن أخنوخ ولد متوشالحا وله من العمر مائة وخمس وستون سنة .

٩ ـ لامك بن متوشالح :

وعاش متوشالح مائة وسبعة وثمانين سنة ، وولد له ابنه لامك[١٦] ، ثم مات لامك وله من العمر تسعمائة وتسع وستون سنة ، بعد أن ولد بنين وبنات[١٧] .

١٠ ـ نوح بن لامك :

وعاش لامك مائة واثنتين وثمانين سنة ، وولد له ابنه نوح[١٨] ، وكانت حياة لامك سبعمائة وسبعة وسبعين سنة ، وولد له بنون وبنات .

وفى أيامه طغى الناس وأباحوا المحارم ، وكان نوح بارا صديقا ، فأوحى الله إليه بأمر الطوفان .

سام وحام ويافث (أولاد نوح)

ولما بلغ نوح من العمر خمسمائة سنة ، ولد له ثلاثة أبناء وهم : سام ، وهو الأكبر ، ثم حام ، ثم يافث ، وهو الأصغر ، وفى سنة ستمائة من عمر نوح حدث الطوفان وعاش نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ثم مات .

الطوفان الأعظم :

وفى التوراة [١٩] قوله :

* وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ، أن الرب رأى شر الإنسان قد كثر وأن تصور أفكاره إنما هو شرير ، فأوحى إلى نوح ، وكان رجلا بارا كاملا فى أجياله ، وقال له : نهاية كل بشر قد أتت أمامى ، لأن الأرض امتلأت ظلما منهم ، فاصنع لنفسك فلكا من جفر[٢٠] تطليه بالقار وتجعله مساكن سفلية وعلوية ومتوسطة ، فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل ذى جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، ولكن أقيم عهدى معك ، فتدخل إلى الفلك من كل حى ذى جسد اثنين اثنين ذكرا وأنثى ، ومن الطيور كأجناسها ، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها اثنين اثنين ذكرا وأنثى ، وقال لنوح : ادخل أنت وأهل بيتك وبنوك ونساء بنيك إلى الفلك ، فإنى سأمطر الأرض أربعين يوما وليلة .

وفى سنة ستمائة من حياة نوح انفجرت ينابيع الغمر العظيم ، فكان الطوفان على الأرض أربعين يوما ، وتعاظمت المياه فغطت الجبال خمسة

عشر ذراعا فى الأرتفاع ، فمحا الله كل قائم حى كان على وجه الأرض ، وظلت المياه مائة وخمسين يوما[٢١] .... *

وقصة الطوفان هنا ، لها ما يماثلها فى عقائد الأمم الشرقية ، من الأساطير التى تحكى غضب الآلهة ، وإقدامها على محاولة إفناء البشرية ، وأقدم ذلك ماجاء فى عقائد المصريين القدماء ، تقول الأسطورة :

« لما كثر الناس على الأرض ، وكانوا يرون اختفاء الشمس أياما وراء السحب ، ظنوا أن الإله (رع) قد أصابه الوهن والإعياء ، فلم يقو على الظهور ، فأخذوا يتهكمون عليه بأنه فقد شبابه وأصبح هرما ، فغضب ودعا مجلس الآلهة ، وعلى رأسهم كبيرهم إله الغمر (نوّ nw) ، وقال لهم : أرى البشر الذين خلقتهم يتآمرون ضدى ، ولم أقدم على إفنائهم حتى يجتمع مجلس الآلهة فأسمع ما تشيرون ، فقال إله الغمر : أنت أعظم الآلهة ، ونرى أن تكتفى بأن تنظر إليهم بعين الغضب فيخافون ، فأرسل عليهم إله الشمس شعاعا أهلك به الكثيرين على الأرض ، فأخذ الناس يختفون فى الجبال ، وكانت الهة اخرى مع ذلك تقتل الناس ليلا وتسبح فى دمائهم ، ثم ندم الإله الأعظم (رع Re) ، إذ كاد يفنى ما بقى من البشر ، فغض بصره عنهم ، وصاح فيمن حوله من الآلهة أن يسرعوا على أجنحة الريح إلى جزيرة « آبو[٢٢] » حتى يأتوا بمغرة حمراء يخلطونها فى جرار مع الجعة التى تحبها الآلهة ويسكبونها على الأرض ، فلما جاءت الالهه ليلا تسلت برؤية الدم وشربت من ذلك الخليط ، فلم تقو على ما اعتزمت عليه من إفناء البقية من البشرية ، وعادت إلى السماء[٢٣] » .

فأما تاريخ حدوث الطوفان ، فإنه يختلف فى نسختى التوراة باختلاف موقعه من التاريخ الذى يفرض لآدم ابتداء لتناسل البشر ، ثم منه إلى ميلاد إبراهيم الخليل ، تبعا لمقادير أعمار المواليد ، فى كلا النسختين .

وقد ظهر فى الجدول التالى أن الطوفان ، بحساب ما فى النسخة العبرية المعتمدة عند اليهود ، إنما يكون مقابلا لأواخر الأسرة السادسة من الأسرات الفرعونية ، ويكون أيضا ، على قياس ما فى النسخة السبعينية . بإزاء أواخر الأسرة الأولى .

(جدول بيان مواليد آدم قبل الطوفان، كما في نسختي التوراة)

أسماء الأعلام	التوراة العبرية: عدد السنين	التوراة العبرية: تاريخ ق.م	تصويب: عدد السنين	تصويب: التاريخ الميلادي	تصويب: التاريخ العبري
آدم (قابين وهابيل)	-	ق.م ٤٠٠٤	-	ق.م ٣٨٨٦	
شيث بن آدم	١٣٠	٣٨٧٤	١٢٦	٣٧٦٠	عبرية ١
أنوش بن شيث	٢٣٥	٣٧٦٩	٢٢٨	٣٦٥٨	١٠٢
قينان بن أنوش	٣٢٥	٣٦٧٩	٣١٦	٣٥٧٠	١٩٠
مهلئيل بن قينان	٣٩٥	٣٦٠٩	٣٨٣	٣٥٠٣	٢٥٧
يارد بن مهلئيل	٤٦٠	٣٥٤٤	٤٤٦	٣٤٤٠	٣٢٠
أخنوخ بن يارد	٦٢٢	٣٣٨٢	٦٠٣	٣٢٨٣	٤٧٧
متوشالح بن أخنوخ	٦٨٧	٣٣١٧	٦٦٦	٣٢٢٠	٥٤٠
لامك بن متوشالح	٨٧٤	٣١٣٠	٨٤٨	٣٠٣٨	٧٢٢
نوح بن لامك	١٠٥٦	٢٩٤٨	١٠٢٤	٢٨٦٢	٨٩٨
سام وحام ويافث (أولاد نوح)	١٥٥٦	٢٤٤٨	١٥١٠	٢٣٧٦	١٣٨٤
الطوفان	١٦٥٦	٢٣٤٨	١٦٠٧	٢٢٧٩	١٤٨١

من آدم إلى الطوفان في التوراة العبرية

أسماء الأعلام	التوراة اليونانية: عدد السنين	التوراة اليونانية: تاريخ ق.م	تصويب: عدد السنين	تصويب: التاريخ الميلادي	تصويب: التاريخ العبري
آدم (قابين وهابيل)	-	ق.م ٥٣٤٠		ق.م ٥١٨١	
شيث بن آدم	٢٣٠	٥١١٠	٢٢٣	٤٩٥٨	
أنوش بن شيث	٤٣٥	٤٩٠٥	٤٢٢	٤٧٥٩	
قينان بن أنوش	٦٢٥	٥٣١٥	٦٠٧	٤٥٧٤	
مهلئيل بن قينان	٧٩٥	٤٥٤٥	٧٧٢	٤٤٠٩	
يارد بن مهلئيل	٩٦٠	٤٣٨٠	٩٣٢	٤٢٤٩	
أخنوخ بن يارد	١١٢٢	٤٢١٨	١٠٨٩	٤٠٩٢	
متوشالح بن أخنوخ	١٢٨٧	٤٠٥٣	١٢٤٩	٢٩٣٢	
لامك بن متوشالح	١٤٦٤	٣٨٧٦	١٤٢١	٣٧٦٠	عبرية ٠١
نوح بن لامك	١٦٤٢	٣٦٩٨	١٥٩٤	٣٥٨٧	١٧٣
سام وحام ويافث (أولاد نوح)	٢١٤٢	٣١٩٨	٢٠٧٨	٣١٠٣	٦٥٧
الطوفان	٢٢٤٢	٣٠٩٨	٢١٧٥	٣٠٠٦	٧٥٤

من آدم إلى الطوفان في التوراة السبعينية

(١) انظر « لسان العرب » مادة (آدم) .
(٢) أنظر « عقائد المصريين القدماء » - فى أكثر المراجع .
(٣) « عدن » ، ويقال (كنعادن) ، والمراد أنها الأرض المتمرة الطيبة الاقامة ، ويخيل أنها أرض ما بين النهرين ، دجلة والفرات وفروعهما ، وقد تسمى أرض (كنعان) بتلك التسمية (كنعادن) .
فأما قوله « فى عدن شرقا » ، يعنى إلى يمين البحر الأعظم ، وهو بحر الروم ، المسمى الآن بالبحر المتوسط
(٤) « التوراة » - سفر التكوين ، صح/٢ .

(٥) انظر كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) - للبيرونى - جداول تواريخ ملوك الفرس البشدادية - ص/١٠٨ ، وقد ذكر المؤلف أنها منقولة عن كتاب (ايستا) ، وهو كتاب دينهم ، ومفردات السنين فيه تبدو غير دقيقة .
ومع ذلك ، فإنه على رغم أنها سنون صحيحة ، كما نقلها « البيرونى » ، فإن سنة ٣٦٨٤ ق م بإزاء « جومر بن يافث » ، توحى بأن التاريخ العبرى الذى أوله سنة ٣٧٦٠ ق . م ، أقرب إلى تاريخ ميلاد سام وحام ويافث أولاد نوح ، أو هو تاريخ حدوث الطوفان ، فى رأى اليهود فرصا ، ولسنا فى ذلك على ثقة

(٦) وهو صاحب كتاب (التاريخ القديم لليهود) - طبع بيروت سنة ١٨٧٢ م .
Lodaike Arehologio Antlguitasıs ıodaica - by Tlavius loscphus.

ويشتمل على ثلاثة كتب أولها الكتاب الذى تناول فيه تاريخ اليهود منذ بدء الخليقة إلى عام ٦٥ م .
والكتاب الثانى (حرب اليهود) أرخ فيه عن الحرب بين اليهود والرومان إلى سنة ٧٠ م ، والتى انتهت بسقوط أورشليم .
والكتاب الثالث (ضد أبيون السكندرى) - للرد على خصوم اليهودية ، ممن كانوا يصفونهم بأنهم رعاة أنجاس

(٧) سفر التكوين - أصحاح/٤
(٨) أرض نود : يريد بها صحراء الشام ، وفى هامش التوراة « التيه » .
(٩) أنظر المرجع السابق ، كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦ م

(١٠) أنظر « الموسوعة المصرية - تاريخ مصر القديمة » مادة (أوزير ,ي) .
وانظر رسالة (بلوتارخوس) عن ايزيس وأوزيريس - ترجمة د . حسن صبحى بكرى - طبع القاهرة سنة ١٩٧٧ .

(١١) « الصابئة » لفظ آرامّى قديم يعنى الحرانيين أصحاب العقائد ممن كانوا يقطنون شمال العراق ، ثم تفرقوا .
(١٢) « هرمس Hermes » لفظ يونانى ، يطلقونه على المعبود المصرى القديم إله المعرفة والكتابة المسمى « تحوت » وهو أيضا إله الحكمة عند الإغريق .

(١٣) « أخنوخ » وينطق « خنوخ » وقد يحرف بالعربية إلى « حنوك » وكلاهما عن العبرية ، وله « سفر أخنوخ » ، كتب خاصة به ، فيما روى عنه ، وهو من الأسفار الخاصة ، غير القانونية .

(١٤) « هرمس البابلى » قد يعنى به الإله « بعل ـ بالوس » الأشورى .

(١٥) قوله « . . .. ولم يوجد لأن الله أخذه » ، يعنى أنه لم يمت على الأرض وإنما رفع إلى السماء .

(١٦) وفى كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق) للبطريرك أفتشيوس ، المعروف بابن البطريق

« أن لامكا كان يدعى « لمشيزاداق » ، ومعناها كاهن الله » . ويبدو أن هذه شبه كنية كانت تطلق على كبار الكهنة ، بمعنى . الملك الصادق .

(١٧) وفى النسخة السبعينية « متوشالح ولد له لامك بعد مائة وسبع وستين سنة ، ويبدو أنه تحريف ، والأصح أن هذه المدة مائة وسبع وسبعون سنة ، وقد اعتمدناها كذلك

(١٨) وفى النسخة السبعينية . أن لامكا عاش مائة وثمانى وثمانين سنة ، ثم ولد له ابنه نوح ، ويبدو أنه تحريف وقد اعتمدنا أن ما بين لامك إلى نوح مائة وثمان وسبعون سنة ، ليتم بها مجموع ما بين متوشالح إلى نوح ، فى هذه النسخة

(١٩) سفر التكوين أصحاح/ ٦ و ٧

(٢٠) جفر ربما كانت من صفات الخشب وأسمائه ، ويشبه أنه يريد خشب « الكافور » ، لأنه يتشرب دهانه بالقطران .

(٢١) وفى التوراة : أن فلك نوح استقر بعد الطوفان على جبال أراراط ، وهى جبال القوقاز العالية الواقعة شمال أرمينيا .

(٢٢) جزيرة (أبو) يريد جزيرة « الفنيين Elephant »

(٢٣) وهناك بعض أساطير أخرى عن الطوفان ، قد لاتختلف كثيرا عما ذكرته « التوراة » أو عما جاء فى معتقدات المصريين ، ومنها أسطورة السومريين عن الطوفان ، فى بلاد العراق ـ أنظر : « معالم العصر التاريخى فى العراق القديم » ـ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٣ .

نسل أولاد نوح بعد الطوفان

وفى التوراة[١] .

* وكان فى السنة الواحدة والستمائة من عمر نوح ، فى الشهر الثانى ، أن وجه الأرض قد جف ، فكلم الرب نوحا قائلا : أخرج من الفلك ، أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك ، وكل الحيوانات والطيور والدبابات ، أخرجها معك لتتوالد وتكثر على الأرض ، فخرج نوح وبنى مذبحا للرب وأصعد عليه من البهائم الطاهرة ومن الطيور الطاهرة محرقات ، فرضى الرب وبارك نوحا وبنيه ، وقال لهم . ميثاقى معكم علامة قوس[٢] فى السحاب ، فلا أعود أرسل طوفانا يهلك كل ذى جسد على الأرض بعد الآن ...... *

وعاش نوح ، بعد الطوفان ، ثلاثمائة وخمسين سنة ، فكانت كل أيام نوح تسعمائة وخمسين سنة .

وكان بنو نوح ، الذين خرجوا معه من الفلك ، ثلاثة . أكبرهم[٣] سام ، ثم حام ، ثم يافث .

فأما مواليد سام بن نوح ، فهم[٤] :

١ ـ أرفكشاد بن سام :

لما كان سام له من العمر مائة سنة ، ولد له ابنه : أرفكشاد ، وذلك بعد الطوفان بسنتين ، وعاش سام بعد أن ولد أرفكشاد خمسمائة سنة وولد بنون وبنات .

٢ ـ قينان بن أرفكشاد :

لم يرد ذكر قينان فى التوراة العبرية إلا فى هامش المتن من الترجمة بالعربية ، بما يفيد أنه ابن أرفكشاد[٥] .

وفى النسخة السبعينية : أن أرفكشاد لما بلغ من العمر مائة وثلاثين[٦] سنة ولد له قينان ابنه ، وجميع أيامه أربعمائة وخمس وستون سنة .

وفى كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى ، قوله :

« وقينان هذا ، قيل إنه اخترع علم الأفلاك ، بعد الطوفان ، وقد اتخذه بنوه إلها وصاغوا له تمثالا بعد وفاته وسجدوا له ، وهو الذى بنى مدينة حاران[٧] ، على اسم « هاران » ابنه » .

٣ ـ شالح بن قينان :

فى التوراة العبرية : « شالح بن أرفكشاد » ، فى قوله :

« ولما بلغ أرفكشاد من العمر خمسا وثلاثين سنة ، ولد له « شالح » ، وعاش بعد ذلك أربعمائة وثلاث سنين ، وولد له بنون وبنات .... »

وهذا القول مبنى ، على قياس أن قينان لم يذكر فى متن التوراة العبرية ، فأما فى التوراة السبعينية : أن قينان لما بلغ من العمر مائة وخمسا وثلاثين سنة ولد له ابنه شالح .

ولذلك ، فقد اعتمدنا نحن فى ترتيب المواليد : أن أرفكشاد ولد قينان ، وأن قينان هذا ولد شالحا ابنه ، مع مراعاة مجموع المدة من الطوفان إلى إبراهيم .

٤ ـ عابر بن شالح :

فى النسخة العبرية : « وعاش شالح ثلاثين سنة وولد له ابنه : عابر ، وعاش بعد ذلك أربعمائة وثلاث سنين ، وولد بنين وبنات » .

فأما فى النسخة السبعينية : « ولما بلغ شالح من العمر مائة وثلاثين سنة ولد له ابنه عابر[٨] » .

٥ ـ فالج بن عابر :

وعابر لما كان له من العمر أربع وثلاثون سنة ، ولد له ابنه فالج ، ثم عاش بعد ذلك أربعمائة وثلاثين سنة ، وولد بنين وبنات .

وفى التوراة السبعينية . أن عابرا عاش مائة وأربعا وثلاثين سنة ، وولد له « فالج » ، لأن فى أيامه قسمت الأرض .

وعن كتاب (ابن العبرى) قوله :

« وفى سنة مائة وأربعين من حياة فالج ، فلجت الأرض ، أى قسمت بين ولد نوح ، فصار لبنى شام : وسط المعمورة ، فلسطين والشام وأثور والسامرة وبابل وفارس والحجاز .

ولبنى حام : التيمن كله ، أى الجنوب ، افريقيا والزنج ، ومصر والنوبة والحبشه ، والسند والهند .

ولبنى يافث : الجربيا ، أى الشمال ، وهى الأندلس والافرنجة وبلاد اليونانيين والصقالبة والبلغار والترك والأرمن .

ثم بعد وفاة فالج ثارت الفتن بين بنيه وبين بنى يقطان أخيه ، وشرع الناس فى تشييد الحصون ..... » .

٦ ـ أرعو بن فالج :

وفالج ، لما كان عمره ثلاثين سنة ولد له ابنه : أرعو ، وعاش فالج بعد ذلك مائتين وتسع سنين ، وولد له بنون وبنات .

وفى التوراة السبعينية : أن فالجا عاش مائة وثلاثين سنة ، ثم ولد له ابنه : أرعو .

وفى كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيرونى[٩] ، قوله :

« وحكى بعض أهل الأخبار : أن تبلبل الألسن كان موافقا لمولد « أرعو » ، وأن نمرود بن كوش بن حام ، ملك بعد ثلاث وعشرين سنة من « أرعو » ، فكانت مملكة بابل أول مملكة قامت فى أرض شنعار[١٠] .... »

وذكر ابن العبرى ، فى كتابه (تاريخ مختصر الدول)[١١] :

أن تبلبل الألسن كان فى سنة سبعين من ميلاد « أرعو » ، حين قال

الناس بعضهم لبعض : هلموا نضرب لبنا ونحرق آجرا ونبنى صرحا شامخا فى علو السماء ليكون لنا ذكرا ، حتى لا نتبدد على وجه الأرض ، فلما جدوا فى ذلك بأرض شنعار ، وهى السامرة[١٢] ، قال الله تعالى : « هؤلاء ، إذا كان ابتداء عملهم هذا ، فإنهم لا يعجزون عن شىء يهتمون به ، فبلبل ألسنتهم ، وتبدد شملهم ، فسميت بذلك مدينة بابل .... » .

٧ - سروج بن أرعو :

وعاش أرعو اثنتين وثلاثين سنة وولد له سروج[١٣] ابنه ، وعاش بعد ذلك مائتين وسبع سنين وولد بنين وبنات .

وفى النسخة السبعينية : أن أرعو عاش مائة وثلاثين سنة ، ثم ولد له ابنه سروج .

قال ابن العبرى :

« إن ساروغ ، أظهر سك الدراهم والدنانير ، وفى أيامه أكثر الناس من اتخاذ الأصنام[١٤] ، وكان الشياطين يظهرون منها الآيات الباهرة .... » .

٨ - ناحور بن سروج .

وعاش سروج ثلاثين سنة ، ثم ولد له ابنه : ناحور ، وعاش بعد ذلك مائتى سنة ، وولد بنين وبنات .

وفى نسخة التوراة السبعينية : أن سروجا عاش مائة وثلاثين سنة ، وولد له ابنه : ناحور .

٩ - تارح بن ناحور :

وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد له ابنه : تارح[١٥] ، وعاش بعد ذلك مائة وتسع عشرة سنة وولد له بنون وبنات .

وفى التوراة السبعينية : ان مولد تارح كان بعد تسع وسبعين سنة من حياة أبيه ناحور .

قال ابن العبرى :

« وفى سنة خمس وعشرين من حياة ناحور ، كان جهاد أيوب الصديق ، على رأى أرواذ الكنعانى ، وفى أيامه بنى أرمونيس ، ملك كنعان ، سدوم وعامورا ، على اسم ولديه ، وبنى مدينة : سوغر(١٦) على اسم أمهما زوجته .... » .

١٠ - إبرام بن تارح :

وعاش تارح سبعين سنة وولد له ابنه : إبرام(١٧) ، وكانت جميع أيامه مائتين وخمسا وسبعين سنة ، ومات بمدينة حِاران .

وقيل . إنه فى أيام تارح بنى مورفوس ، ملك فلسطين ، مدينة دمشق(١٨) ، قبل ميلاد إبراهيم بعشرين سنة .

وإبرام بن تارح هو إبراهيم الخليل ، جد بنى إسرائيل ، وفى نسختى التوراة جميعا : أن تارحا عاش سبعين سنة ، ثم ولد له : إبرام وناحور وهاران ، أبناؤه .

وإلى هنا ، يتفق التاريخ فى كلا النسختين عن التوراة ، كما فى الجدول :

وفى الجدول الثانى ، أضيف اسم قينان بن أرفكشاد ، اعتمادا على ما فى التوراة اليونانية ، وذلك تنظيما لترتيب الأعلام وسنى كل منهم تباعا ، منذ البدء من لدن آدم فرضا إلى ميلاد إبراهيم الخليل .

(جدول يبين مواليد نوح بعد الطوفان، كما في نسختي التوراة)

أسماء الأعلام	التوراة العبرية: عدد السنين	التوراة العبرية: تاريخ تقويم	تصويب: عدد السنين	تصويب: التاريخ الميلادي	تصويب: التاريخ العبري	التوراة اليونانية: عدد السنين	التوراة اليونانية: تاريخ تقويم	تصويب: عدد السنين	تصويب: التاريخ الميلادي	تصويب: التاريخ العبري
الطوفان	١٦٥٦	ق.م ٢٣٤٨	١٦٠٧	ق.م ٢٢٧٩	١٤٨١	٢٢٤٢	ق.م ٣٠٩٨	٢١٧٥	ق.م ٣٠٠٦	٧٥٤
أرفكشاد بن سام	١٦٥٨	٢٣٤٦	١٦٠٩	٢٢٧٧	١٤٨٣	٢٢٤٤	٣٠٩٦	٢١٧٧	٣٠٠٤	٧٥٦
(قينان بن أرفكشاد)	١٦٨٦	٢٣١٨	١٦٣٧	٢٢٤٩	١٥١١	٢٣٧٢	٢٩٦٨	٢٣٠١	٢٨٨٠	٨٨٠
شالح بن قينان	١٧٢١	٢٢٨٣	١٦٧١	٢٢١٥	١٥٤٥	٢٥٠٧	٢٨٣٣	٢٤٣٢	٢٧٤٩	١٠١١
عابر بن شالح	١٧٥١	٢٢٥٣	١٧٠٠	٢١٨٦	١٥٧٤	٢٦٣٧	٢٧٠٣	٢٥٥٨	٢٦٢٣	١١٣٧
فالج بن عابر	١٧٨٥	٢٢١٩	١٧٣٣	٢١٥٣	١٦٠٧	٢٧٧١	٢٥٦٩	٢٦٨٨	٢٤٩٣	١٢٦٧
رعو بن فالج	١٨١٥	٢١٨٩	١٧٦٢	٢١٢٤	١٦٣٦	٢٩٠١	٢٤٣٩	٢٨١٤	٢٣٦٧	١٢٩٣
سروج بن رعو	١٨٤٧	٢١٥٧	١٧٩٣	٢٠٩٣	١٦٦٧	٣٠٣٣	٢٣٠٧	٢٩٤٢	٢٢٣٩	١٥٢١
ناحور بن سروج	١٨٧٧	٢١٢٧	١٨٢٢	٢٠٦٤	١٦٩٦	٣١٦٣	٢١٧٧	٣٠٦٨	٢١١٣	١٦٤٧
تارح بن ناحور	١٩٠٦	٢٠٩٨	١٨٥٠	٢٠٣٦	١٧٢٤	٣٢٤٢	٢٠٩٨	٣١٤٥	٢٠٣٦	١٧٢٤
إبرام بن تارح	١٩٧٦	٢٠٢٨	١٩١٨	١٩٦٨	١٧٩٢	٣٣١٢	٢٠٢٨	٣٢١٣	١٩٦٨	١٧٩٢

من الطوفان إلى إبراهيم الخليل
كما في التوراة العبرية

من الطوفان إلى إبراهيم
كما في التوراة السبعينية

ويجدر هنا أن نشير إلى أن تلك الأعمار الطوال التي ذكرت في التوراة بإزاء كل واحد منهم ، إنما تثير الشك في أنها تنطبق على أسماء أفراد في ذواتهم ، بل إنما هي بحيال أجيال من الناس ينتسب كل منهم إلى اسم واحد من أولئك نسبة الجد الأعلى ، حتى إذا اندثر جيل ، ظهر الذي يليه

يحمل كذلك اسم صاحب العائلة أو القبيلة ، وذلك بوصف أنهم أعلام منتخبون ولكل واحد إخوة وأخوات ، وبنون وبنات ، وأحفاد كثيرون .

وليس صحيحا أن يقال بأن المتقدمين كانوا يتميزون بتلك الأعمار المديدة ، دون المحدثين إلى زماننا ، فليس فى تاريخ المصريين الفراعنة ولا فى أهل بابل وآشور من الملوك والعامة من هم قد عاشوا مثل تلك السنين بالأجيال .

ومما يؤيد ذلك بوجه ما ، أنه متى صح أن إبراهيم الخليل قد عاصر الأسرة الثانية عشرة ، فإنه ، مع ولديه إسحاق وإسماعيل جميعا ، نهاية المطاف لعمر نوح فرضا وليس بالحقيقة ، ومن هنا يتخيل الناظر تخلخلا فى قصة الطوفان ، كأنما أريد بها أن تكون كذلك ، لكى يبدو نوح وأولاده وكأنهم أصل الأجناس مما يلى الطوفان ، دون من تقدم عنهم من نسل آدم .

ولذلك ، فإنه متى أريد أن تتحقق صلة ما فى التاريخ بين قدماء المصريين وبين أولاد آدم ، أو بينهم وبين نسل نوح ، على الزعم الذى يقول : إن اسم مصر منسوب إلى مصرايم بن حام بن نوح ، وإنها تدعى أرض حام ، فإنه من الأقرب إلى الأمر الطبيعى أن نفرض أن أصل المصريين إنما نشأ عن هجرة سابقة شبه جماعية من الأدوميين ، وهم من نسل قايين ، ثم من بعض قبائل ما بين النهرين ، فى زمانٍ قد لايتجاوز كثيرا بدء التاريخ العبرى ، فى سنة ٣٧٦٠ قبل الميلاد ، وأن هؤلاء كان لهم شأن فى تاريخ المصريين وعقائدهم وعاداتهم ولهجاتهم ، فى الفترة التى سبقت عهد الأسرات الملكية ، فيما تعرف بالعصر العتيق ، الذى كان يعتمد على أعلام قلائل كانوا إذ ذاك بمثابة أنصاف الآلهة والملوك العظام .

وحينئذ يستقيم القول بعد ذلك فى أن بعضا من نسل نوح بعد الطوفان ، قد نزحوا إلى مصـر ، وهم الكوشيون والمصريون والفوطيون ، من ولد حام ابن نوح .

وفى التوراة : « أن من أولاد مصرايم بن حام خرج فلشتيم وكفتوريم »[١٩] . وإلى هذين ينتسب الفلسطينيون ، ثم القبط المصريون الذين بنوا مدينة « قفط » فى صعيد مصر ، وهنالك من الدلائل ما يشير إلى

أن أهل المشرق جميعا ، فى الدائرة التى تحيط ببلاد العرب والشام ومصر والأحباش ، إنما ينتسبون أصلا إلى الأدوميين ابتداء ، ثم إلى الكوشيين والأشوريين بعد الطوفان ، وأن الهجرة إلى مصر كانت بدءا من الشمال والشرق .

* * *

(١) سفر التكوين أصحاح/ ١٠

(٢) يعنى : قوس قزح ، وهو من ألوان الطيف ، يظهر فى السماء مقابلا للشمس ، قرب هطول المطر ، ويعدّه اليهود وعد الله لهم برعايتهم بعد الطوفان الأعظم .

(٣) سام . أكبر أولاد نوح ، وينطق أيضا : « شام » ، كما فى العبرية .

(٤) انظر . سفر التكوين أصحاح/١١ ـ مواليد سام بن نوح .

(٥) لم تذكر التوراة العبرية اسم « قينان » على أنه ابن أرفكشاد ، غير أنه يوجد فى الترجمة العربية لهذه النسخة بعينها ، نص بالهامش يفيد أن قينان هو ابن أرفكشاد ، كما فى النسخة السبعينية التى تقول : « وأرفكشاد ولد قينان ، وقينان ولد شالح .... » .

وأيضا يوجد بتلك النسخة بالهامش رقم (٥) ، فى الترجمة العربية قوله « ويوجد فى الترجمة السبعينية اسم « قينان » مولودا من أرفكشاد ، ووالدا لشالح .... » ـ انظر : سفر التكوين أصحاح/١١

ويبدو أن اليهود أسقطوه من نسختهم لأنه على اسم (قايين بن آدم) فعدوه شريرا ، فلذلك حذفوه ، وقيل : إنهم يعتقدون أن الأجيال من آدم إلى نوح عشرة ، ومثلها فيما بين نوح إلى إبراهيم

(٦) وهذه المدة صحتها مائة وثمان وعشرون سنة ، من قبل أن تلك لا تستقيم مع المجموع من الطوفان إلى إبرام ، ويبدو أنها محسوبة فرضيا من بعد الطوفان مباشرة .

(٧) « حاران » مدينة قديمة فى أعالى دجلة والفرات ، بين النهرين ، وهى التى هرب إليها إبراهيم الخليل مع أبيه تارح ، من أورالكلدانيين ـ (انظر الفصل العاشر)

(٨) « عابر بن شالح » : هو الجد الخامس لإبراهيم الخليل ، وإليه ينسب العبرانيون ، وقد تكون هذه الصلة نسبة إلى عبور إبراهيم الفرات فى طريقه إلى كنعان .

(٩) انظر المرجع السابق ـ لأبى الريحان البيرونى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ـ طبع ألمانيا سنة ١٨٧٨ م .

(١٠) أرض « شنعار » هى الواقعة بين دجلة والفرات جنوبى العراق فى مملكة بابل القديمة .

(١١) انظر المرجع السابق ـ وانظر فى ذلك التوراة ـ سفر التكوين اصحاح/١١

(١٢) قوله هنا : « السامرّة » لا يصح إلا بتشديد الراء ، والأشبه أنه يريد (سامرّا) القديمة ، وهى إسم آخر لأرض شنعار أيضا .

(١٣) « سروج » ويقال ساروج ، ويبدو أنه سرجون الكبير ملك أكاد ، ويعرف بإسم « شاروكين القديم » الذى بنى مدينة « سروج » غربى حاران ، وتقع الآن فى جنوبى تركيا ، مع حدود سوريا شمالا .

وفى « الموسوعة الميسرة » : (أن أسرته حكمت ما يقرب من قرنين من الزمان ، وانه سرجون القديم ٢٣٤٠/٢٣٠٥ ق . م) .

وانظر فى ذلك الجدول المتقدم على ترتيب السنين فى التوراة العبرية ، ثم فى التوراة اليونانية .

(١٤) وفى كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق) لابن البطريق ، قوله « وكان المبتدئون بعبادة الأصنام أهل مصـر وبابل وافرنجيس وأهل السواحل .... .. » .

(١٥) « تارح بن ناحور » وفى معجم (آثار الأدهار) ، طبع سوريا سنة ١٨٧٧ م ، أن أسمه : « آزر » ، وكذا فى « مروج الذهب » للمسعودى : أن آزر مات وعمره مائتان وستون سنة .

ويبدو ان أصل التسمية (تارح) قد تنطق : (زارح) والنسبة « أزرحى » ، وقد تخفف إلى (زر) ـ أنظر « قاموس الكتاب المقدس فى كلا الاسمين » .

(١٦) « صوغر » . كما فى التوراة هى « بالع » القديمة التى هرب إليها لوط ، فى قصة هلاك سدوم وعامورة ـ (تكوين ١٤ و١٩) .

ويشبه أنها « سالع » التى تسمى أيضا « البطراء » وهى من المدن القديمة الأثرية ، تقع فى وادى موسى إلى الشرق ، من وادى العربة ، وإلى الشمال من جبل هارون ـ انظر : خريطة (فلسطين) .

(١٧) فى التوراة : (وولد إبرام وناحور وهاران ....) ، ويبدو أن الذى انتخب منهم « إبرام » ، وهو الأكبر .

(١٨) كذا فى (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى ، وفى . « تاريخ يوسيفوس » ، اليهودى أن الذى بنى دمشق عوص بن آرام ، من ولد سام بن نوح .

(١٩) انظر التوراة ـ سفر التكوين أصحاح/ ١٠ قال :

« ومصرايم ولد لوديم وعناميم ولهابيم وفتروسيم وكسلوجيم ، الذين خرج منهم فلشتيم وكفتوريم .... »

وفى بعض المراجع تفسير يقول :

(إن كفتوريم) أو « كفتور » يعنى أهل جزيرة كريت ، وهم الفلسطينيون أصلا ـ اعتمادا على ما جاء فى سفر أرميا ـ أصحاح ٤٧/٧) .

غير أن نص القول فى هذا الموضع يذكر من البلاد : صور وصيدون ، ثم غزة وعسقلون ، مما يبتعد بالمعنى كثيرا عن الظن بأنه يعنى جزيرة « كريت » فى البحر المتوسط ، ويبدو أن هنالك خلطا على التشابه فى التسميات ، فإن « كريت » توجد أيضا فى فلسطين على انها من المناطق القديمة شرقى نهر الأردن ، فى الجهة التى تعرف الآن باسم وادى عجلون بجوار جرش أو كريث .

والذى نراه فى ماجاء بسفر التكوين ، وهو الأقدم ، عما جاء فى نبوه أرميا ، أقرب إلى العقل ، وذلك أن :

« فلشتيم هو أبو الفلسطينيين ، من نسل أولاد مصرايم ، الذين أقاموا فى أرض ساحل فلسطين عند غزة ، قبل زمن إبراهيم الخليل » .

وأما « كفتوريم » فهو أبوالقفطيين الذين نزلوا مع أولئك ، فى أول الأمر ، فبعض أقام فى ذلك الموضع من فلسطين ، والبعض الباقى واصل الهجرة جنوبا إلى وادى النيل حتى استقر فى المكان الذى يعرف الآن باسم (قفط) ، بين قنا والأقصر ، وهؤلاء لهم مدخل « فى تاريخ مصر القديم » مما يلى الأسرة السادسة .

الباب الثانى

انتشار قبائل أولاد نوح بعد الطوفان

- القبائل السامية
- القبائل الحامية
- القبائل الآرية

الفصل الخامس :

القبائل السامية

السامية : مصطلح يجمع بين اللغة والجنس ، لشعب قديم من الناس ، ينسب إلى سام بن نوح ، وفى العبرية : سام ، بمعنى حسن المنظر ، واليهود يعدونه أبا لكل بنى عابر ، وعابر هذا هو الجد الخامس لإبراهيم الخليل .

وفى التوراة[1] : بنو سام أربعة هم :

١ - (أرفكشاد) :

هو جد الساميين من قبائل مابين النهرين جميعا ، وفى أرض العراق وشرقها ، وهم الأكاديون والأشوريون والكلدانيون .

وقيل : إن من نسله خرج اليقطانيون من أهل اليمن ، وذلك أن عابرا ولد له ابنان :

أحدهما : « فالج » وفى أيامه قسمت الأرض .

والآخر : « يقطان » ، الذى انحدر جنوبا ، فكان أبا لأهل اليمن[2] وصنعاء فى جنوب جزيرة العرب .

وولد يقطان : ألموداد ، وشالف ، وحضرموت الذى سميت به ديار عاد على بحر اليمن جنوبا .

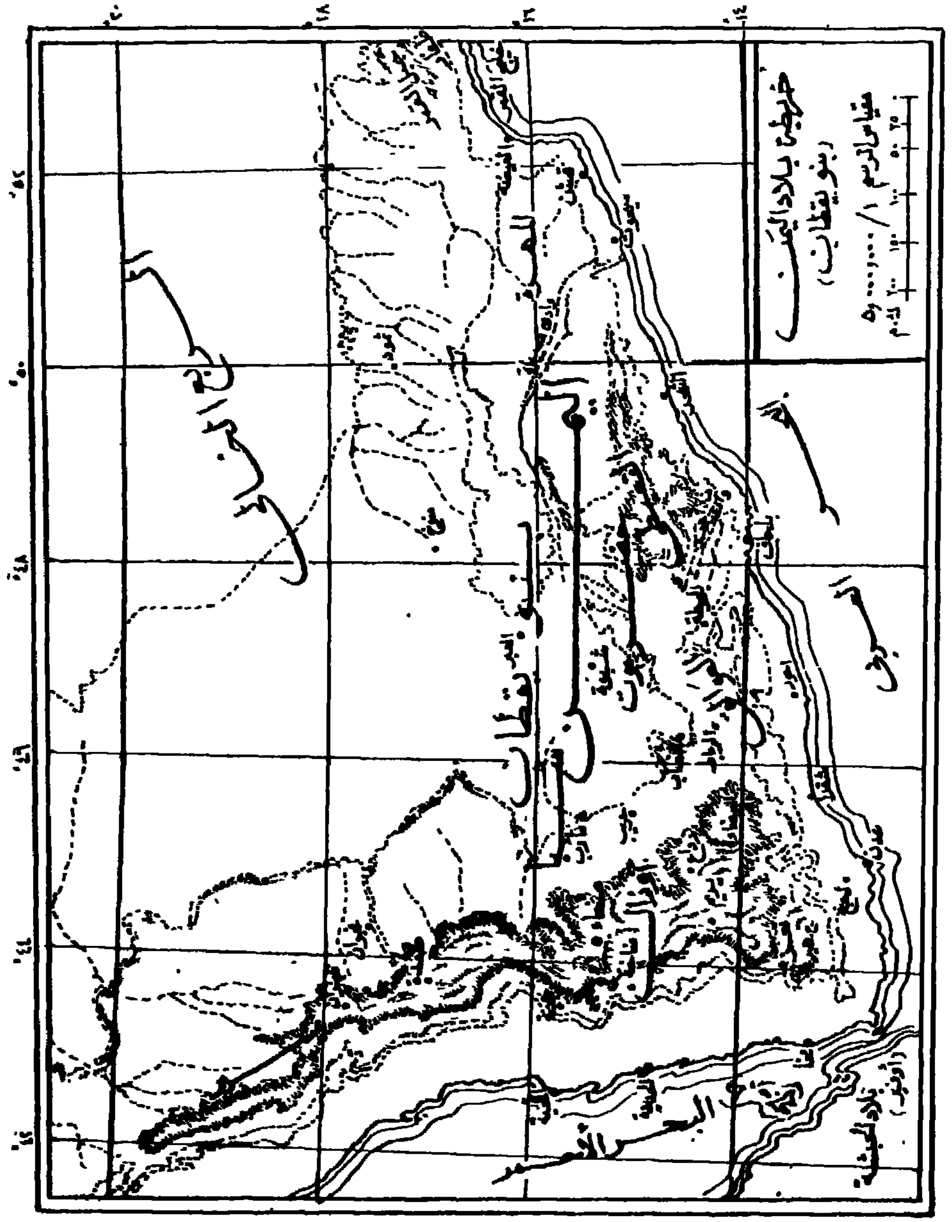
ثم بارح ، وهدورام ، ثم أوزال ، وهو اسم صنعاء اليمن .

ثم دفلة وعوبال وأبيمال ، ثم سبا ، وبه تعرف المملكة التى بها سد مأرب القديم .

ومن هؤلاء خرجت قبائل كهلان ، وحمير ، ثم أوفير وحويلة ويوباب .

وفى التوراة :

* وكانت مساكن بنى يقطان من ميشا(٣) ، حينما تجىء نحو سفار(٤) جبل المشرق *



٢ - ثم (عيلام) :

وهو أبو العيلاميين الفرس قديما ، ممن كانوا يقطنون شمال الخليج الفارسى ، وشرقى دجلة ، فيما يعرف الآن باسم : إقليم « خوزستان » فى إيران ، وكانت عاصمته مدينة « سوسة »[٥] ، على فرع نهر الكرخ ، فى شرق دجلة ، وقد كانت حضارة قديمة ظلت زمانا إلى أن تغلب عليهم الأشوريون .

٣ - ثم (أشور) :

وبه سمى شعب أشور ، فى أعالى دجلة والفرات ، بما فى ذلك : « آرام[٦] بين النهرين » . وكانت عاصمتهم قديما : « أشور[٧] » ، ثم « نينوى[٨] » ، وحضارتهم فى الشرق معروفة منذ القديم ، إلى أن أتحد معهم البابليون وأنشأوا مملكتهم الواسعة التى شملت العيلاميين وأرض شنعار[٩] ، وأطلقوا عليها اسم : بابل العظيمة ، وعاصمتها مدينة بابل ، وتعرف الآن باسم : السامرة القديمة .

وأصل التسمية : « باب رائيل » أى باب الله ، وكانت عاصمة مملكة بابل القديمة ؛ وأطلالها بين دجلة والفرات تجاه الكوفة إلى الشرق شمالا .

وفى : (دليل مواطن الآثار فى العراق) ، وصف شامل لبابل القديمة وبرجها يقول :

« تقع مدينة بابل على قريب من تسعين كيلو مترا جنوبى بغداد ، واسمها السومرى : (كاردنكرا) ، أما الاسم البابلى السامى فهو (باب رائيلى) ، وأقدم إشارة تاريخية للمدينة ترجع إلى عهد السلالة الأكادية ، نحو سنة ٢٣٠٠ ق . م .

ومعبدها الرئيسى يسمى (ايساكلا) بالسومرية ، ومعناه : البيت الرفيع ، وهو المخصص لعبادة الإله ، « مردوخ » كبير الآلهة البابلية ،

وكثيرا مايذكر مع اسم المعبد صرح بابل الشهير باسم « الزقورة » ، واسمه بالسومرية : (آى تمن أنكى) الذى يعنى : أساس السماء والأرض ، وهو صرح مدرج شاهق يحيط به سور عظيم ، ويتوسطه مجموعة من الحجرات ، ويرقى إلى أعلى السطح بثلاثة من السلالم ، أحدها فى الوسط واثنان على الجانبين[١٠] » .

٤ - ثم (آرام) :

وبه عرف الأراميون ، والأصل فيهم من عرب البادية ، وهى صحراء الشام ، بين الجزيرة العربية والفرات ، ثم استقروا فى وادى الفرات الأوسط ، واحتلوا مدينة حاران شمالا ، ثم أنشأوا دمشق جنوبا ، وزاد ضغطهم على تلك الأرض فصارت الآرامية لغتهم جميعا ، وهى لغة سوريا القديمة .

وبنو آرام هم :

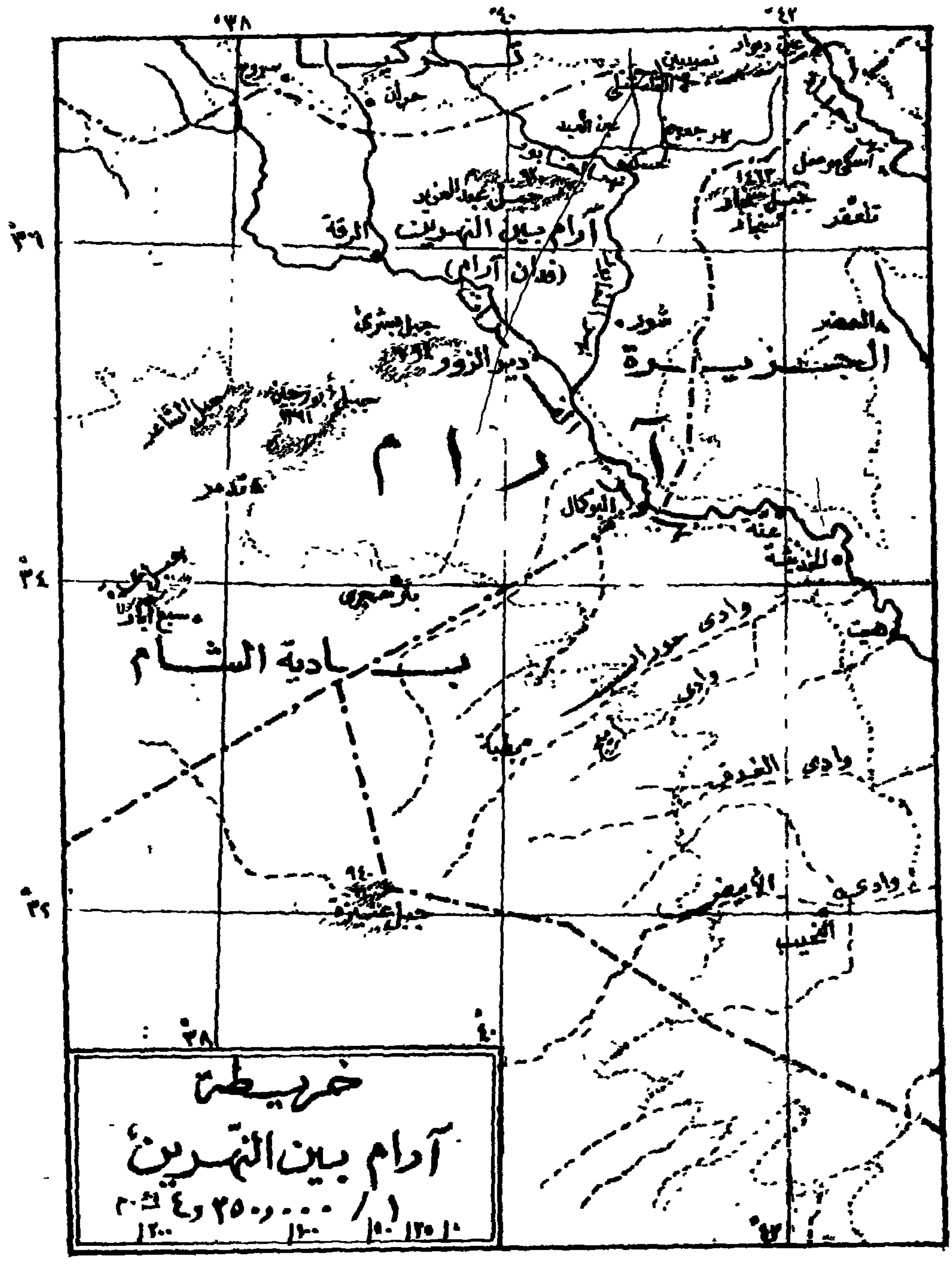
حوص[١١] وحول وجاثر وماش ، وهؤلاء كانت مساكنهم قريبة من مواطن آبائهم ، حول سوريا والأردن وأدوم[١٢] .

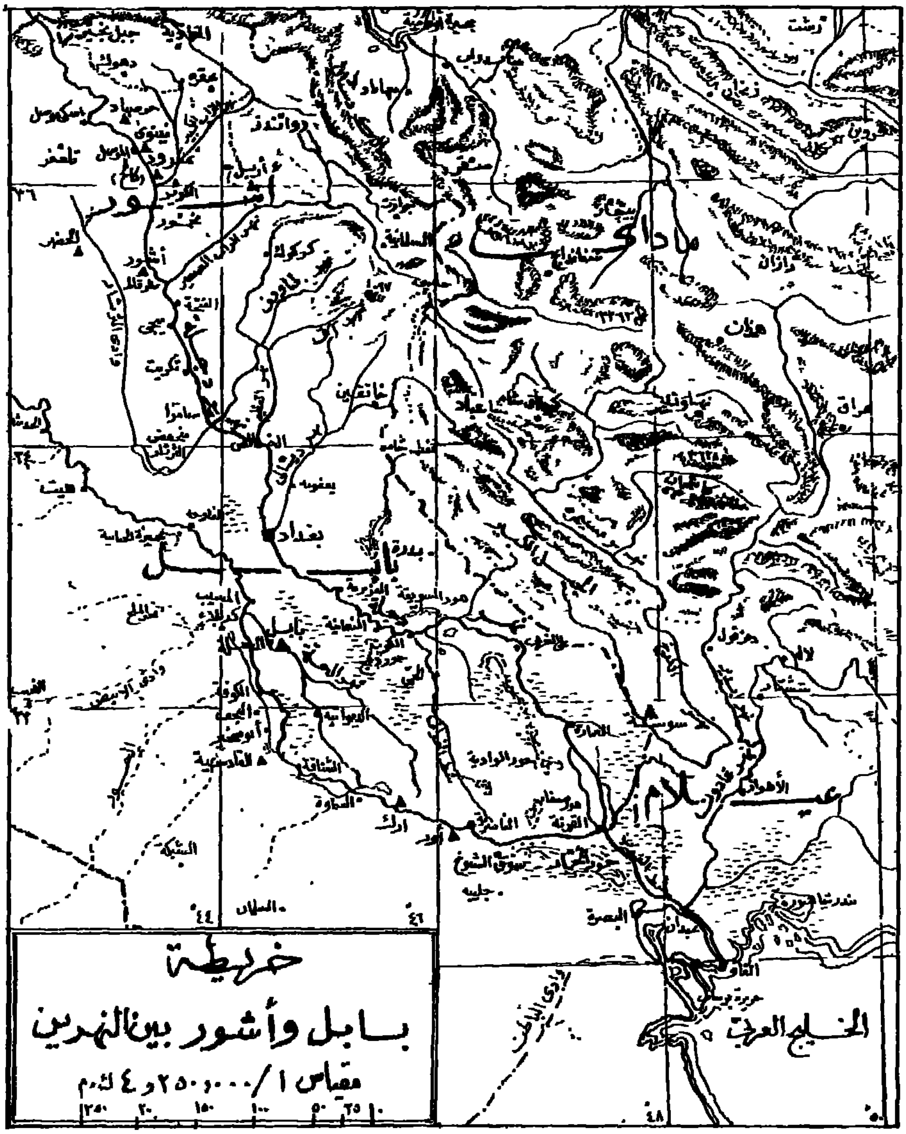
ثم (لود) :

وهو أخو « آرام » الكبير ، والأشبه أنه سكن ابتداء فى أرض « أدوم » قريبا من بحر لوط ، وهو البحر الميت .

وهنالك اختلاف فى تعريف نسب اللوديين الآراميين ثم المصريين من نسل مصرايم ، نسبة إلى « لود » بكر مصرايم[١٣] .

* * *


خريطة
آرام بين النهرين
الرقة
حران
آرام بين النهرين
(فدان آرام)
دير الزور
الجزيرة
آرام
تدمر
البوكال
الحديثة
هيت
بادية الشام
وادي حوران
وادي الغدف
الأبيض
النخيب
تلعفر



(١) انظر : سفر التكوين اصحاح / ١٠ و١١ .

(٢) وفى · (مختصر كتاب البلدان) ، لابن الفقيه الهمدانى ـ طبع ليدن Lydin سنة ١٣٠٢ هـ ، فى الكلام عن اليمن :

« قال ابن الكلبى : سميت اليمن ، لأن يقطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح ، أقبل بعد خروج ثلاثة عشر ذكرا من ولد أبيه ، فنزل موضع اليمن ، فقال العرب . تيمن بنو يقطان ، فسميت اليمن ، ويقال · بل سميت اليمن لانها عن يمين الكعبة » .

(٣) « ميشا » . هى بلدة (مخا) باليمن ، على البحر الأحمر ، شمال بوغاز باب المندب .

(٤) « سفار » هى (ظفار) على بحر اليمن ، شرقى حضرموت ، وبها جبل المشرق ، وهو المسمى الآن ، جبل القمر ، ويقع بين اليمن وبين سلطنة عمان ـ والأشبه أن بنى يقطان هم بنو قحطان عند العرب .

(٥) « سوسة » : عاصمة عيلام قديما ، تقع على نهر الكرخى ، شرقى حدود العراق ، مقابلة لمدينة (جنديسابور) بإقليم خوزستان بإيران ، وتعرف فى التوراة باسم (شوشن القصر) ، دمرها الملك أشور بانيبال فى القرن السابع ق . م . ثم استعادت وجودها ، وقد اكتشف حديثا فيها عالم الآثار « جاك مورجان » الحجر المنقوش عليه قانون الملك (حمورابى) ، كما عثر على كثير من النقوش باللغة العيلامية .

ومن قدماء ملوك اقليم عيلام ، الملك « كدر لعومر » ، وهو من معاصرى ابراهيم الخليل فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

(٦) « آرام بين النهرين » يعنى الأرض المرتفعة التى تتبع آرام ، بين نهرى دجلة والفرات ، فيما يسمى أرض الجزيرة ، فأما الجزء الذى يسمى فى التوراة ، « فدان آرام » فيبدو أنه المحصور بين نهرى الخابور والفرات فى الشمال الغربى .

(٧) « أشور » . أصل التسمية (أثور) ، بالتشديد ، ثم خففت فى النطق بها إلى أشور ، وهى العاصمة القديمة للأشوريين ، نسبة الى « أشور الكبير » ، الذى أسسها والأشبه انه الذى كان يسمى أيضا - الإله (بعل) أو « بالوس » وأطلالها تعرف الآن فى العراق ، باسم (قلعة شرقاط) ، جنوبى الموصل بما يقرب من مائة كيلو مترا ، على الشاطىء الشرقى لنهر دجلة ، وترجع آثارها الى اوائل الألف الثالث قبل الميلاد ـ (انظر : دليل مواطن الآثار فى العراق) .

(٨) « نينوى » : العاصمة الثالثة للأشوريين ، بعد أشور القديمة ثم كالح ، التى تعرف أطلالها الآن باسم « نمرود » .

فأما (نينوى) فهى التى بناها « نينوس بن بالوس » ملك أشور بالقرب من الموصل ، وتقع أطلالها على الضفة اليسرى لنهر دجلة ، على قريب من كيلو متر واحد بإزاء الموصل ، وكانت عاصمة الأشوريين فى أوج مجدهم .

(٩) « أرض شنعار » : هى أرض بابل القديمة جنوبى بغداد ، بين دجلة والفرات ، وتذكر التوراة أن أول ملوكها كان نمرود الجبار بن كوش بن حام .

(١٠) انظر التوراة ـ سفر التكوين ، اصحاح ١٧/ (قصة بناء برج بابل وبلبلة الألسن) .

(١١) ويقال أيضا « عوص » ، وفى تاريخ « يوسيفوس اليهودى » ، أنه الذى بنى مدينة (دمشق) .

(١٢) « أدوم » بادية الشام ، بما فى ذلك شرقى الأردن .

(١٣) « لود » قيل انه ابو الليديين ، فى أعالى غربى العراق ، وأما لوديم فهو من نسل مصرايم ـ انظر : مادة (لود) فى قاموس الكتاب المقدس .

القبائل الحامية

الحامية نسبة إلى حام بن نوح ، واللفظ بالعبرية يعنى : الأحمر أو الملفوح من الشمس .

وبنو حام ، كما فى التوراة ، أربعة وهم :

١ ـ (كوش) :

بمعنى الأسمر ، وقد تفرق الكوشيون ، من نسله فى عدة جهات من آسيا ، فمن هؤلاء من استقر جنوبى بحر قزوين وشارك العيلاميين فى شرقى دجلة ، ومنهم من امتد جنوبا واجتاز الفرات الى ساحل الخليج العربى ، أو غربا إلى ساحل البحر الأحمر إلى اليمـن .

ومن أولاد كوش من إجتاز البحر الأحمر الى افريقيا ، من صنعاء اليمن ، عند مضيق باب المندب ، واستقر فى بلاد الأحباش ، وهؤلاء لهم صلة ما بقدماء المصريين .

٢ ـ ثم (مصرايم)[1] :

وينسب إليه اسم مصر ، ممايلى الأسرة السادسة ، فى أواخر القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، وذلك أنه لم يكن لها اسم يخصها من قبل منسوب إلى أحد الأعلام من الملوك ، بل إنما كانت تعرف بأسماء مقاطعاتها

التى تنقسم اليها ، منسوبة إما إلى الآلهة التى تختص بها ، أو إلى ما اشتهرت به كل منها من أسماء الحيوان أو النبات ، فأما اسم مصر بوجه عام فكان وصفا لخصوبة تربتها ، فأطلق عليها اسم « الأرض السوداء » :

وكيمت The Black Land, Egypt, (Ckmt) 

ومن أولاد مصرايم : (كفتوريم) ، وهو جد القفطيين الذين صعدوا الى مصر العليا وأنشأوا مدينة « قفط[٢] » القديمة ، المسماة باللغة المصرية .

جبتيو a Town in upper Egypt, (Gebtyw 

ومنه اشتق اسم مصر فى اللغة اليونانية Egyptious ، وأيضا فى اللغات اللاتينية : Egypt .

ولفظ « القبط » فى اللغة العربية يشير أصلا إلى المصريين القفطيين الذين اعتنقوا الدين المسيحى فى بداية البشارة به ، فالقبطى هو المصرى القفطى المسيحى «Coptos » .

وهنا يجب أن ننوه إلى أن بعض علماء الآثار يظنون أن لفظ مصر والمصريين ، فى اللغة اليونانية أو اللاتينية ، إنما هو مشتق من اللفظ المصرى القديم ، (هيكوبتاح) بمعنى : « معبد الإله بتاح » ، ولكنه فى الحقيقة بعيد عما هو اسم علم أو اسم مدينة ، ولكن لما تصادف وجود المقطع الأوسط فيه مشابها لذاك فى اللغة اللاتينية «Kopt» ألصقوه به فى الاشتقاق ، رغم اختلاف المعنى فى كليهما .

٣ - ثم (فوط) :

أى صاحب القوس ، وهو رمز الصيد والحرب عند الفوطيين الذين نزحوا إلى ليبيا ، فى شمال إفريقيا ، عن طريق الدلتا وساحل البحر الأبيض المتوسط ، وبعض هؤلاء استقروا فى صحراء مصر غربى الدلتا والواحات[٣] .

٤ ـ ثم (كنعان) :

وهو أصغر أولاد كوش بن حام ، الذى لعنه نوح فى وجه أبيه ، لما علم انه لم يستر عورة جده عندما رآه ، بعد أن شرب الخمر فتعرى[٤] .

وقد سكن أولا فى جنوبى لبنان ، ثم امتد مع بنيه ، وبعض بنى مصرايم إلى الجنوب ، على ساحل البحر ، إلى غزة ، وكانت جميع أرض فلسطين إلى هذا الموضع ، تعرف قبلا بأرض كنعان .

(الكوشيون) ـ أولاد كوش بن حام

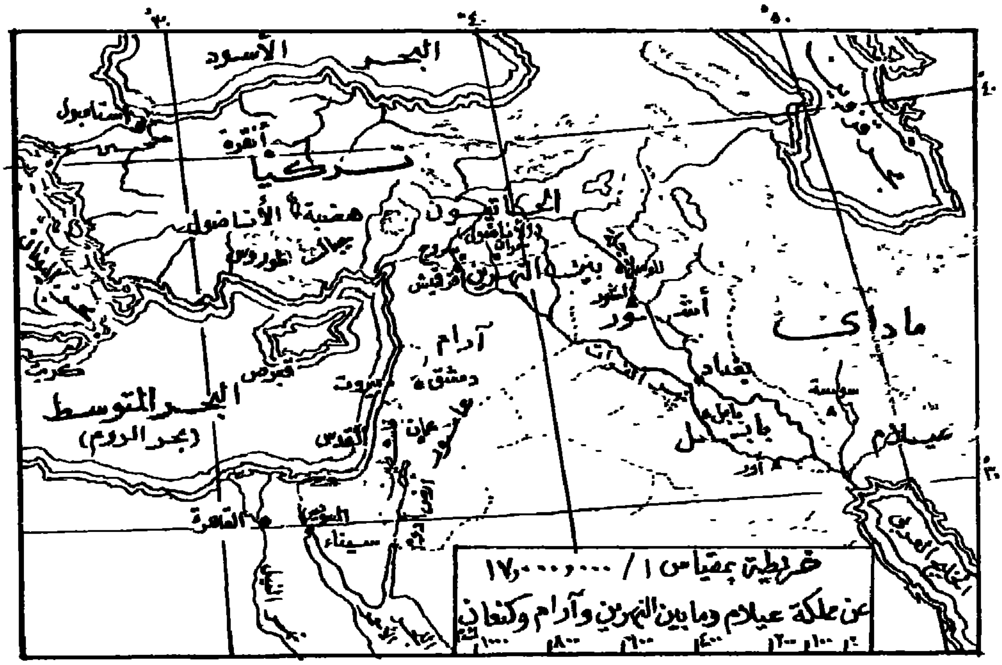
فى التوراة :

« وكوش ولد نمرود الذى ابتدأ أن يكون جبارا فى الأرض ، جبار صيد أمام الرب ، وكان ابتداء مملكته · بابل وأرك وأكد وكلنه ، فى أرض شنعار ..» .

وهو الذى استقر بأرض العراق ، بين النهرين فى شنعار ، فكان أول ملك فى هذه الأرض ، وكانت عاصمتها باسمه . « نمرود » التى لاتزال اطلالها باقية للآن ، بعد أن بنيت على أنقاضها مدينة كالح .

وقد ذكر أبو الريحان البيرونى : فى كتابه : (الآثار الباقية[٥]) ، ملوك بابل على الترتيب ابتداء من نمرود إلى ملك الأشوريون ، على الوجه التالى :

				ق٠م
نمرود بن كوش	سط	٦٩	سنة	٢٣١٤ / ٢٢٤٥
قنورش	فه	٨٥	»	٢٢٤٥ / ٢١٦٠
ساميرس[٦]	عب	٧٢	»	٢١٦٠ / ٢٠٨٨
أرفخشاط	ى	١٠	»	٢٠٨٨ / ٢٠٧٨
(وبقى بابل بلا ملك إلى أن ملك الأشوريون)	هو	٥	»	٢٠٧٨ / ٢٠٧٣
بالوس (بعل) أول ملوك الأشوريين	سب	٦٢	»	٢٠٧٣ / ٢٠١١
نينوس (الذى بنى بالموصل نينوى)	نب	٥٢	»	٢٠١١ / ١٩٥٩



ثم بعد نمرود ظهرت الدولة الأكادية التى أسسها الملك « سرجون الكبير[٧] ، فكانت هنالك حرب بين الأكاديين والعيلاميين ، إلى أن تغلب عليهم جميعا الأشوريون وبنوا فى الشمال مدينة نينوى[٨] ، وجعلوا بابل جنوبا عاصمة للدولة الأشورية .

* وفى التوراة :

* ومن تلك الأرض خرج اشور وبنو نينوى ورحوبوث عير ، وكالح[٩] ، ورسن بعد نينوى ، وكالح هى المدينة الكبيرة .

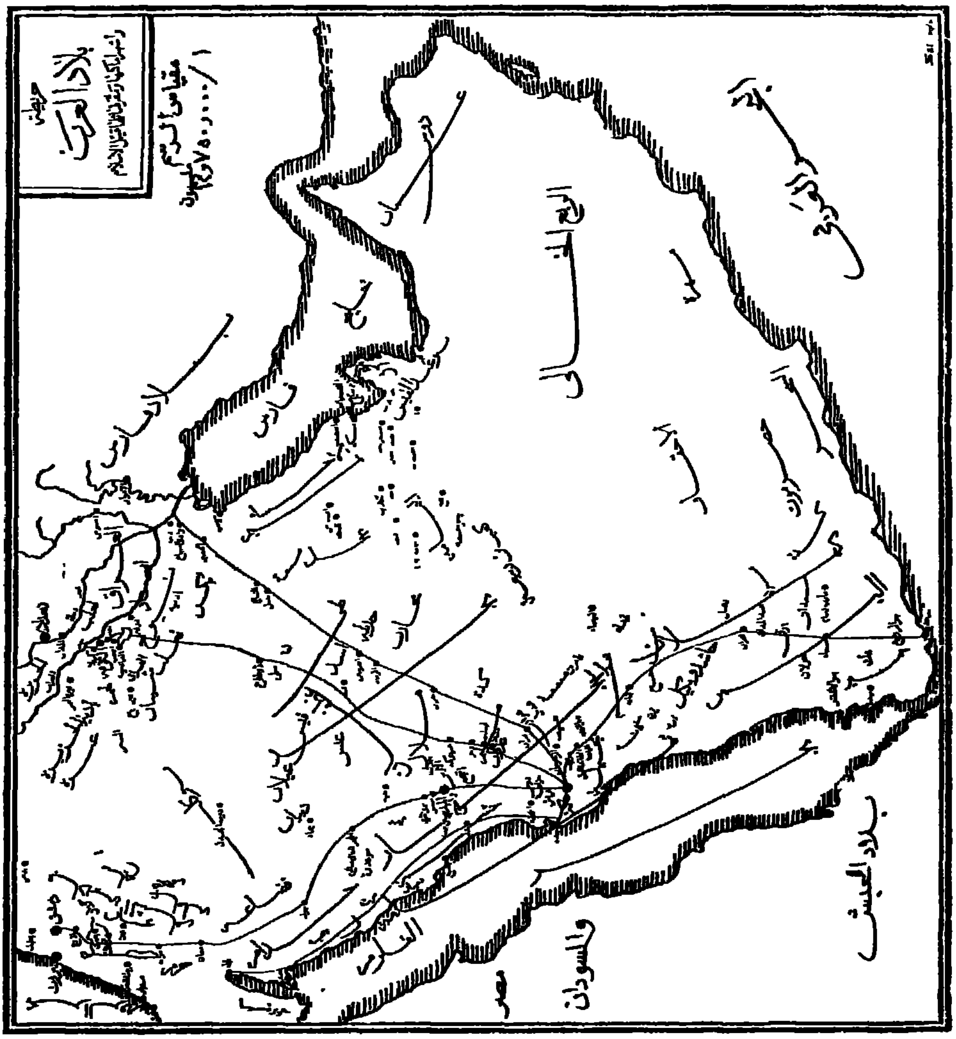
وأما أولاد كوش بن حام الذين تفرقوا فى الأرض فهم :

سبا ، وربما قيل : « شبا » ، ثم حويلة ، ثم سبته ، ثم رعمة ، ثم سبتكا ، فأما بنو رعمة فهما : شبا وددان .

وهؤلاء هم الذين توغلوا إلى الجنوب فى بلاد العرب . واستقر بعضهم فى صنعاء اليمن ، ثم تكاثروا واجتازوا البحر ، من بوغاز باب المندب إلى إفريقيا وبلاد الأحباش .

والأحباش وأهل النوبة العليا يسمون أيضا : الكوشيين ، ولهم فى تاريخ مصر القديم مدخل ، فقد استولوا على مصر فى عهد الدولة الحديثة وأسسوا الأسرة الخامسة والعشرين ، وكانت أسماء ملوكهم لاتختلف كثيرا عما ذكرته التوراة من أسماء أجدادهم هنا .

* * *



١ - (المصريون) : أولاد مصرايم بن حام

المصريون كما فى التوراة نسبة إلى مصرايم[١٠] ، وهم الذين نزلوا إلى مصر ، ممايلى الأسرة السادسة ، واستقر بعضهم فى الدلتا ومايليها إلى الغرب ، وبعضهم فى مصر الوسطى والجنوب ، وهم :

لوديم وعناميم ولهابيم ، وهؤلاء استقروا فى الدلتا وامتدوا إلى الغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وخاصة بنو لهابيم ، وقد يقال : لوبيم ، وهم أصل سكان ليبيا وما والاها غربا .

ثم نفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيم ، وهم أجداد مصر الوسطى والفيوم ، وقد امتدوا جنوبا إلى بلاد النوبة والواحات الداخلة .

وفى التوراة : اصحاح / ١٠ سفر التكوين - قوله :

* ومصرايم ولد لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم وفتروسيم[١١] وكسلوحيم ، الذين خرج منهم : فلشتيم وكفتوريم ..*

ومن هذين الأخيرين :

فأما « فلشتيم » ، فهو أبو الفلسطينيين الذين استوطنوا ساحل البحر المتوسط فيما بين يافا وغزة جنوبا ، وماوالاهما شرقا إلى جبل الخليل ، وبهم سميت أرض كنعان جميعا : « فلسطين » .

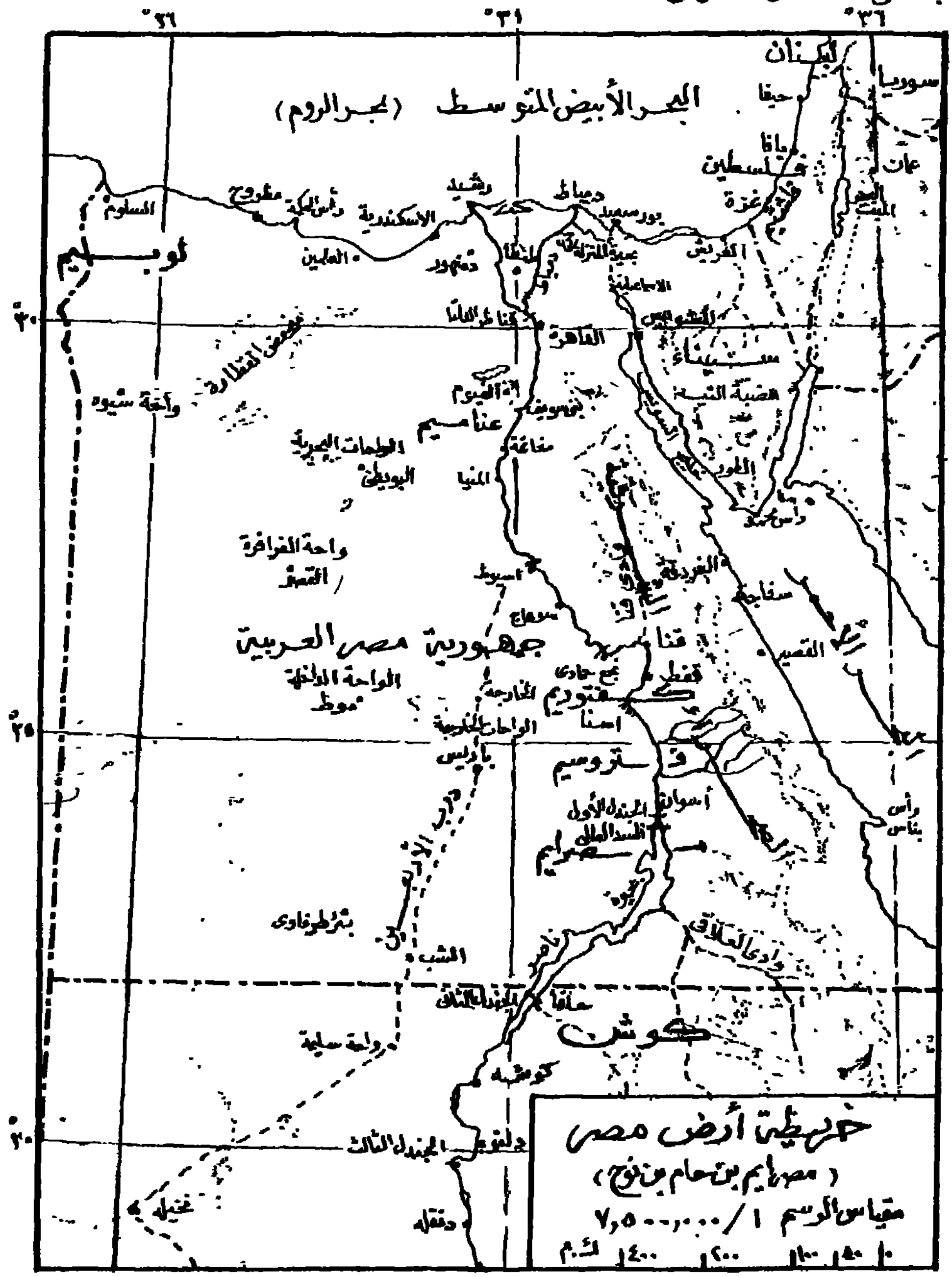
وأما « كفتوريم » فهو أبو المصريين الذين امتدوا فى وادى النيل صعودا وبنوا لهم مدينة « قفط » القديمة ، شرقى النهر على طريق القصير إلى البحر الأحمر ، وتعرف فى اللغة المصرية القديمة باسم : (جبيتو Gebtyw ومنه اشتق اسم مصر والمصريين فى اللغتين اليونانية واللاتينية . وكان سكان هذه المدينة يسمون أيضا بالأسرة القفطية ، وهم أول من اعتنق المسيحية ، فكان اشتقاق لفظ الأقباط Coptos من تلك التسمية اصلا[١٢] .

٢ - (الفوطيون) - أولاد فوط بن حام

لم تذكر التوراة شيئا عن نسل فوط بن حام ، والأشبه انهم اختلطوا مع أولاد مصرايم ، فنزح بعضهم الى الغرب ممايلى ليبيا ، على ساحل البحر المتوسط ، وتوغل بعضهم إلى الجنوب فى مصر وإلى الغرب ، فى الواحات

وماحواليها ، فقد كانوا أصحاب صيد يميلون الى الصحراء .

ولفظ « فوط » ورد فى بعض أسماء الأعلام التى ذكرتها التوراة فى قصة يوسف الصديق ، ومنها « فوطيفارع » ، وهى باللغة المصرية : يوديفا بمعنى : حامل القوس(١٣) .



(الكنعانيون) - أولاد كنعان بن حام :

في التوراة :

* وكنعان ولد صيدون بكره ، وحثا ، واليبوسى ، والأمـورى ، والجرجاشى ، والحوى ، والعرقى ، والسينى ، والأروادى والصمارى ، والحماتى ، وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى .

وكانت تخوم الكنعانى[١٤] ، من صيدون حينما تجىء نحو جرار الى غزة ، وحينما تجىء نحو سدوم وعمورة ، وأدمة وصبوبيم إلى لاشع *

(صيدون)

وهو بكر كنعان ، واليه ينسب اسم مدينة « صيدون » وهى (صيدا) على ساحل البحر المتوسط ، بين بيروت وبين صور .

ثم (حثا) أو « حث »

وهو أبو الحثيين ، الذين سكنوا ابتداء فى حبرون ، التى هى الآن مدينة الخليل ، بين القدس وبين بئر سبع .

ويبدو أن هنالك فى التاريخ القديم خلطا بين لفظ ، (حثى) بكسر أوله ، نسبة إلى (حثا الكنعانى) ، فى فلسطين ، وبين لفظ (حتى) أو « حاتى » نسبة الى الحاتيين فى بلاد الأناضول ، حيث كانت عاصمة بلادهم (حات) أو (حت) التى تدعى الآن « بوغازكوى » فى تركيا وهم من نسل يافث ، من ترشيش .

وهؤلاء هم الغزاة لسوريا وفلسطين بعد خروج بنى إسرائيل من مصر ، وقد حاربهم الملك رمسيس الثانى سنة ١٢٦٧ ق . م ، وهزمهم فى موقعة قادش ، وبذلك تمت بين الحتيين وبين مصر معاهدة الصلح[١٥] .

تم (اليبوسى) .

اليبوسيون ، هم منذ القديم أصحاب كورة « أورشليم » ، وهذه فقد كان ملكها فى زمن ابراهيم الخليل ، يدعى . ملكيزدق ، اى الملك الصادق ، وكانت أورشليم تدعى أيضا قبل ذلك باسم « يبوس »

ثم (الأمورى) :

الأموريون[١٦] ، ويبدو انهم الحموريون ، قديما ، والتسمية نسبة الى صفة الحمار القوى الصبور ، وكانت لهم مملكة واسعة شرقى الأردن ، وفى شمال وجنوبى فلسطين ، وربما كان منهم (حمورابى) الذى فتح بابل حوالى سنة ١٧٧٨ ق . م والعماليق بطن منهم .

ثم (الجرجاشى) :

الجرجاشيون ، يبدو أنهم كانوا يقطنون بين نهر اليرموك وجبل الشيخ ، وقد ينسبون لهم مدينة جرش التى فى وادى الزرقا ، غير أن الأرض التى بين هذه وبين نهر اليرموك كانت فى حوزة الأموريين ، استولوا عليها من الموآبيين والعمونين .

ثم (الحوى) :

وهم الذين كانوا يسكنون شمال فلسطين إلى غرب جبال الخليل ، عند وادى صرار .

ثم (العرقى)

والعرقيون[١٧] ، فيما نرى ، هم الذين سكنوا فى المرتفعات الشرقية ، القريبة من العراق ، عند جبال بشرى وتدمر ، إلى الشرق من الصاديون الذين سكنوا فى جبال شومر[١٨] .

ثم (السينى) :

والسينيون ، على الأرجح هم الذين نزلوا منذ أول الأمر فى جبال لبنان الغربية ، من جهة الساحل بين صيدا وطرابلس الشام ، فى منطقة جبال صين .

ثم (الأروادى) :

والأرواديون نسبة إلى جزيرة أرواد ، على ساحل سوريا ، فيما بين طرابلس واللاذقية ، فهم سكان هذا الموضع منذ القديم إلى الآن ، فيما يسمون بالفينيقيين .

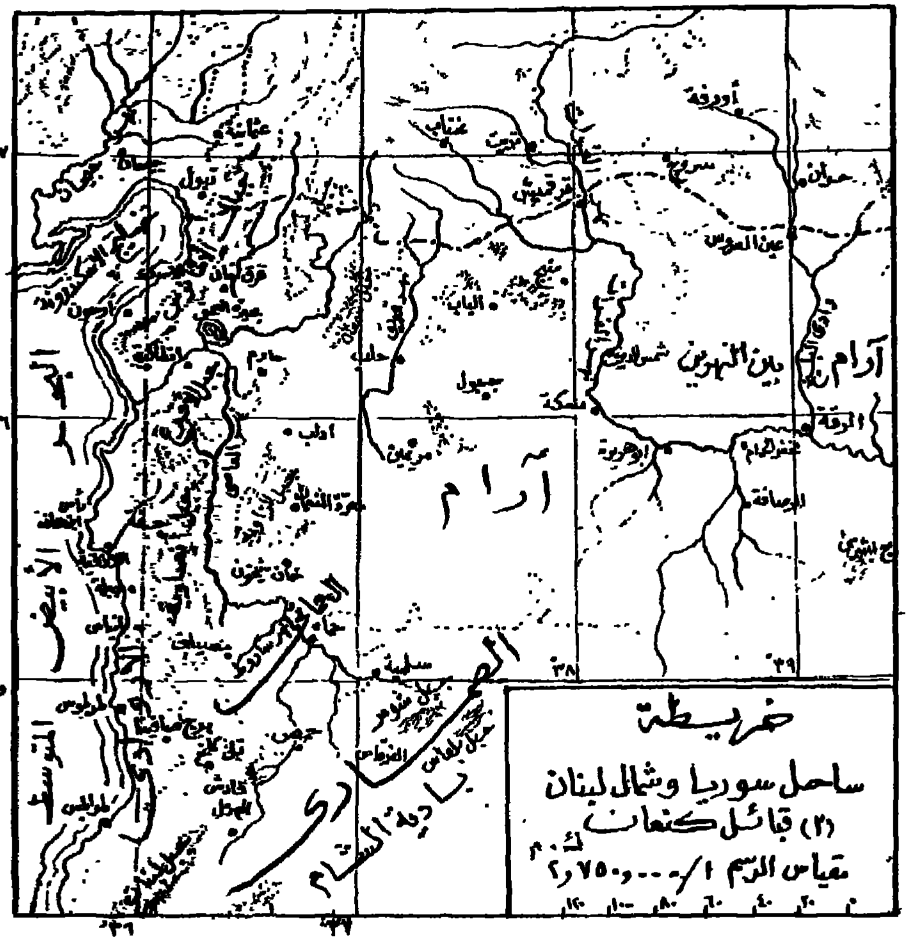
ثم (الصمارى) :

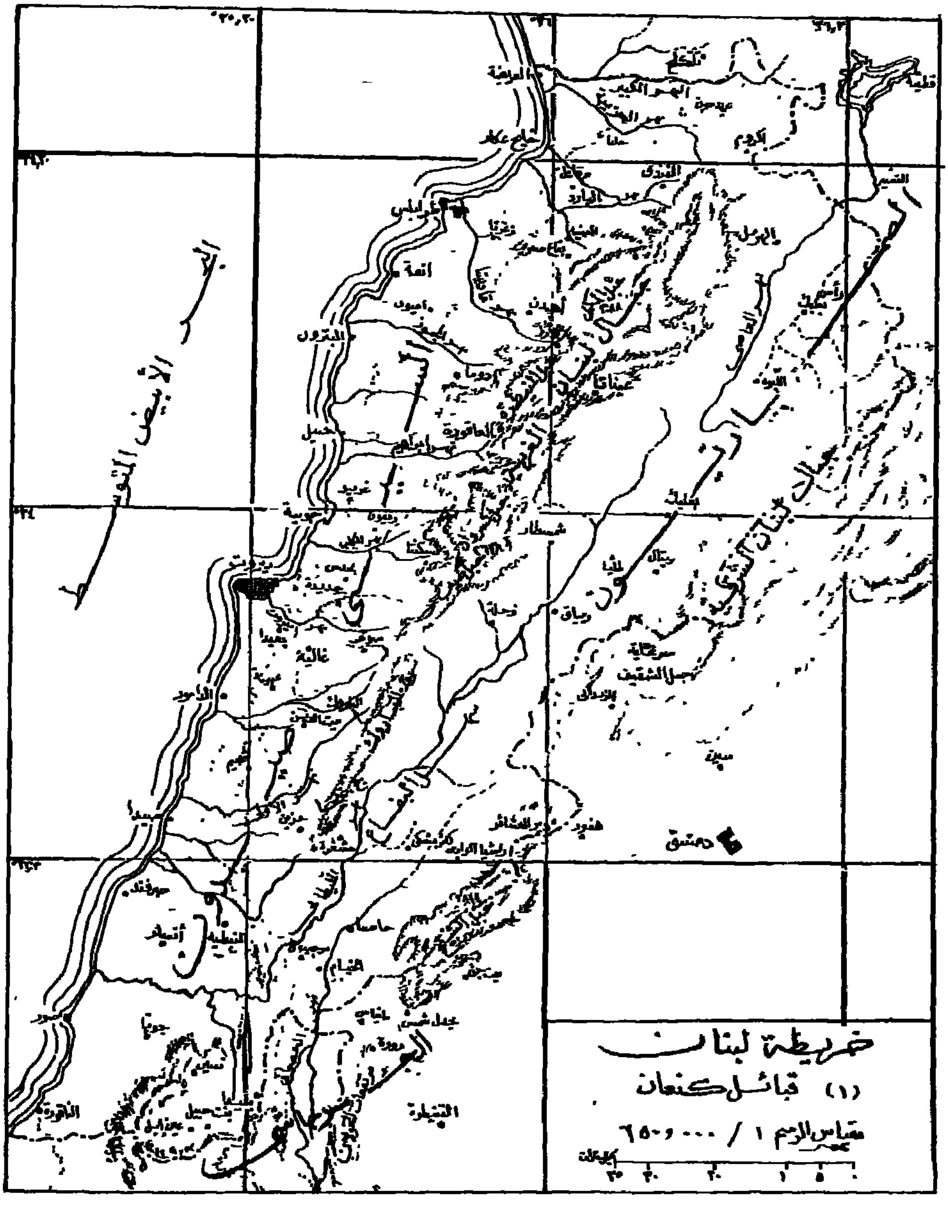
الصماريون ، فيما نراه ، هم سكان جبال شومر ، إلى الجنوب الشرقى من حماة ، غير أن البعض ينسبهم الى بلدة « صميرة » فى المنطقة التى يسكنها الأرواديون ، ولسنا من هذا على ثقة تماما .

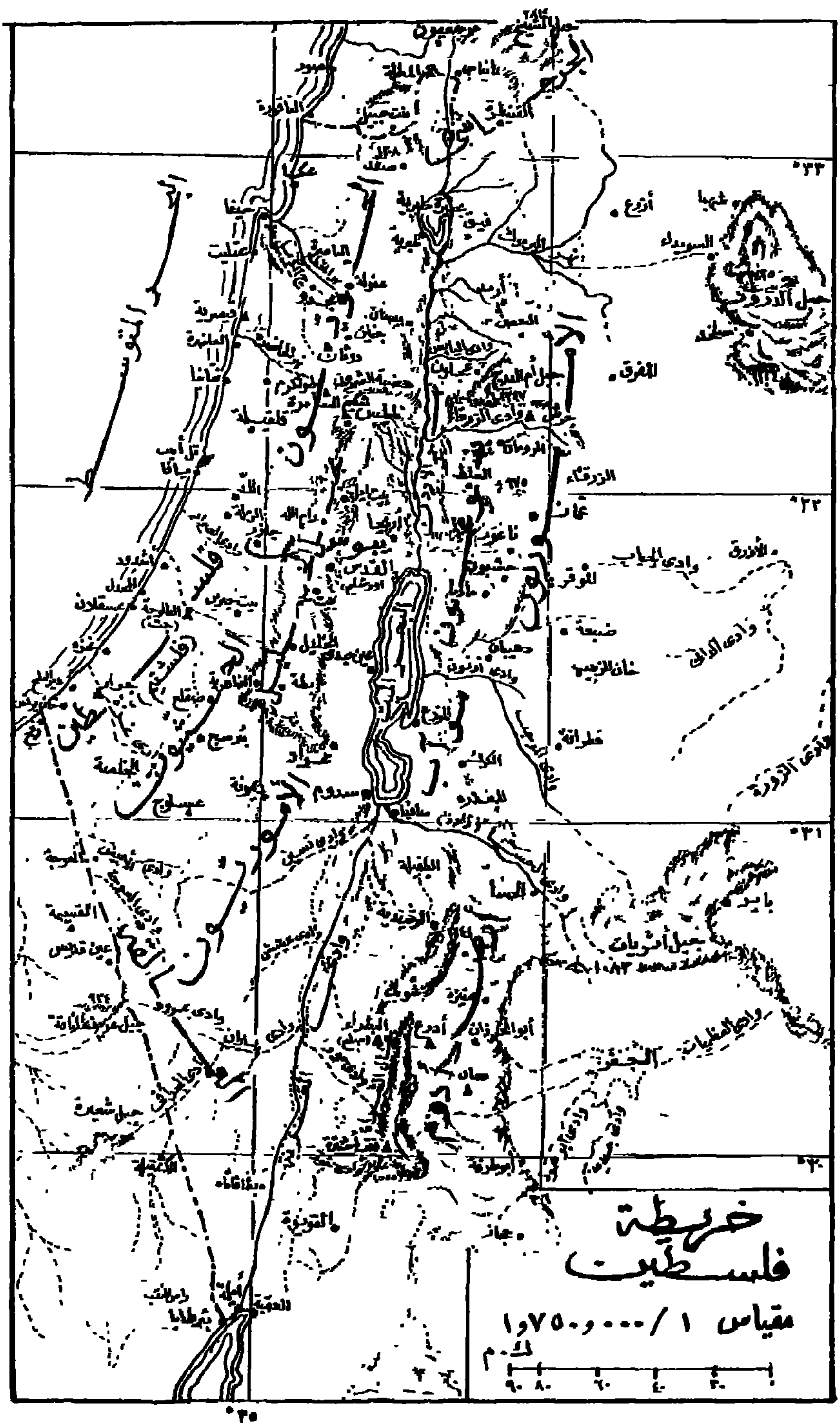
ثم (الحماتى) :

نسبة إلى مدينة حماة ، وهى عاصمة المنطقة التى تقع إلى الشرق ، والشمال الشرقى من الأرواديين .

ذلك هو ترتيب الكنعانيين ، كما جاء فى التوراة ، غير أن هؤلاء جميعا كانوا ينقسمون ، من حيث الإقامة ، إلى أماكن فى سوريا ، ولبنان وفى فلسطين ، وقد جعلنا لذلك خرائط تجمع هؤلاء جميعا ، كل فى موضعه ، على الوجه الذى تقدم ، مما أمكن تعريفه بقدر المستطاع .


خريطة
ساحل سوريا وشمال لبنان
(٢) قبائل كنعان
مقياس الرسم ١/٠٠٠و٧٥٠ر٢
آرام
آرام
بين النهرين
بادية الشام
حلب
حماة
حمص
الرقة
حران
قادش


خريطة لبنان
(١) قبائل كنعان
مقياس الرسم ١ / ٠٠٠ و ٦٥٠
البحر الأبيض المتوسط
جبال لبنان الشرقية
دمشق
البترون
جبيل
الناقورة


خريطة
فلسطين
مقياس ١/٠٠٠و٧٥٠و١

(١) وقد أشار كتاب (وصف مصر) ، كما فى الترجمة العربية ، إلى أن اسم مصرايم وجد على اثر قديم ، قطعة من الصلصال ، تعرف بشقفة « سانشونيان » التى اشار اليها « يوسيبدس » فى كتابه (شعائر المذهب الانجيلى) باسم « ميزور Misor وذلك فى عرض قوله عن الكتابة الهيروغليفية .

فقد قال فى الجزء الثامن ، طبعة الخانكى ص ٥٧/ هامش ٢
اليكم مانقرؤه فى شقفة « سانشونيان » التى أشار اليها يوسيبدس فى كتابه Pareparation Evangile Quès الخاص بالكهنوت الفينقى ص ٢٦/ - يونانى ولاتينى طبع باريس سنة ١٦٢٨ .

« ... وكان لميزور Misor ابن يسمى تايوت Taout ، وهو الذى اخترع العناصر الأولية للكتابة ، والذى يسميه المصريون . تحور Thor ويطلق عليه السكندريون اسم : تحويت Thoyth ، ويسميه الأغريق هرمس » .
ثم يضيف المؤلف نفسه :
« . ويعد أن حسد الإله تايوت ، بالفعل اورانوس Uranws ، شكل كذلك صورا لكورنوس Cornus وداجون Dagon ، والآلهة الأخرى ، ثم صنع السمات المقدسة للعناصر ، أى الهيروغليفية » .

(٢) « قفط » : بضم أوله وبالكسر ، اسم مدينة قديمة فى صعيد مصر بين قنا والأقصر ، على الطريق البرى الموصل إلى ميناء القصير على البحر الأحمر ، كان حكامها قديما ، يعرفون باسم : القفطيين حكام مصر العليا .

والقفطيون هم « الكفتوريون » من نسل مصرايم الذين نزحوا الى مصر فى أواخر الأسرة السادسة ، وهم أول من أعتنق المسيحية منذ ظهورها من القدماء المصريين وعرفوا باسم « القبط ـ Koptos» وأما القول بأن « كفتور » يعنى جزيرة كريت ، فى البحر المتوسط وأن أهلها يسمون بهذه التسمية ، فلسنا منه على ثقة ، حيث قد تبين من دراسة الشواهد التى اعتمدوا عليها من التوراة ، أن الأمر اما ان خلط فى الأسماء المتشابهة ، أو انه مقصود به أن يكون كذلك بالحاح ، لسبب ما ، فى القول عن الفلسطينيين والقفطيين خاصة ، ولذلك أقحم أيضا اللفظ المصرى القديم (كفتيو) دالا على جزيرة كريت ، وجزر اليونان ، فى البحر المتوسط ، وليس كذلك ، وربما كان الأصح إنها على ساحل فلسطين والجزر القريبة منه انظر : (قاموس الكتاب المقدس) .

(٣) ومن أقرب الأسماء المصرية إلى لفظ « فوط » اسم رئيس شرطة فرعون مصر ، الذى اشترى يوسف عندما نزل الى مصر مع قافلة من الاسماعيليين ، فقد كان يدعى « فوطيفا » اى حامل القوس ، « يودتيفا » . وفى كتاب (العقد الثمين) لأحمد كمال ، (ص٧٦/) فى الكلام عن يوسف فى الأسرة السادسة عشرة قوله :
« . . وزير مصر (فطفير) ويسمى بالقلم القديم . (بدوفو) أى .

« هدية الشمس ..» أى عطية الإله .
والأشبه أن يقال : إن التسمية (يودتى فا) ، أى حامل القوس لأنه رئيس الشرطة ، فاذا أضيف لفظ (رع) كان المعنى دالا على حامل قوس الإله فينطق « فودتى فا رع » .

(٤) انظر التوراة ـ سفر التكوين اصحاح ٩/ .

(٥) كتاب . (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ـ طبع ليبسك بألمانيا ، ص ٨٥/، ٨٧ .

(٦) وفى (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى
« .. وساميروس ، ملك الكدانيين أبدع المكاييل والموازين ، ونسج الابريسم واخترع الأصباغ ، وجاء فى الخرافات أنه كان له ثلاث عيون وقرنان » .

(٧) « سرجون الكبير » : يبدو انه المسمى (شاروكين) ـ الذى بنى دور شاروكين ، المسماة الآن ، تل خرصباه ، فى شمال الموصل ـ (انظر دليل الآثار فى العراق)

(٨) أول من بنى نينوى هو الملك « نيتوس بن بالوس » بعد أبيه ، فى أوائل القرن الحادى والعشرين ، ق . م . كما فى جدول ملوك آشور ـ (أنظر « الآثار الباقية، للبيرونى ») .

(٩) « كالح » : هى مدينة نمرود اطلال تقع جنوبى الموصل ، كما فى دليل الآثار فى العراق فأما « دحويوث » فهى فى اطراف نينوى

(١٠) مصرايم بن حام بن نوح ، وهو أقرب الأسماء التى يمكن أن يشتق منها اسم مصر والمصريين .
هذا على الرغم من أنه كانت لمصر قديما عدة تسميات منها ماهو اشارة الى سواد تربتها وخصوبتها فيقال (كمت Kmt ومنها ماهو بالنسبة لظاهرة فيضان النيل ، فيقال : (تاميرى Tamery فيما يسمى « الدميرة » بمعنى فصل الفيضان .

(١١) « فتروسيم » : وينسب إليه سكان مصر العليا ، فيما يسمى : صعيد مصر .

(١٢) والمشاهد فى المراجع التى اختصت بالنظر فى تفسير ذينك الاسمين ، وهما : « فلشتيم وكتفوريم » ، أن هنالك تبدو محاولة متعمدة للخلط بينهما ، بحيث يرجعا جميعا الى قبيلة واحدة لشعب غريب أو دخيل خرج من « كفتور » الذى معناها فى نظرهم جزيرة « كريت » فصار غير حامى العنصر .

ونحن لم نأخذ بمثل هذا الرأى لأن الشواهد التى قيل عنها كذلك عن التوراة ، انما هى صريحة واضحة والتأويل فيها مستحدث مكشوف فالتوراة التى ذكرت الفلسطينيين قبل دخول بنى اسرائيل الى كنعان بما يقرب من خمسمائة سنة، وذلك فى زمن ابراهيم الخليل ، نصت على ان « فلشتيم » هو الاسم العبرى الذى اشتق منه لفظ فلسطين بالعربية ، فقد جاء فى سفر التكوين ـ اصحاح ٣٢/٢١ ـ قوله :
* ... فقطعا ميثاقا فى بئر سبع ، ثم قام ابيمالك ونيكول رئيس جيشه ورجعا الى ارض فلسطين ... وتغرب إبراهيم فى أرض الفلسطينيين اياما كثيرة » *

وفى الهامش بإزاء فلسطين ؛ أنها فى التوراة العبرية · (فلشتيم) .

فأما « كفتوريم » فالواضح فيه انه اسم علم ، وليس هو اسم مكان يدعى (كفتور) ويقترن اسمه مع فلشتيم على قياس انهما قبيلتان خرجتا من بين أولاد مصرايم الستة ، ولهما وضع محدود فالخروج هنا لايعنى أن « كفتوريم » اسم مكان بل إنما يعنى شعبا بعينه اشتهر بهذه التسمية ، التى كانت تطلق على الموضع ، أو الأرض عن طريق الملكية ، ورغم ما فى المراجع ، من كلام كثير ، فإنه غير مترابط يبين الشك فيه ، ولذلك لم نأخذ به ، واعتمدنا على ما فى التوراة ، باعتبارها الأصل فى التسميات .

(١٣) وفى كتاب · « العقد الثمين » لأحمد كمال : أن أصل التسمية « بدوفر » يعنى · هدية إله الشمس .
غير أن الملاحظ أن التسمية تختص برئيس الشرطة ، ويشبه انها تنطق (بودتى فا) اى ' قواس ، أو حامل القوس ، وهذه غير اسم (فوطيفارع) رئيس كهنة مدينة أون ، التى ذكرها قاموس الكتاب المقدس ، وهذه ربما كانت تعنى عطية الإله ، وليست تلك .

(١٤) قوله « تخوم الكنعانى . » يعنى الأماكن التى سكنها أولاد كنعان الكبير ، ابتداء من بكره صيدون ، وهى من شمال فلسطين إلى غزة
و« جرار » بلدة قديمة كانت الى الشرق فى طريق وادى غزة ـ انظر خريطة فلسطين

(١٥) وفى كتاب (تاريخ فلسطين) ـ طبع القدس سنة ١٩٢٣ م
« الحثيون قبيلة انفصلت عن تركستان نحو ١٧٠٠ سنة ق م وأنهالت على فلسطين ، وهم فرع شجرة من مملكتهم المؤسسة فى شمال سوريا وآسيا الصغرى ، حيث كانت عاصمتهم « ختى » التى تسمى اليوم بوغازكوى » .

وهذا القول واضح فيه أنه يعنى الحاتيين الأتراك ، وهو يخالف ما فى التوراة عن أصل الحثيين ، وفيما أن حثا من أولاد كنعان ، ولسنا مما قيل فى الخلط بينهما على ثقة ، من قبل انه لاتوجد علاقة واضحة بين الحاتيين الأناضول وبين أولاد (حثا) الكنعانى ، منذ أول الأمر

ويبدو فى ذلك اختلاف فى التسمية ، عن طريق التشابه اللفظى ، بينما هنالك فرق بين لفظ « حاتى » بمعنى تركى أناضولى وبين « الحثى » الكنعانى الأصل .

(١٦) انظر . « قاموس الكتاب المقدس » ـ مادة أمورى

والذى نراه أن الأموريين والحموريين جميعا لفظ واحد الأصل فيه « حمورى » بمعنى شديد ، وكانوا فى بادىء الأمر يمتلكون شرقى وجنوبى فلسطين ، ثم تملكوا فى سوريا والعراق ، ثم اندثروا عند ظهور الأشوريين واجتياح الحاتيين الأناصول سوريا فى القرن السابع عشر قبل الميلاد

(١٧) لم نجد فيما ذكره « قاموس الكتاب المقدس » عن مادة (عرقى) مانقتنع به فى نسبة هذا اللفظ الى مدينة « عرقة » ، حيث قال

« عرقى ، اسرة كنعانية ـ تك ١٧/١٠ وأحبار أول ١٥/١ ـ وربما هم سكان عرقة ، البلدة الكنعانية التى تبعد اثنى عشر ميلا شمالى طرابلس ، وقد كان لها أهميتها فى التاريخ الفينيقى ، وتنازع عليها المصريون والأشوريون ، وكانت احدى المدن التى ورد ذكرها فى لوحات تل العمارنة ، بين سوريا ومصر ، فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وفى آثار فرعون تحتمس الثالث فى القرن ١٥ ق م ، وتغلث فلاسر الثالث ملك أشور فى القرن ٨ ق م »

ونحن ، لم نجد فى تاريخ تحتمس الثالث وفى حروبه فى فلسطين والشام ، اسم هذه المدينة ، رغم انه ذكر جزيرة الأرواد قرب طرابلس ، وفى الخرائط الطبوغرافية نجد فى الموضع الذى أشار اليه ، اسم مدينة (عريصة ، وليست . عرقة شمالى طرابلس بقريب من اثنى عشر ميلا)

(١٨) « شومر » وقد تنطق (سومر) أو « صومر » ويبدو أنه نسبة الى « السومريون » ، وهم « الصماريون » ، نسبة الى بلدة صميرة ، أو شميرة .

الفصل السابع :

القبائل الآرية

الآرية ، صفة للتأصيل والتفوق ، واللفظ هندوسى أو إيرانى ، يراد به تلك القبائل من البشر الذين كانوا يتعارفون بتلك اللغة ، أو ماهو مشتق منها .

والأصل فيهم ، كما فى التوراة ، أنهم من نسل يافث بن نوح ، فهو أبو الصقالبة والترك والروم واليونان ، وما والاها إلى الشرق والغرب ، ثم إلى الشمال والشرق من بحر قزوين ، فيما كان يعرف باسم (ماجوج) ، وهى بلاد المغول القريبة من الروس .

وعلى الزعم الذى يقول : إن الشعوب السامية سكنت فى آسيا منذ أول الأمر ، وإن الشعوب الحامية استقرت فى إفريقيا ، فأما الشعوب الآرية فهم بنو يافث بن نوح ، الذين سكنوا ابتداء فى آسيا الصغرى ، ثم انتشروا فى أوروبا نزوحا إليها من حوض البحر الأبيض المتوسط ، فإن أولاد يافث ، كما ذكرتهم التوراة[1] ، سبعة وهم :

* جومر وماجوج ومادای وياوان وتوبال وماشك وتيراس ، ومن هؤلاء تفرقت جزائر الأمم[2] ، بأراضيهم ، كل إنسان بلسانه ، حسب قبائلهم بأممهم ..*

١ - (جومر بن يافث) .

وهو أبو الأرمن والفرس ، وأهل شمال تركيا ، جنوبى جبال القوقاز ، والفرس ، فى تاريخهم القديم ، كانوا يسمونه « كيومرث كلشاه » يعنى ملك

الأرض والجبال ، ويعدونه بمثابة الإنسان (الأول) على الأرض ، ولهم فى ذلك قصة « ميشا وميشانة[٣] » ، على أنها تحكى خلق آدم وحواء .

وولد جومر بن يافث ثلاثة بنين ، وهم :

(أشكناز) :

وهذا اللفظ كان يطلق على اليهود الذين كانوا يقطنون آسيا الصغرى ، على سبيل الصفة ، فيقال « أشكانيزم » ، ويبدو أنه فى لهجة أقرب إلى التركية والفارسية ، بمعنى « الجميل الباكى » أو الحزين .

فأما الموضع الذى أقام فيه ، فالأشبه أنه منطقة شمال جبال القوقاز عند الطرف الشرقى للبحر الأسود ، كان يضم شعبا من الفرسان البدو الرحالة ، ويبدو أن هؤلاء كانوا ضمن الغزاة الذين اقتحموا أراضى بين النهرين وسوريا فى أوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد .

ثم (ريفاث) .

فى « قاموس الكتاب المقدس[٤] » ، نقلا عن المؤرخ (يوسيفوس اليهودى ، أن الريفاثيين سكنوا ابتداء فى شمال تركيا على الساحل جنوبى البحر الأسود ، فى الأرض التى كانت تضم شعب (بفلاجونيا) ، وهم سلالة من الروم القصار الغلاظ الرعوس ، وكانت لهم هنالك سلسلة من المستوطنات أهمها « سينوب » .

ثم (توجرمة) .

ويبدو أنه رأس الجرمانيين القوط الشرقيين فى منطقة بين أبيه وأخيه تقع شرقى البحر الأسود ، ومساكنهم ابتداء كانت الى الشرق من الريفاثيين .

٢ - (ماجوج بن يافث بن نوح):

أرض ماجوج هى التى تمتد من شمال بحر قزوين إلى ناحية الشرق ، وهى مقاطعة تركستان ، وهم أهل خوارزم وبلاد المغول الروس ، وقد نزح اليها الناس من شمال وشرق بلاد ميديا وأشور وأرمينيا .

وقد جاء ذكر « ياجوج وماجوج » فى القرآن الكريم ، وهناك اعتقاد اسطورى قديم ، على أنه من علامات الساعة اذا اكتسح هؤلاء العالم أجمع .

٣ - (ماداى بن يافث بن نوح) :

وهو أبو الماديين الفرس الذين سكنوا ابتداء الأرض الجبلية جنوبى بحر قزوين وهم أهل خراسان وماجاورها إلى الغرب ، وقد كانت لهم مملكة قديمة تمتد من بحر قزوين الى جبال الاناضول ، وقد ضمها « قورش » الكبير الى الامبراطورية الفارسية .

٤ - (ياوان بن يافث بن نوح) :

ياوان ، أبو اليونان الإغريق القدماء ، وعنه اشتق اسم (ايونيا) وأطلق على جزر اليونان التى سكنوا فيها منذ أول الأمر ، فى بحر ايجه والبحر الأدرياتى ، وبحر الروم .

وولد ياوان أربعة بنين ، وهم :

(أليشه) :

أكبر أولاد ياوان بن يافث ، ويبدو أنه سكن بجوار أبيه ، فاختص بجزيرة كريت ، ثم الجزر الصغار القريبة إلى الساحل الغربى من بحر إيجه .

ثم (ترشيش) .

هو أبو الترك ، والأشبه أن التسمية هى الأصل الذى انحدر عنه إلى الآن ، صفة التركى Turkish ، ولم يبق منها غير اسم « طرسوس » اشارة إلى عاصمة بلاد الأناضول .

وتركيا أصلا هى شبه الجزيرة بين البحرين الأسود والأبيض ، شمالا وجنوبا ، ثم إلى بحر إيجه ، وهو بحر اليونان ، غربا ، وعاصمتها : أنقرة ، فاذا اختص الأناضول منها بالجزء الجنوبى على البحر الأبيض ، والريفاثيون الروم بساحل البحر الأسود شمالا ، بقيت تركيا الوسطى ، هى التى اصلا باسم « ترشيس »

ثم (كتيم):

فى أكثر المراجع المتاحة ، أن « كتيم » هى جزيرة قبرص ، وهى منذ أول الأمر يقطنها اليونانيون .

ثم (رودانيم[٥]) ؛

وقد تنسب اليه جزيرة رودس ، ومايليها من الجزر الصغار فى الجهة الشرقية من بحر إيجه .

٥ ـ (توبال بن يافث بن نوح) :

ويبدو أنه كان يقطن إلى الغرب من البحر الأسود ، فى أرض البلقان ، فيما بين ياوان وبين ماشك ، وقد ذكر مع « ياوان » فى أكثر من موضع[٦] .

٦ ـ (ماشك بن يافث بن نوح) :

وإليه ينسب المسكوفيين الروس ، شمالى البحر الأسود ، غربى بحر قزوين فى سهل أوروبا الشرقى .

٧ ـ (تيراس بن يافث بن نوح) :

تيراس ، فيما نرى ، أنها طوروس ، فى أرض الأناضول على ساحل البحر الأبيض ، ثم بحر إيجه غربا ، وهى الجزء الجنوبى المكمل لتركيا الان[٧] .

وقد ذكر المؤرخ « يوسيفوس Yosephus اليهودى[٨] ، قبائل يافث بن نوح ، والمواضع التى سكنوا فيها فقال ·

« بنو يافث :

(ماداى) ومحله الشمال من بلاد العجم .

و(ياوان) ، ومحله اليونانيون الذين يسكنون بأرض مكدونيا .

و(توبال) ومحله بجوار (ماجوج) ، بين البحر الأسود وبحر الخزر[٩] ، وقد سكن بعض نسله على شط بحر البلطيق ، ومنه تسلسل بعض المسكوبيين[١٠] .

و(ماشك)[١١] ، ومحله بجوار « ماجوج »[١٢]

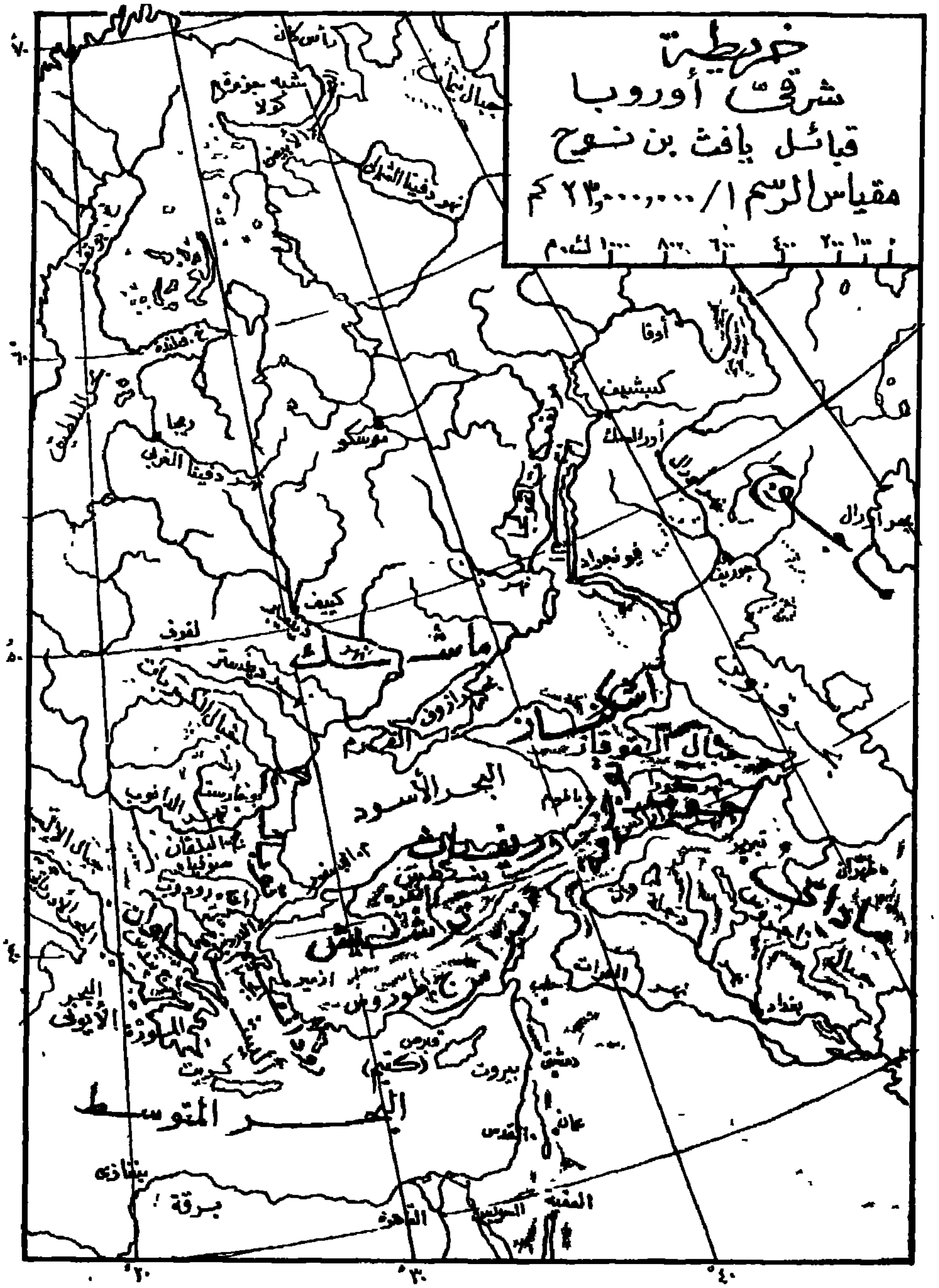
ثم ذكر قصة غريبة ركيكة ، ملخصها :

« أن الله لما فرق أهل الأرض بعد الطوفان وخالف ألسنتهم فانتشروا فى الأرض ، مضى بنو « كتيم » ، من أولاد ياوان بن يافث إلى أسبانيا ، وبنوا لهم مدينة سموها كذلك ، على اسم البناء الذى بناها ، ومضى بنو « توبال » إلى أرض (يوسيبيا[١٣]) ، وأقاموا بها ، وكانوا يرغبون فى مصاهرة أولاد أعمامهم ، ولكن هؤلاء كانوا يكبرون عليهم ولايريدون أن يزوجوهم .

وفى بعض السنين احتال بنو « توبال » ودخلوا إلى أسبانيا وسبوا من وجدوا فيها من الفتيات ، ومضوا بهن الى حصون لهم فى الجبل ، ولم يقدر بنو « كتيم » على محاربتهم لأنهم وضعوا لهم الأطفال الذين رزقوا بهم من الفتيات على أسوار الحصون ، فكفوا حينئذ عن محاربتهم ..» .

ثم أكمل المؤرخ ، « يوسيفوس » اليهودى ، ذلك بقصة أخرى أغرب من تلك ، أراد أن يقول فيها أن صفو بن أليفاز بن عيسو صار فيما بعد ملكا على بلاد الكتيم » .

وذلك ، ما أمكن لنا استقصاؤه من الأماكن التى سكنها ابتداء أولاد يافث ابن نوح ، كما هى موضحة على الخريطة المعدة لذلك ، فيمايلى :



(١) انظر « التوراة » ـ سفر التكوين ، أصحاح/١٠

(٢) جزائر الأمم فصائلهم ، تبعا لمواقعهم من الأرض

(٣) (انظر - تاريخ ملوك الفرس القديم ، فى كتاب (الآثار الباقية من القرون الخالية) ـ للبيرونى ، طبع أوروبا .

(٤) انظر (قاموس الكتاب المقدس) ـ مادة « ريفاث »

(٥) كذا فى هامش الأصحاح الأول من سفر (أخبار الأيام الأول) ـ أصحاح ٧/١ فى التوراة ـ ويبدو أنها أصح لفظا من « دودانيم » .

(٦) انظر « قاموس الكتاب المقدس » ـ مادة توبال

(٧) فى « قاموس الكتاب المقدس » ـ مادة « تيراس » ، عن هيرودوت المؤرخ الاغريقى

« أن التيراسيون ، ربما كانوا قراصنة « ترويشا » ، الذين عزوا مصر وسوريا فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ـ ولسنا من هذا على ثقة تماما

(٨) انظر. (تاريخ اليهود القديم) ليوسيفوس ، الجزء الأول

(٩) بحر الخزر هو بحر قزوين الآن

(١٠) المسكوب ، أو المسكوف يراد بهم الروس الذين عاصمة بلادهم « موسكو » فى سهل أوروبا الشرقى .

(١١) « ماشك » : هو أيضا . ماسك أو « موسك » ، ويراد به أبو المسكوبيين .

(١٢) « ماجوج » أخو « ماشك » ، ويبدو أن نسله كان يقطن مع المسكوبيين ، وإنما الى الشرق من بحر الخزر فى آسيا .

(١٣) كذا فى الأصل المطبوع · (يوسيبيا) ، ونحن لم نعثر على هذا الاسم ، غير أن الأشبه انه يعنى بلاد البلقان ، وعاصمتها صوفيا ، وهى المنطقة التى نزل فيه بنو توبال .

وأما القصة فإن فيها اختلافا ، إلا إذا فرضنا أن أسبانيا هى بلاد الكتيم ، بدلا من قبرص .

الباب الثالث

فى المدخل إلى تاريخ مصر القديم والوسيط الأول

- العصر العتيق فى مصر .
- الأسرات الملكية فى الدولة القديمة والعهد الوسيط الأول .
- نسل ابراهيم الخليل (إبرام)

الفصل الثامن :

العصر العتيق فى مصر

اختلفت آراء المؤرخين فى أصل المصـريين فى العصر العتيق ، قبل عهد الأسرات الملكية ، فبعض يرى أن المصـريين الأوائل قدموا من الجنوب عند منابع النيل ، على الزعم الذى يحكيه الأحباش بأن المصـريين .بطن منهم .

وبعض يرى أن السلالات البشرية انحدرت جميعا عن القوقازيين ، بين بحر قزوين والبحر الأسود ، وهذا قول صحيح ، غير أنه ناقص التعريف ، فهو بعينه ماجاء فى التوراة ، ولكن بوجه آخر ، فالساميون هم العرب واليهود وسكان آسيا الصغرى ، والحاميون هم المصـريون والكوشيون فى افريقيا ، وأما الآريون فهم القوقازيون والأرمن والصقالبة .

ومع ذلك فالأقرب إلى العقل ، أن يقال : إن المصـريين نسل من العرب الأدوميين أولاد قايين بن آدم ، قبل الطوفان ، ثم إنهم من نسل حام بن نوح بعد ذلك ، وإنهم نزلوا إلى مصر من جهة الشرق عن طريق فلسطين وشمال سيناء ، ثم إلى وادى النيل ، ومن هؤلاء المصـريون القفطيون ، أولاد « كفتوريم » من ولد مصرايم ، أصحاب مدينة (قفط) المسماة فى المصرية القديمة (جبتيو Gebtyw) ، وهم أحدثهم عهدا ، وقد لايتجاوز تاريخ العصر العتيق فى مصر أول التقويم العبرى سنة ٣٧٦٠ ق . م .

فلما هبط الأوائل إلى مصـر واستوطنوا الأرض ، وأقاموا المدن طردوا أمامهم نحو الشرق والغرب والجنوب من كان فيها من قبائل الرعاة والقناصين الذين وفدوا إليها من قبل عن ذلك الطريق ، ثم صارت لهم عقائدهم وحضارتهم ، فكان أكابرهم يلقبون إذ ذاك باسم المبجلين ، أتباع الآلهة ، ثم لما استكملوا وجودهم اتبعوا بعد ذلك نظام الأسرات الملكية بالتوارث .

فأما الفترة التى سبقت حكم الأسرات ، فالقول فيها ، من جهة التاريخ ، لايزال فى أوله ، ويكاد يكون مغلقا تماما ، مما فتح أمام الذين نظروا فيه باب اجتهاد عن طريق التصور والتقدير ، فكان فى بعض ذلك خروج عن المقبول .

وقد ذكر عالم المصريات (جيمس بيكى) فى كتابه[1] ، بعض أسماء ممن يظن أنهم من أعلام ما قبل الأسرات ، قال إنهم من ملوك الوجه البحرى ، وهم :

١ - (سكا) وهذه التسمية قد تعنى فى العربية ما يقابل لفظ : الحارث .

٢ - (خاو) ، أو (خايو) ، وكلاهما بمعنى : الصابر .

٣ - (تيو) : وهى فى العبرية بمعنى : المرتل أو المنشد ، وربما كان هذا اللفظ (ثيو) ، وهذا يعنى على الأرجح · الحاكم .

٤ - (أونسكا) ، ومعناها : أبوالحارث .

٥ - (تش) ، أى الكاتب .

٦ - (وازن) بمعنى : الغض أو النضر .

ثم ذكر اسم : (الملك العقرب) ، من ملوك الوجه القبلى .

وقد تكون تلك التسميات بمعان أخر غير ما أشرنا إليه ، غير أن الواضح فيها أنها أسماء قريبة فى معانيها من أسماء العرب والآسيويين ، مما يدعو إلى الشك بأنها محدثة وليست من مسميات العصر العتيق .

فأما من تقدم عن زمان هؤلاء ، فيما كان يطلق عليهم صفة أنصاف الآلهة ، من أتباع حور ، فالتاريخ يجهلهم تماما وليس فى القول عنهم مذهب صدق .

وأما الذين وجدت أسماؤهم على نقوش فى الآثار تدل على معان لهم ، دون أن تذكر صراحة وبالتفصيل ، ممن قيل إنهم من ملوك العصر العتيق ، أو خلال الفترة التى تسبق عهد الأسرات مباشرة ، فالمعروف منهم حتى الآن اثنان ·

أحدهما : سماه علماء الآثار : « الملك العقرب - King Lcorpion » .

وذلك أنه وجد له أثر فى مقبرة الكوم الأحمر[٢] ، وهو يلبس تاج الوجه القبلى ، وأمامه صورة « عقرب »[٣] ، فى أعلاها علامة رمزية كالزهرة[٤] ، بينما هو يمسك بكلتا يديه علامة أخرى على هيئة العزاقة ، أو سلاح المحراث ، يمتد أحد ضلعيها بذراع طويل يقف عليه شخصان كأنهما يحملان شعارا ، وأسفل الملك الواقف ، يجثو شخص عند قدميه يبدو كأنه يلتقط ما يتساقط منه فى سلة :



FIGURE 50 Relief on the Macehead of King-Scorpion. *(Ashmolean Museum, Oxford)*

وهذا الأثر محفوظ فى متحف (أشموليان) - بأكسفورد ، وتوجد صورته فى كتاب (تاريخ العاديات فى الشرق الأوسط القديم) - تأليف « جاك فينجان » :

Archaelogical History of the Ancient Middle East - by Jack Finesan. 168 - 172.

وقد ذكر المؤلف بإزائه معلوماته من المخيلة ، فقال ، ما ترجمته باختصار : (الملك عقرب King Seorpion) :

« إتقان الزخرفة فى مقبرة الكوم الأحمر « هيراكنبوليس » ، يشير إلى أن بها رفاة شخصية بارزة ، ربما كانت لأحد الملوك الأوائل فى الوجه القبلى ، والاسم الحقيقى لهذا الملك وجد منقوشا على حجر جيرى ، على هيئة كمثراة فى رأس عصا صولجان ، وجد فى حالة مهشمة فى المقبرة التى فى تخوم الكوم الأحمر ، وعند إعادة الأثر إلى حالته الأصلية وجد أن ارتفاعه ٢٣,٠٠ سم ، وبه رسم بارز فى ثلاثة مواضع أفقية ، يظهر الملك بأكمله فى الوسط منها ، وهو يرتدى قميصا طويلا مثبتا بحزام فوق كتفه الأيسر ، وذيل ثور مثبتا فى خصره كأنه الشعار للأسرة المالكة ، وعلى رأسه خوذة طويلة ، تشبه التاج الأبيض لملوك الوجه القبلى .

وهو يقف على حافة جسر للماء ، يبدو كأنه شاطىء النيل فى وقت انخفاض المياه ، وهذا النهر ينحنى على استدارة حول جزيرة وقف عليها رجلان منهمكان فى أعمال الزراعة ، مع اثنين من حاملى المراوح إلى الخلف من الملك وهو يقبض على عزاقة أو ما يماثلها ، وأمامه شخص آخر يمد إليه بسلة كأنه يستقبل الرذاذ المتساقط عنه ، وهذا ربما يصور الطقوس الزراعية فى فصل الزرع الجديد بعد الفيضان ، بينما أحد العمال المختصين يعود بالسلة وهى مملوءة بالطمى .

وفى الأعلى ، فوق صورة الملك ، نجمة سباعية الأطراف ، وأمامه صورة عقرب ، والعقرب هنا ، على الأرجح تشير إلى الاسم الهيروغليفى للملك ، فأما النجمة فيمكن أن تشير إلى إله السماء ، وغالبا أنها تخص الإله « حورس » ، وذلك يؤكد أن الملك كان فى أواخر عهد ما قبل الأسرات الملكية .... » .

وفى الجهة العليا من الرسم يوجد شخصان منتصبان يحملان الأعلام ، ويشبه أن يكونا وقوفا على قوارب من الخزف ، ويظهران فى الرسم كأنهما يرفعان شعارا ، وبينما هذه الأفكار لا تكاد تبين فى الرسم ، فيمكن أن يكون للملك (منا) ، أو للإله (مين)[٥] .... »

فأما علماء الآثار ، لما وجدوا أن هذا الملك يلبس تاج الوجه القبلى وأن بإزائه صورة العقرب ، قالوا فيه :

إن اسمه : « عقرب Scorpion » ، وان انتصاراته على أهل الشمال وسكان الصحراء لم تكلل بالنجاح ، وذلك أنه يلبس التاج الأبيض فقط ، فجاء من بعده الملك ، المسمى فى أثر آخر : « نعرمر ـ Ner Mar » ، وحارب أهل الدلتا وقام بتوحيد البلاد .

وفى الموسوعة المصرية ـ تاريخ مصر القديم[٦] :

« .... فقد عثر المنقبون على آثار لملكين ، يغلب الظن أنهما سبقا مباشرة الملك (منا) :

أولهما : وقد ظهر اسمه : « العقرب » على دبوس للقتال يحوى مناظر تسجل انتصاراته فى حرب ضد أهل الدلتا وسكان الصحراء ، إلا أنه قد زين رأسه بالتاج الأبيض فقط ، ومعنى هذا أن انتصاراته كانت جزئية ولم يستطع اخضاع أهل الشمال وضم الدلتا إليه .

أما الثانى : واسمه « نعرمر » ، فقد وصلت إلينا لوحته الكبيرة التى حوت مناظر كثيرة على وجهيها تثبت أنه أتم ما بدأ به أسلافه ، وأنه أخضع الدلتا إخضاعا تاما ، فكان بذلك أول من استحق تلقيب نفسه : ملك الجنوب والشمال .... » .

ثم انتهى إلى قوله :

« .... ويحار المؤرخون بين حقيقتين ، أولاهما : أن المصريين ، منذ عصر الدولة الحديثة ، يذكرون فى قوائم ملوكهم ملكا اسمه : « منا » كأول من استحق لقب : موحد القطرين ، كما ذكره (هيرودوت) ، ونص عليه (مانتون) أيضا ، ولكن هذا الاسم لم يرد مرة واحدة على آثار ملوك

الأسرة الأولى ، أما الحقيقة الثانية فهى أن « نعرمر » قد سجل لنفسه على آثار له ما يدل على أنه وحد القطرين ، ومن أجل ذلك يقرن بعض المؤرخين الأسمين ويطلقونهما على شخصية واحدة ، وهى أن (نعرمر) هو الملك « منا » ..

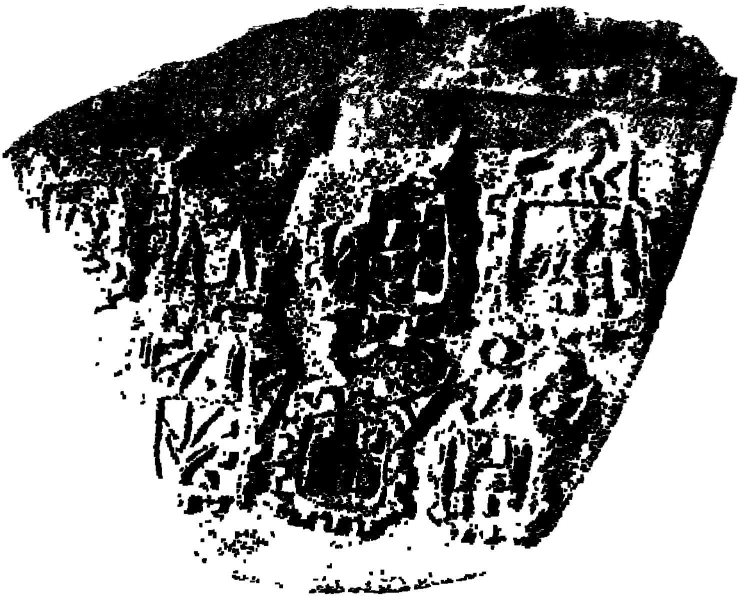
ونحن نشك فى مثل هذا التفسير ، ولسنا منه على يقين تماما ، فالقول بأن صاحب الأثر الأول اسمه (عقرب Scorpion) ، وأنه كان يحارب أهل الدلتا غير صحيح ، فليس فى الرسم ما يدل على الحرب أصلا ، بل إنما هو بالزراعة أخص وأشمل ، كما أن صورة العقرب فى ذاتها ومعناها ليست من أسماء الملوك والأمراء ، بل هى فى الأصل إما أنها اسم للعقرب فى ذاتها ، وإما أنها اسم إلهة لحراسة الجسد المتوفى حتى يعود الهواء إلى رئتيه ثانية فترجع إليه الحياة ، كما فى عقائد المصريين ، واسمها : « سركت » .

الاله (سركت)

(the scorpion-goddess) SrKt 

وأسماء الآلهة وصورها يجوز إطلاقها على الأقاليم والاقطاعات والامارات ، كما لو جعل الإله « حور » مصورا فى هيئة الصقر شعارا لاقطاعه تحمل هذا الاسم .

وفى المتحف المصرى بالقاهرة لوحة أردوازية مرممة[٧] ، أشار إليها العالم الآثارى : (جاردنر A . H . Gardiner) ، باسم لوحة (تحنو) ، تحمل شعارات جميع الاقطاعات السبع فى صعيد مصر ، ومن بينها : شعار إقطاعة الإله « حور » ، فى صورة الصقر الملكى ، ثم شعار إقطاعة الإله (سركت) فى صورة العقرب ، وهذا بعينه يحمل الأثر الذى قيل عنه : إنه الملك « عقرب » يحارب أهل الشمال[٨] :



وعلى هذا الوجه البسيط من النظر ، نرى أن الأثر ليس فيه أكثر مما يدل على أن الملك ، أو الأمير ، إنما يتفقد الزراعة فى الإقطاعة التى يشرف عليها أو يملكها ، وليست هنالك إشارات دالة على الحرب .

فأما العلامة  على شكل الزهرة ، فهى بعينها الرمز الهيروغليفى للزهرة الرباعية الأطراف ، وكلاهما مقطع بصوت ينطق عادة (ون) ، بما يفيد الصحة وصفة الشباب .

وأما العلامة  فهى الرمز الهيروغليفى : «  » مكتوبا من اليمين إلى اليسار ، وكلاهما ينطق : (مرى) ، أو (مر Mer) ، وأكثر استعمالاته فى غير الزراعة ، بمعنى : المحبوب ، وإنما زاد طول الذراع الأعلى لكى يقف عليه شخصان يرفعان الأعلام أو الشعار ، فيبدو على هيئة المعزقة أو المحراث ، فى الآلات الزراعية ، وبفرض أن هاتين العلامتين تمثلان اسم الملك أو الأمير ، فإنه يمكن أن ينطق : (ون مرى) ، بمعنى : الشاب المحبوب .

كما أن ظهور علامة فى الرسم على شكل العزاقة ، ثم وجود شخص جاث أمام الملك كأنه يلتقط الحبوب ، ثم الوقوف بجوار مجرى ماء كأنه النهر ، كل ذلك يشير إلى الخير ، وسعة العيش ، فى هذه الإقطاعة من الأرض التى تروى بماء النيل ، وليست فيه إشارة للحرب ، كما ذكر بإزائه

في الموسوعة المصرية .

فأما الأثر الثانى ، فقد أطلق عليه علماء الآثار اسم : الملك (نعرمر ـ NerMer) .

وذلك أنه وجد على لوحة قديمة فى مقبرة الكوم الأحمر أيضا ، يلبس التاج المزدوج فى أحد وجهيها ، وفى الوجه الأخر يلبس تاج الوجه القبلى ، وفى كليهما يحمل اسمه فى أعلى الرسم هكذا[٩] :

فسموه كذلك بفرض أن



صورة السمكة تقرأ فى اللغة المصرية بلفظ : (نعر ـ Ner) ، وهو الاسم العام فى الأسماك ، دون تخصيص فى النوع .

وأن العلامة الرمزية التى تشبه الوتد ، أسفل من تلك ، لفظ مصوت مختصر ينطق (مر Mer) ، ويعنى غالبا : المحبوب أو المقرب .

وباجتماعهما ، بإضافة الثانى إلى الأول ، يصير الاسم الكامل (نعرمر NerMer) ، وهو فى ذاته على هذا الوجه ترجمة حرفية غير صحيحة تماما ، لكونها لا تحمل المعنى الذى يتمثل عادة فى أسماء الملوك الفراعنة والأمراء ، فإن أسماءهم تبدو دائما ذات معان فخمة مقبولة .

فلما وجدوه فى الرسم يلبس التاج المزدوج فى جانب منه ويلبس تاج الصعيد فى الجانب الآخر ، قالوا : « إنه تمكن من توحيد شطرى البلاد بعد ثورة عارمة ، وأنه أول من قام بذلك .... » .

وسريعا ، دون مناقشة علمية أو موضوعية ، جعلوا اسم الملك (منا) ، الذى ذكرت المراجع القديمة أنه أول ملوك الأسرات ، محرفا عن ذاك ، حتى يبدو للناظر ، فى غاية البساطة من القول ، أن كليهما ملك واحد ، هو صاحب مدينة « منف » ومؤسس الأسرة الأولى[١٠] .

وقد ذكر العلامة (جاردنر Gardiner) ، فى كتابه : « مصر الفراعنة »[١١] : أن قراءة كلمة « نعرمر NerMer » ، ليست مؤكدة تماما .

والأشبه أن صورة السمكة ، لما كانت من النوع المسمى « بلطى

النيل » ، فهى تنطق (ون) ، فيبدو الاسم الصحيح : (أونمر-Wn. Mer- وهذا هو بعينه اسم الملك فى الأثر الأول المسمى « عقرب » ، مما يخيل أن الأثرين كليهما لملك واحد يدعى (أونمر ـ Wn Mer) ، والفرق بينهما اختلاف فى دقة الرسم وموضوعه فى كل منهما .

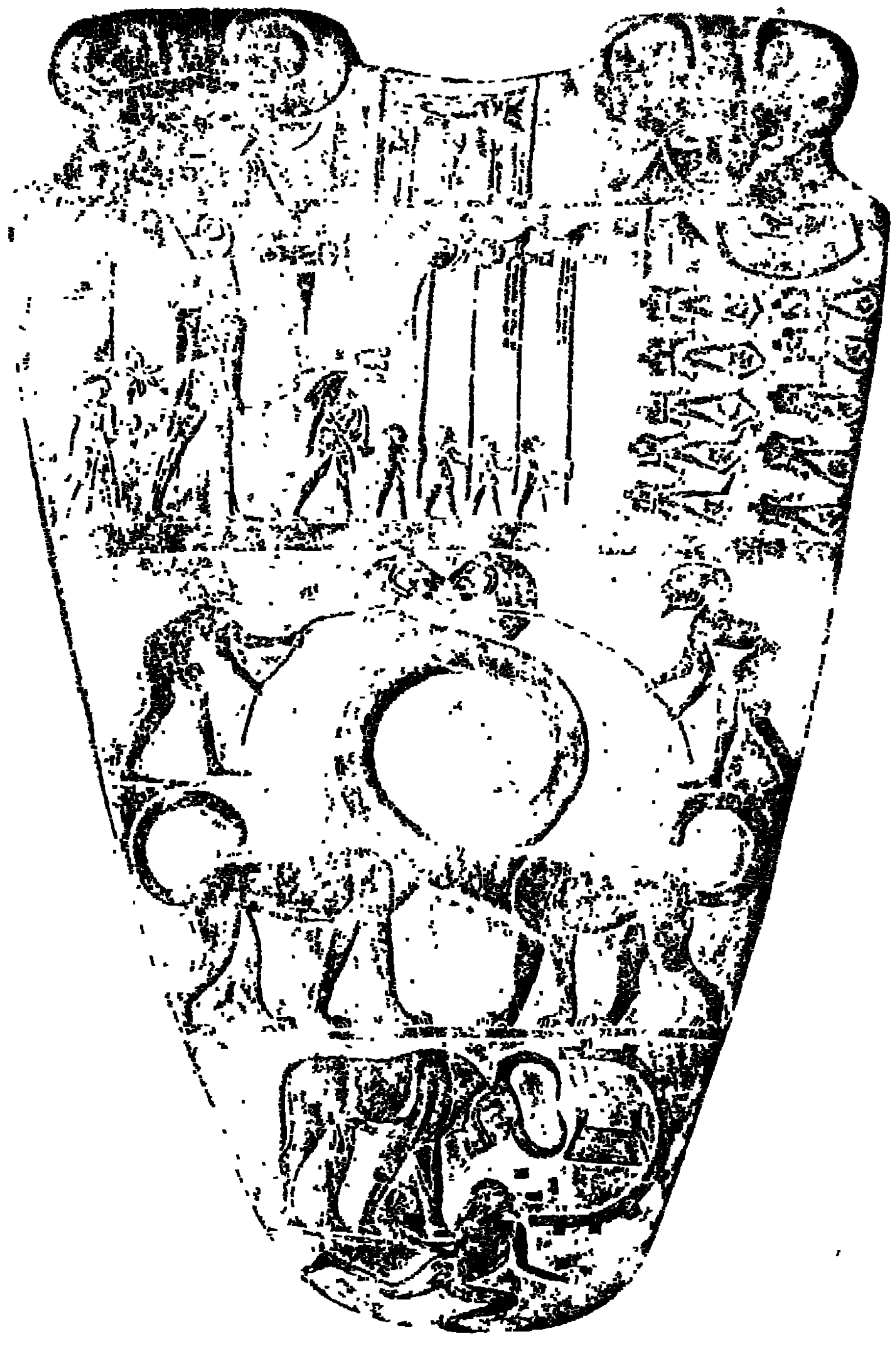
والرسم فى ذاته ، فى أحد وجهيه ، وهو الأمامى ، يمثل الملك يلبس تاج الوجه القبلى ، وهو يؤدب زعيم الغزاة ، الذى يبدو أنه أمير ليبى ، أشير إليه باسم(١٢) « داسبت Daspit » ، آخذا بناصيته ، وخلف الملك خادمة يحمل حذاءه ، وأمامه الإله « حورس » فى هيئة الصقر الملكى مستقرا على ستة أعواد من نبات البردى مغروسة فى ظهر العدو ، وقد سحبه من أنفه رغما ، مشيرا إلى أنه أعان الملك فى الحرب فأسر من الأعداء ستة آلاف ، بفرض أن كل ساق من نبات البردى ، الذى يرتكز عليه الإله « حورس » يمثل فى العدد ألفا من الأسرى الليبيين .

وفى أسفل الرسم من هذا الوجه ، يبدو اثنان آخران من الزعماء يحاولان الفرار ، أحدهما إلى اليسار يدعى . (ذا Za) ، والآخر إلى اليمين يدعى . (أومت Wmit) :



وفى الوجه الآخر ، الخلفى من الأثر ، يرى الملك يلبس التاج المزدوج ، وخلفه خادمه بعينه يحمل الحذاء ، وأمام الملك قائد الحرب (ست) يتقدمه

حاملو الأعلام ، وأمامهم صفان من الأسرى ، وقد قطعت رءوسهم بين أرجلهم .



وتحت هذا المنظر صورة خيالية ، ذات مغزى ، كمن يقول : « نحن قوم نركب الأسد ونقودها من أعناقها » .

وفى الأسفل ، من هذا الوجه منظر يمثل بطش ثور قوى هائج بالعدو الليبى ، وقد حاصره فى إمارة (الأسد)[١٣] عند منفذ ضيق ليقضى عليه .

وهذا الأثر بوجهيه ، كسابقه خال من أية إشارة إلى أن حربا كانت بين أهل الشمال والجنوب من مصر ، بقصد توحيد شطرى الوادى ، فالواضح أن هيئة الأسرى تدل على أنهم ليبيون ملتحون وليسوا هم من المصـريين ، كما أن فيه من دقة الصناعة وقوة التخيل ما يجعل الأمر غير قابل للتصديق أنه من آثار الفترة التى سبقت عهد الأسرات بزمان طويل ، وأيضا ليس بين الاسم الذى أدعوه وهو « نعرمر NerMer » ، وبين اسم الملك (منا) ما يجعل التحريف من أحدهما إلى الآخر ممكنا بسهولة .

وما أرتأيناه نحن فى هذا الأثر ، وفى ذاك ، فنحن لا نجزم أنه صحيح تماما ، ولكن الذى نقطع به عن يقين ، أن كل ماقيل فى كليهما من حيث الخلط فى الموضوع ومن جهة أن أحدهما ، أو غيرهما ، هو الملك (منا) مؤسس الأسرة الأولى ، فهو بعيد عن التصديق وليس بمقبول أصلا ، وإنما يلزم أن يعاد النظر فى ذلك على استقصاء .

والزمان الذى بين أول نظام الأسرات الملكية وبين ما تقدم نحو نسل آدم وهو ما يسمى بالعصر العتيق[١٤] ، وينحصر فيما بين منتصف القرن الثالث والأربعين إلى أوائل القرن الثالث والثلاثين ، قبل الميلاد ، وأقرب هذا إلى التاريخ بداية التقويم العبرى سنة ٣٧٦٠ ق . م ، أو قبل ذلك بقليل ، وجميعه حقبة من الزمان موغلة فى القدم تحتاج إلى دراسات دقيقة يدخل فى تصحيحها شواهد من الآثار المصرية والتاريخ القديم .

فأما ابتداء تاريخ الأسرات الملكية فقد حاولنا قدر المستطاع أن نعيد النظر فيه مرارا عن طريق التحليل من الأواخر إلى البدايات ، ثم عن طريق ترتيب أزمنة الأسرات المتصلة فى الزمان والمتداخلة ، كل منها فرادى على حدة ، وذلك على ضوء أكثر المراجع التاريخية ، مع مراعاة اختلافاتها وما حاول بعض أن يقتضبوه من المجموع ، فى بعض الأسرات المتقدمة ، من الأولى إلى السادسة ، ثم من الفترة التى غزا فيها العمالقة الهكسوس

مصر ، ثم فيما تداخل من الزمان بين بعض الأسرات ، عند انتقال الحكم فيما بينها ، على زعم أنه لا توجد لبعض الملوك آثار ظاهرة .

(١) انظر كتاب (الآثار المصرية فى وادى النيل) ـ ترجمة عربية ، طبع القاهرة سنة ١٩٦٣ م ـ جزء أول

(٢) الكوم الأحمر . قرية بصعيد مصر الأعلى ، شمالى مدينة إدفو ، تقع على الشاطىء الغربى للنيل ، تجاه قرية « الكاب » ، والمصريون قديما كانوا يسمونها : « نخن » ، وسماها اليونانيون « هيراكنبوليس » ، أى مدينة الصقر الذى يرمز إلى الإله (حور)

(٣) صورة « العقرب » فى اللغة المصرية ، لفظ تام ، قد يجعل اسما دالا على إحدى آلهات الوجه القبلى تدعى (سركت Sirkt) ، تختص بالمحافظة على أعضاء التنفس فى الانسان ، وقد تطلق التسمية والصورة ، كلاهما معا ، كشعار ، أو اسم إقليم ، على سبيل الانتساب

(٤) صورة « الزهرة » ، وهى رباعية الأطراف أو سباعية ، تستعمل فى اللغة المصرية لفظا أو مقطعا فى كلمة ، ينطق (أون) ، وتارة « حون » ، ويعنى الشباب والفتوة ، فى أكثر استعمالاته

(٥) وهنا عرج المؤلف على كلام يتعلق بشعار الإله « ست » الذى يصورونه فى هيئة حيوان غريب يرتبط فى صفاته بهيئة الحمار أو الخنزير ، وغالبا ما يشبه الكلب الصياد . . ... » ـ وهو قول لا يدخل فى موضوع الأثر فأهملناه

(٦) انظر (الموسوعة المصرية ـ تاريخ مصر القديم) ـ مقال للدكتور عبدالمنعم أبوبكر ـ ص/ ٢٦

(٧) انظر لوحة رقم (١٩) من كتاب (مصر الفراعنة) لجاردنر ـ الترجمة العربية ، قال فيها ·

إنها لوحة (تحنو) ، بالمتحف المصرى بالقاهرة ، غير أن المعروف بهذه التسمية غالبا هم أهل الواحات ، وهؤلاء لا يخصهم مثل هذا الشعار ، لأنه وجد فى مقبرة الكوم الأحمر بصعيد مصر ، والمرجح أن اللوحة تعنى شعارات مقاطعات الوجه القبلى ، ومنها إقطاعة الإلهة « سركت » .

(٨) والشعار الذى يخص مقاطعة الإله « سركت » ، وعليه صورة العقرب والمعزقة ، يبدو واضحا فى أسفل اللوحة وسطا منه .

(٩) انظر الأثر رقم ٣٠٥٥ ـ بالمتحف المصرى بالقاهرة .

(١٠) وقد زاد الأمر تعقيدا ما ذكره (والتر . ب . امرى) ، فى كتابه (مصر فى العهد العتيق) - ترجمة عربية ص/١٣ - قال

« وقد وجد فى مقبرة « نبت حتب » والدة الملك « حورعحا » - وهو ثانى ملوك الأسرة الأولى فى قوائم الملوك ، عن « مانيتون » - لوحة صغيرة من العاج ، منقوش عليها اسم الملك « حورعحا » ، ومعه اسم الملك (منا) ، ومن تم يكون « حورعحا » هو اسم الملك (منا) .... » "

وليس لدينا تعليق على ذلك أكثر من أن « مانيتون » هو صاحب تاريخ ملوك الأسرات ، وقد ذكرهما تباعا ، أولهما (منا) والثانى (حورعحا) ، وأنه من الخطورة تغيير التاريخ بمثل هذه البساطة من النظر

والآن أصبح ، تبعا لذلك ، أول ملوك الأسرة الأولى أحد ثلاثة وهم (منا) - نعرمر - حورعحا ، ثم رابعهم عقرب '

(١١) انظر كتاب (مصر الفراعنة) لجاردنر gardiner ، الترجمة العربية ، فى القول عن العصر العتيق وملوك الأسرة الأولى .

(١٢) ذكر د أحمد فخرى فى كتابه (مصر الفرعونية) ان اسمه (واع شى) ، غير ان هيئة الخط الهيروغليفى تمثل اسم أمير الإقليم (رات سبت) ، ولسنا من ذلك على ثقة تماما .

(١٣) إمارة « الأسد » هى إحدى الإقطاعات السبعة ، فى اللوحة التى أشرنا إليها قبلاً ذات الشعارات ، فيما يسميه (جاردنر) لوحة تحنو

وموقع إقطاعة هذه فى أسفل اللوحة إلى اليمين من إمارة « العقرب » التى سبق القول فيها .

(١٤) العصر العتيق يراد به منذ أول الأمر عصر ما قبل تاريخ الأسرات ، غير أن بعض المؤرخين يرى استقطاع فترة زمان الأسرتين الأولى والثانية ، من الدولة القديمة وإضافتها إلى ذاك ، أو اعتبار هاتين بأنهما العصر العتيق ، والواضح أن هذا الاجراء غير لائق فى التسلسل التاريخى لترتيب الأسرات ، فالأصل الذى وضعه « مانيتون » هو الأصح .

الفصل التاسع :

الأسرات الملكية فى الدولة القديمة والعهد الوسيط الأول

تبيين تواريخ الأسرات الفرعونية لم يكن منذ أول الأمر فى منهج كتابنا هذا ، ولكنا رأينا أن القول فى موضوع الكتاب إما أن يكون بعضه مبنيا على تواريخ غير يقينية تتعارض مع مصادر أخرى ، وإما أن يكون ناقصا إذا نحن أغفلنا ذلك ، أو أخذنا به من غير تصحيح مقبول ، وذلك لضرورة فى سياق القول تختص بتنسيق التواريخ تباعا على أطراف الأسرات الفرعونية بوجه عام ، ثم لتوضيح الأزمنة المتداخلة فيما بين غزو الهكسوس لمصر وطردهم منها ، وعلاقة التاريخ بين هؤلاء وبين بنى اسرائيل ، وأيضا لتحديد أسماء الملوك الفراعنة الذين عاصروا الحوادث تباعا حتى الخروج ، وضبط أزمنة لها تكون صحيحة على أقرب ما يكون بالقياس إلى التواريخ العامة المعهودة عن يقين .

١ ـ الدولة القديمة

وهى الأسرات من الأولى إلى السادسة ، ومجموعها ٩٥٥ سنة ، تبدأ من أول حكم الأسرات الملكية سنة ٣٢٣٤ إلى سنة ٢٢٧٩ ق . م ، تقريبا .

وفى المراجع القديمة عن المؤرخ المصرى « مانيتون » أن عدد ملوك الأسرات الست الأول ، تسعة وأربعون ملكا ، وفى بردية « تورين » ، اثنان وخمسون ، وقد ملكوا جميعا ١٥٥٦ سنة تقريبا .

وفى (الموسوعة المصرية لتاريخ مصر القديم) ،لايتعدى مجموع سنى هذه الأسرات الست ٩٢٠ سنة ، رغم التخليط فى بعض التواريخ

فيما بين أطرافها ، مع اعتبار أن أول سنى العصر الملكى الفرعونى ابتداء من سنة ٣٢٣٤ ق . م ، تقريبا .

ورغم أنا جعلنا مجموع سنى هذه الفترة قريبا مما هو عند المحدثين الآن ، نرى أيضا لزوم إعادة النظر على استقصاء فى تحديد سنى الأسرات ومفرداتها ، مع مراعاة اعتماد تواريخ الأسرات مما يلى السادسة على ضوء ما هو قريب من المعهود فى التاريخ العام .

فأما تفصيل ذلك ، فيما أخذنا به ، فهو على الوجه التالى .

الأسرة الأولى : ٢٥٦ سنة ، من ٣٢٣٤ ـ ٢٩٧٨ ق . م .
وفى المراجع عن « مانيتون » ٣٠٥ سنوات .

الأسرة الثانية : ١٧٩ سنة ، من ٢٩٧٨ ـ ٢٧٩٩ ق . م
وفى المراجع عن « مانيتون » ٣٠٢ سنة .

وهاتان الأسرتان كان مركزهما مدينة « ثينس » وهى : « طينة » ، بالقرب من أبيدوس ، ومجموع ملوكها سبعة عشر ، ثمانية فى الأولى وتسعة فى الثانية .

الأسرة الثالثة : ١٢٠ سنة ، من ٢٧٩٩ ـ ٢٦٧٩ ق . م
وفى المراجع عن « مانيتون » ٢١٤ سنة .

الأسرة الرابعة : ١٣١ سنة ، من ٢٦٧٩ ـ ٢٥٤٨ ق . م
وفى المراجع عن « مانيتون » ٢٨٤ سنة .

وهاتان الأسرتان ، قد كان مركزهما « منف » بالقرب من سقارة ، مركز الجيزة ، حيث أعدت هذه المدينة لتكون عاصمة للبلاد ، ومجموع ملوكهما سبعة عشر ، تسعة فى الثالثة ، وثمانية فى الرابعة .

وملوك الأسرة الرابعة ، من هاتين ، يقول عنهم العالم الآثارى (جاردنر Gardiner) ، : « إنهم ثمانية ينتسبون لفرع مختلف .... » ، وربما يريد هنا بذلك أنهم لا يدينون للإله (حور Horis) .

الأسرة الخامسة : ١٢٤ سنة ، من ٢٥٤٨ ـ ٢٤٢٤ ق . م
وفى المراجع عن « مانيتون » ٢٤٨ سنة .

الأسرة السادسة : ١٤٤ سنة و٧ شهور ، من ٢٤٢٤ ـ ٢٢٧٩ ق . م .
وفى المراجع عن « مانيتون » ٢٠٣ سنوات .

وهاتان الأسرتان كان مركزهما : جزيرة فيلة ، بأسوان ، وجميعهم من أتباع الإله « رع » غير أن أسماءهم يغلب فى بعضها صفة ما فى أسماء بدو الشام ، وخاصة فى الأسرة السادسة .

٢ ـ الدولة الوسطى

(أ) العهد الوسيط الأول :

ويشتمل على الأسرات من السابعة إلى الثانية عشرة ، وهى فترة لم يبد الاستقرار إلا فى نهايتها ، فأما الخمس الأسرات الأولى ، من السابعة إلى الحادية عشرة ، فقد كانت الحرب فيها بين ملوك منف ، وطيبة جنوبا ، وبين الاهناسيين شمالا قائمة ، وليس فى الآثار مصدر علم بمفرداتها عن يقين .

ونحن هنا فقد حاولنا قدر المستطاع ، من خلال الأقاويل فى المراجع القديمة ، عن « مانيتون » ، أن نربط بين أطرافها فقط ، دون أن نعرف شيئا عن مفردات أزمنة كل منها بحسب ترتيب ملوكها ، فاكتفينا بما أمكن أن نحتاج إليه فى كتابنا هذا ، من العلم به ، من جهة تحديد أزمنة أطرافها جملة ، كما اتبعنا فى القول على الأسرات الست فى الدولة القديمة .

فأما تفصيل ما أرتأيناه ، وأخذنا به هنا ، فهو على الوجه التالى :

الأسرتان السابعة والثامنة(1)

ومجموع زمانيهما ٥٩ سنة ، تبدأ من سنة ٢٢٧٩ إلى ٢٢٢٠ ق . م ، ومركزهما جميعا مدينة « منف » ، فأما عدد الملوك فى كليهما فهو غير واضح فى المراجع ، حيث كانتا جميعا امتداد مضطرب لأواخر الأسرة السادسة .

الأسرتان التاسعة والعاشرة :

ومدة حكمهما ١٨٥ سنة ، ابتداء من سنة ٢٢٢٠ إلى ٢٠٣٥ ق . م ،

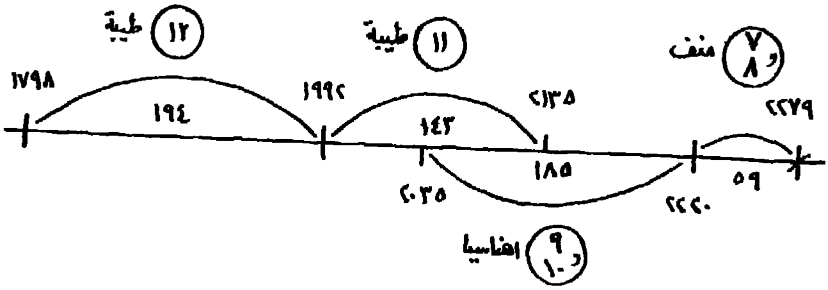
ومركزهما كان فى مدينة « اهناسيا » بمركز بنى سويف ، وعدد الملوك فيهما أيضا مختلف فيه كذلك .

الأسرة الحادية عشرة :

وهى الأسرة التى تغلب فيها ملوك « طيبة » على الاهناسيين فى الشمال ، وأمكن أن ينتزعوا الحكم منهم ، بعد أن كانوا موالين لهم ، ومدة حكمها ١٤٣ سنة ، تبدأ من سنة ٢١٣٥ الى ١٩٩٢ ق . م ، وتتداخل مع هاتين الأسرتين بمقدار مائة سنة .

وأما عدد ملوكها فقيل أنه ستة عشر ملكا ، عرف منهم تسعة قد ذكروا فى المراجع ، وبعض هؤلاء كان يحكم بالتبعية للاهناسيين حتى تغلب ملوك طيبة عليهم سنة ٢٠٣٥ ق . م .

ونبين فى الرسم فيمايلى(٢) ، تداخل الأزمنة بين الأسرات الخمس ، من السابعة إلى الحادية عشرة :



الأسرة الثانية عشرة :

وهى الأسرة التى استقر فيها الحكم عقب الاضطرابات التى حدثت بين الاهناسيين وبين ملوك « طيبة » ، وعدد ملوكها ثمانية ، حكموا ، على ما فى بردية « تورين » ستة عشر يوما وشهرا ومائتين وثلاث عشرة سنة ، يدخلها ، بالمشاركة تسع عشرة سنة .

وهنالك احتمال قوى أن إبراهيم الخليل نزل إلىَ مصر ، على رأس جماعة من عرب الشام ، وفى عهد « سنوسرت الثانى » رابع ملوك هذه الأسرة ، فى السنة السادسة من حكمه ، سنة ١٨٩٢ ق . م .

وفى كتاب : (العقد الثمين)[٣] :

« أن عائلة من بنى (عامو) القاطنين بآسيا ، وكانوا سبعة وثلاثين نفسا ، قدموا إلى مصر وأحضروا معهم معدنا يسمى : (مستموت)[٤] هدية للملك ، وكان مرغوبا عند المصريين ، ولذا كانت عرب البقيع[٥] تأتى به إلى مصر ، فأمر « خنوم حتب » وكان مقربا إلى الملك ومن مشاهير المصريين ، كاتبه « نفرحتب » أن يرسم هذه العائلة في مقبرته بصورة أنهم قيام بين يديه يلتمسون الإذن لهم بالإقامة فى مصر .... »

والتاريخ الذى أشرنا إليه ينطبق على الزمان الذى نزل فيه إبراهيم الخليل إلى مصر ، هو وامرأته : سارة وابن أخيه : لوط ، كما فى « التوراة »[٦] ، والأشبه هنا أنه كان رئيس القافلة وكان يدعو نفسه : (أبشا Abi Sha) .

وفيما يلى مفردات الأسرة الثانية عشرة[٧] ، فى جدول روجع على كتب الآثار والموسوعة المصرية ، وقوبل على الترتيب الذى جاء به (جاردنر Gardiner) ، فى كتابه : « مصر الفراعنة » ، وروعى فيه اسقاط المدد المشتركة .

(مجموع ملوك العاصمة (اتوى) ، ومدتها ٢١٣ سنة)

الاسم واللقب فى قوائم الملوك	مدة الحكم	التاريخ ق م	مدة مشتركة
امنمحات الأول منحتب أب رع	٣٠	١٩٩٢ - ١٩٦٢	
سنوسرت الأول خبر كا رع	٤٥	١٩٧٢ - ١٩٢٧	١٠
امنمحات الثانى نوب كاو رع	٣٨	١٩٢٧ - ١٨٨٩	
سنوسرت الثانى خع خبر رع	١٩	١٨٩٨ - ١٨٧٩	٩
سنوسرت الثالث خع كاو رع	٢٦	١٨٧٩ - ١٨٥٣	
امنمحات الثالث نى ماعت رع	٤٢	١٨٥٣ - ١٨١١	
امنمحات الرابع ماعت خرو رع	٩	١٨١١ - ١٨٠٢	
سوبك نفروالملكة - سبك كا رع	٤	١٨٠٢ - ١٧٩٨	
المجموع	٢١٣		- ١٩

= ١٩٤ سنة

* * *

(١) الأسرة السابعة ، عن « مانيتون » ، قال إنها حكمت سبعين يوما ، وقيل بل سبعين سنة ، ويخيل إنها كانت بوجه ما بداية الحرب مع الاهناسيين .
فأما الأسرة الثامنة فقال إن ملوكها سبعة وعشرون ملكا ، حكموا ١٤٦ سنة ، والأشبه أن هذا المقدار من السنين يشتمل على الأسرتين السابعة والثامنة إلى ابتداء الأسرة الحادية عشرة سنة ٢١٣٥ ق م

(٢) والتداخل فى السنين يبدو واضحا فى الأسرات من السابعة إلى الحادية عشرة ، مما يؤكد أن الحرب بين الاهناسيين وملوك الجنوب كانت من العنف بحيث لم تدع مجالا للاستقرار ، حتى تغلب ملوك طيبة فى الأسرة الحادية عشرة .

(٣) انظر كتاب « العقد الثمين فى آثار الأقدمين » لأحمد كمال ـ طبع بولاق سنة ١٣٠٠ هـ

(٤) « مستموت » يبدو أنه الكحل الأسود ، من حجر الاتمد (Antimony)

(٥) « البقيع » يريد وادى البقاع فى الشام ، وأهل الشمال هناك يسميهم المصريون قديما (عامو Aumu) .

(٦) انظر سفر التكوين أصحاح/ ١٢ ـ وانظر الفصل العاشر فيما يلى :

(٧) وهذه المقادير من مفردات السنين ، هى كما جاءت فى بردية « تورين » غير أن الذين نظموا ترتيب ملوك هذه الأسرة فى كتب الآثار لم يستنزلوا السنين المشتركة فى الحكم بين ملك وآخر ، وقدرها تسع عشرة سنة ، مما دعا إلى تخلخل فى المدة من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة .

الفصل العاشر :

نسل إبراهيم الخليل

إبراهيم الخليل هو : إبرام بن تارح بن ناحور بن فالج بن عابر الكلدانى ، من سلالة سام بن نوح .

ولد حوالى سنة ١٩٦٨ ق . م ، فى السنة الثالثة والأربعين من حكم الملك نينوس بن يالوس الأشورى ، الذى بنى نينوى بالموصل[١] .

فلما تولى الملك « زاميس بن نينوس » الحكم سنة ١٩١٧ ق . م ، بعد أمه « اشمعرام[٢] » ، وأبيه من قبل ، ورأى أن إبراهيم لايعبد نجم الثريا ، ويعيب على الناس عبادة الأوثان[٣] ، اضطهده مع إخوته وأبيه ، ففروا من بلاد الكلدانيين الى حاران بين النهرين ، وظلوا بها أربع عشرة سنة .

وفى التوراة :

ومات أبوه فى حاران : فتراءى له الرب قائلا : اذهب من أرضك وعشيرتك إلى الأرض التى أريك ، فأجعلك أمة عظيمة مباركة ، فأخذ إبراهيم امرأته سارای ولوطا ابن أخيه هاران ، وكل مقتنياتهما وعبروا الفرات[٤] ، فى طريقهم إلى أرض كنعان ، وكان له إذ ذاك من العمر أربع وسبعون سنة .

واجتاز إبراهيم فى الأرض إلى « شكيم[٥] » ، ورأى أنها حسنة ، والكنعانيون لايزالون فى الأرض ، فانتقل إلى الجبل وبنى هناك مذبحا للرب دعاه : « بيت إيل[٦] » ، فتراءى له قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض ، ثم ارتحل إبراهيم ومن معه ارتحالا متواليا نحو الجنوب .

(نزول إبراهيم إلى مصر) :

وحدث أن كان فى الأرض قحط فانحدر إبراهيم إلى مصر ، ليتغرب هناك ، ومعه لوط ابن أخيه ، وذلك سنة ١٨٩٢ ق . م ، فى عهد الملك « سنوسرت الثانى » ١٨٩٨/١٨٧٩ ق . م رابع ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وفى عهده نزلت جماعة من الساميين الى مصر ، ليتغربوا فيها عندما حدث جوع فى أرض كنعان ، وليس أحد من أهل الشام أو كنعان زار مصر فى مثل ذلك الوقت بعينه ، غير إبراهيم ومن معه ، وقد ذكر فى التوراة ماهو قريب من ذلك(٧) .

ويفهم من رواية « التوراة » :

أن إبراهيم لما قارب أن يدخل مصر خشى فى نفسه أن المصريين ربما يقتلونه ويستولون على ساراى امرأته ، فقال لها : إنى أعلم أنك حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك والخير أن تقولى : إنك أختى ، فتحيا نفسى لأجلك ويكون لى خير بسببك(٨) .

فلما دخلوا مصر ، رأى المصريون المرأة فإذا هى حسنة المنظر جدا ، ورآها رؤساء بيت فرعون ومدحوها عنده ، فأخذت إلى قصر الملك زوجة له ، فصنع إلى إبراهيم خيرا لأجلها ، وصار له غنم وبقر ودواب واماء .

وحدث بعد ذلك أن فرعون علم أنها امرأته ، فغضب ودعا ابراهيم وقال له : ماهذا الذى صنعت بى ، لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك ؟ خذها الآن واذهب ، وأوصى عليه رجالا فشيعوه هو وامرأته ولوط ابن أخيه وجواريهما وكل من كان معه ، بعد أن قضى إبراهيم فى مصر مايقرب من سنتين .

ويوجد فى مقبرة (خنوم حتب) من مقابر « بنى حسن » منظر(٩) ، يمثل جماعة من أهل الشام (عامو) ، يزورون مصر لأول مرة ، وعددهم سبعة

وثلاثون شخصا من الرجال والنساء والأطفال ، وذلك في السنة السادسة من حكم الملك « سنوسرت الثانى » ، وهم يحملون الهدايا ، وهذا التاريخ بعينه هو الذى نزل فيه إبراهيم ومن معه إلى مصر ، ويبدو أنه كان على رأس تلك الجماعة ، وقد سمى نفسه : « أبشا Abisha» :

BENI HASAN   TOMB No. 2   PLATE XXXI



THE AAMU GROUP.

Row 3. Shows a procession of foreigners [E] which is headed by the royal scribe Neferhotep, who is represented holding in his hand a papyrus roll (see Pl. xxxviii. 2), upon which is the following inscription:—*Rnpt* vi *ḥr ḥm n Ḥrw sm tiwi stn bity* (*Ḫ*ʿ-*ḫpr-R*ʿ) *rḫt n* ʿ*ʿmw in n s; h*ʿ *Ḫnmhtp hr msdmt m* ʿ*ʿmw n Šw ; ḥt irt* xxxvii, "The year vi. under the majesty of Horus, the guide of the two lands, the King of Upper and Lower Egypt, Usertsen II, the number of Aamu brought by the son of the *ha*-prince, Chnemhotep, on account of the *mesdemt* (eye-paint, stibium or kohl), Aamu of Shu, number amounting to 37." Immediately following the royal scribe is Cheti, "the superintendent of the huntsmen," and behind him the party of foreigners (see Pl. xxxi.) headed by the *hk; st 'Ibsh;*, "*hak*-prince of the desert, Abesha" (see Pl xxviii.). Above is a line of inscription, reading *i h; int msdmt in nf* ʿʿ*m* xxxvii, "arrival bringing kohl which 37 Aamu bring to him"

والاسم في ذاته يبدو أنه كنية عامة عند أهل سوريا وفلسطين ، قبل أن يكون اسم علم بالحقيقة ، وتفسيره بالعربية قريب من « أبى الشام(١٠) » ، والأرجح أن إبراهيم لم يشأ أن يذكر اسمه صراحة ، لأنه كان يتوجس شرا من المصريين ، خشية أن يبلغ أمره ملك نينوى فيأمر بقتله ، ولذلك انتحل هذه الكنية العامة : « أبى الشا » اسما له ، وهى بعينها تلك بالتخفيف .

BENI HASAN. TOMB No 3 PLATE XXVIII.



THE A'AMU SHEYKH ABSHA

وفى التوراة :

وكان إبراهيم غنيا جدا ، وله مال وفير من الماشية ، وكذلك كان لوط أيضا ، فلما صعدا إلى كنعان لم تحتملهما الأرض فى بقعة واحدة ، فافترقا فاختار لوط لنفسه دائرة الأردن ، ونقل خيامه إلى « سدوم » وسكن إبراهيم

شرقى بيت إيل ، فى المكان الذى بنى فيه المذبح من قبل ، عند بلوطات ممرا الأمورى[١١] .

(إسماعيل بن إبراهيم) :

وكانت ساراى امرأة إبراهيم عاقرا فلم تلد له ، فقالت لرجلها : لقد أمسكنى الرب عن الولادة ، وهذه هاجر المصرية جاريتى أهبها لك زوجة فتدخل بها فأبنى منها ولدا ، فسمع ابراهيم لها ، فدخل على هاجر فحبلت ، فلما رأت أنها حامل ، صغرت مولاتها فى عينيها وتمردت عليها ، فغضبت ساراى وأذلتها ، فهربت هاجر من وجهها إلى عين بئر فى البرية التى فى طريق شور[١٢] ، ثم تراءى لها ملاك الرب فقال لها : ارجعى إلى مولاتك واخضعى لها ، فإنك سوف تلدين ابنا وتدعينه : إسماعيل ، وانه يكون إنسانا بريا ، يده على الجميع ويد الجميع عليه .

ثم ولدت هاجر لإبراهيم ابنا ودعا اسمه : إسماعيل ، وكان مولده عندما بلغ إبراهيم من العمر ستا وثمانين سنة .

(إسحاق بن إبراهيم) :

ولما كانت لإبراهيم من العمر تسع وتسعون سنة ، تراءى له الرب ، فقال له : أنا الله القدير ، سوف أجعلك أبا لجمهور من الأمم ، فيدعى الآن اسمك : « إبراهيم » وليس « إبرام » ، وامرأتك تدعى « سارة » وليس « ساراى » ، إنى أباركها وأعطيك منها نسلا ، فغطى ابراهيم وجهه وقال فى قلبه : وهل يلد ابن مائة سنة ، وهل تلد سارة وقد بلغت التسعين ، ليت إسماعيل يعيش أمامك ، فقال له الرب : بل سارة تلد لك ابنا وتدعو اسمه : إسحاق ، وأما إسماعيل فإنى أباركه وأجعله أمة كبيرة ، اثنى عشر رئيسا يلد ، ولكن عهدى أقيمه مع إسحاق ، الذى تلده لك سارة ، فى مثل هذا

الوقت من العام المقبل ، ففرح إبراهيم وختن نفسه فى ذلك الوقت ، وختن ابنه إسماعيل ، لما كان له من عمره ثلاث عشرة سنة ، ثم أمر بأن يختن جميع ولدان بيته .

وانتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب فى كنعان ، وسكن بين قادش[١٣] ، وبين شور ، ثم تغرب فى جرار[١٤] ، وافتقد الرب سارة فحبلت وولدت لإبراهيم ابنا فى شيخوخته ، وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له ابنه إسحاق ، وقالت سارة : لقد صنع الرب لى ضحكا ، فكل من سمع يضحك لى ، وكبر الولد وفطم وعمل له إبراهيم وليمة عظيمة .

(طرد هاجر وابنها إسماعيل) :

ورأت سارة إسماعيل بن هاجر المصرية يمزح : فقالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن الجارية لايرث مع ابنى اسحاق ، فغضب ابراهيم وقبح الكلام فى عينيه ، فأوحى اليه الرب قائلا : لايقبح هذا فى عينيك من اجل الغلام والجارية ، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل ، وابن الجارية ايضا أباركه واجعله أمة عظيمة لأنه نسلك .

وبكر إبراهيم فأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر ، وصرفها مع الغلام ، فتاهت فى برية بئر سبع ، فلما فرغ الماء طرحت الغلام تحت شجرة ومضت فجلست مقابلة له حتى لاتنظر إلى موته ، ورفعت صوتها تبكى ، فسمع الله صوت الغلام وبكاءها ، فناداها قائلا : لاتخافى ، وفتح عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت اليها وملأت القربة وسقت الغلام ، وكان الله معه فكبر وسكن فى برية فاران[١٥] ، وشب الغلام رامى قوس ، وأخذت له أمه زوجة من مصر .

(تجربة الرب لإبراهيم) :

وحدث فى هذه الأيام أن الله أراد أن يمتحن إبراهيم ، فقال له : خذ ابنك وحيدك وأصعده محرقة لى على الجبل ، فبكر إبراهيم وشد على أتانه ، ثم

أخذ ابنه خلفه ، وامر أثنين من غلمانه أن يتبعاه ، وقصد الموضع من الجبل ، فقال لغلاميه : اجلسا هاهنا ، فأما أنا وإسحاق فنذهب الى هناك ونسجد لله ثم نعود إليكما ، وحمل إسحاق حطب المحرقة وأخذ إبراهيم سكينا ونارا ، ومضيا .

فلما بلغا الموضع ورتب إبراهيم المذبح ، قال إسحاق لأبيه : ياأبت هوذا النار والحطب فأين الذبيح للمحرقة ؟ قال إبراهيم : الله سوف يرى له ، ثم ربط إسحاق ووضعه على المذبح ، ولما هم أن يرفع يده بالسكين ليذبح إسحاق ناداه ملاك الرب السماء قائلا : لاتمدد يدك الى الغلام ، فإنى قد علمت انك تخاف الله فلم تمسك وحيدك عنه ، وفتح الرب عينى إبراهيم فنظر فرأى كبشا ممسكا فى الغابة بقرنيه ، فذهب إليه وأخذ الكبش وأصعده محرقة للرب عوضا عن ابنه إسحاق ، ثم رجع إبراهيم مع ابنه الى الغلامين ، ومضوا جميعا الى بئر سبع ، وأقام ابراهيم هناك .

(وفاة سارة) :

ثم ماتت سارة امرأة إبراهيم فى أرض كنعان ، وكان لها من العمر مائة وسبعا وعشرون سنة ، فأتى إبراهيم يندبها ويبكيها ، وكلم بنى حث واشترى لها مغارة أمام ممرا ، ودفنها هناك[١٦] .

(وفاة إبراهيم)

وشاخ إبراهيم وتقدم فى العمر ، فدعا عبده كبير بيته وقال له : استحلفك بالله رب السماء والأرض ، ألا تأخذ زوجة لإسحاق ابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا بينهم ، بل إلى أرضى وعشيرتى تذهب وتأخذ له زوجة من هناك ، فقال له العبد ، ربما لاتشاء المرأة أن تتبعنى إلى هذه الأرض ، فقال له : الله سوف يرسل ملاكه أمامك، فحلف العبد لإبراهيم ، وذهب الى آرام

النهرين الى مدينة ناحور[17] ، وصادف هناك رفقة بنت نتوئيل بن ناحور بن ملكة فكلم أباها وأخاها فى الأمر ، فأخذ رفقة زوجة لإسحاق بن إبراهيم ، وأتى بها إلى الجنوب ، وسكن إسحاق عند بئر لحى رئى[18] .

ومات إبراهيم عن مائة وخمس وسبعين سنة[19] ، ودفنه إسحاق وإسماعيل فى مغارة المكفيلة ، التى أمام ممرا ، مع سارة زوجته ، وكانت وفاته حوالى سنة ١٧٩٢ ق . م .

وفاة إسماعيل :

وأما مواليد إسماعيل بن إبراهيم ، الذين ولدتهم هاجر المصرية ، جارية سارة ، فهم :

نبايوت ، بكر إسماعيل ، ثم قيدار ، وأدبئيل ، وميسام ، ثم مسماع ، ودومة ، ومساء ، وحداد ، ثم تيما ، ويطور ، ونافيش ، وقدمه ، فهؤلاء هم بنو إسماعيل ، اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم .

ومات إسماعيل وانضم الى قومه من حويله[20] ، إلى شور ، التى أمام مصر ، وكانت سنو حياته مائة وسبعا وثلاثين سنة .

ونبين فيما يلى جدولا بالتواريخ التى ذكرناها آنفا :

اسماء الاعلام والموضوعات	التاريخ الميلادى	التاريخ العبرى	تواريخ فى التوراة غير يقينية
	ق . م	عبرية	ق . م
أول التاريخ العبرى ، فى العصر العتيق	٣٧٦٠	٠١	٠٠٠٠٠
بداية الأسرات الفرعونية فى الدولة القديمة	٣٢٣٤	٥٢٦	٠٠٠٠
بداية العهد الوسيط الأول فى الدولة الوسطى	٢٢٧٩	١٤٨١	٠٠٠٠

أول الأسرة الثانية عشرة	١٩٩٢	١٧٦٨	٠٠٠٠٠
ميلاد إبراهيم الخليل	١٩٦٨	١٧٩٢	١٩٩٦
نزول إبراهيم الى مصر	١٨٩٢	١٨٦٨	١٩٢٠
ميلاد إسماعيل بن إبراهيم	١٨٨٣	١٨٧٧	١٩١٠
ميلاد إسحاق بن إبراهيم	١٨٧١	١٨٨٩	١٨٩٧
وفاة سارة زوجة إبراهيم	١٨٣٤	١٩٢٠	١٨٦٠
أول الأسرة الثالثة عشرة	١٧٩٨	١٩٦٢	٠٠٠٠
وفاة إبراهيم الخليل	١٧٩٢	١٩٦٨	١٨٢٢
وفاة اسماعيل بن إبراهيم	١٧٤٩	٢٠١١	١٧٧٣

---

(١) انظر كتاب . (الآثار الباقية للبيرونى) ـ طبع ألمانيا سنة ١٨٧٥ م ص /٨٥

(٢) « اشمعرام » : زوجة نينوس الأول ملك أشور ، وقد يحرف الاسم الى « سميراميس » .

(٣) وفى كتاب (تاريخ مختصر الدول) ، لابن العبرى ـ قوله :

« وأحرق إبراهيم هيكل الأصنام بأور الكلدانيين ، ودخل هاران أخوه ليطفىء النار فاحترق ، ولذلك فر إبراهيم ، وعمره يومئذ ستون سنة ، مع أبيه تارح ، وناحور أخيه ، ولوط ابن أخيه ، الى مدينة حران ، وسكنها أربع عشرة سنة » ..

(٤) وإبراهيم الخليل يقال له أيضا : إبرام العبرى ، إما نسبة الى عبوره الفرات ، عند نزوله إلى أرض كنعان ، وإما صفة منسوبة الى عابر بن شالح ، وهو الجد الخامس لإبراهيم والأشبه أن النسبة الأولى أقرب وأعم عند اليهود .

(٥) « شكيم » : بلدة قديمة كانت بجوار نابلس الآن ، شمالى أورشليم .

(٦) « بيت إيل » : لفظ عبرى بمعنى . بيت الله ، والمدينة التى كانت تعرف بهذا الاسم تقع فيما بين القدس وشكيم القديمة .

(٧) انظر التوراة : سفر التكوين ـ أصحاح ١٢/١٢ .

(٨) وقول إبراهيم لامرأته بمثل ذلك ينبىء عن خوفه وسوء ظنه بالمصريين ، فقد كان هاربا من وجه زاميس ملك نينوى الذى كان يطلبه ليقتله لأنه سبق أن حرق هيكل الأصنام بأور الكلدانيين ، ومع ذلك فقد كانت هنالك اعتبارات أخرى يلزم مراعاتها . لأن ذلك لايقدم ولايؤخر فى موقفه من ملك أشور .

(٩) وهذا المنظر يوجد ضمن نقوش مقبرة (خنوم حتب) رقم ٣ فى بنى حسن ، وهى تحوى

مناظر كثيرة تشير إلى أن صاحبها كان شخصية مشهورة عند المصريين .

(١٠) ويبدو أن لفظ « شام » هنا لغة أخرى عن اسم (سام بن نوح) ، والمعنى واضح ، فى أنه من بلاد الشام ، أى (سام) فالبدو الساميون يراد بهم عرب الشام ، والنطق بينهما مع اختلاف الحرف الأول ، جائز وصحيح

(١١) وهذا المكان يقع فى مدينة أربع قديما ، التى هى حبرون ، وهى الآن مدينة الخليل ، فى أرض فلسطين

(١٢) فى طريق شور أى فى الطريق العام الموصل من سوريا الى مصر ، وبالعكس عبر فلسطين وشمال سيناء وهو الطريق الصحراوى .
وعين البئر التى لجأت اليها هاجر وصفت فى التوراة بأنها بين « قادش وبارد » ويشبه انها : « بئر عين » ، التى تقع جنوبى شرقى العوجا ، بمقدار ١١,٠٠ كيلو تقريبا

(١٣) « قادش » : يعنى ، عين قديس ، التى فى سيناء ، داخل الحدود المصرية ، وهى من رفح . فى اتجاه رأس النقب على خليج العقبة ، بمقدار ٨٨,٠٠ كيلو مترا تقريبا ، وتسمى فى التوراة : « قادش برنيع » .
وقوله « بين قادش وبين شور .. » يعنى بينها وبين برية شور فى اتجاه بئر سبع .

(١٤) « جرار » هى خربة أم جرار ، تقع جنوبى فلسطين الى الجنوب من غزة .

(١٥) برية فاران . هى منطقة وادى (باران) ، ومايكتنفه من الجانبين ويقع الى الغرب من وادى العربة الممتد من البحر الميت الى خليج العقبة ، وجميعها ضمن صحراء ادوم .

(١٦) « هناك » أى فى مغارة « المكفيلة» فى مدينة أربع ، التى سميت (حبرون) وهى التى تعرف الآن باسم مدينة الخليل .

(١٧) مدينة (ناحور) يعنى بها « حاران » وهى التى كان إبراهيم وأخوه قد هربا إليها فى آرام بين النهرين ، فرارا من أور الكلدانيين .

(١٨) « بئرلحى رؤى » : وفى التوراة انها بين قادش وبارد ، وهى البئر التى هربت اليها قبلا جاريته (هاجر المصرية) ام اسماعيل بن ابراهيم ، ويشبه انها كانت قرب العوجة على الطريق الى مصر .

(١٩) توفى ابراهيم سنة ١٧٩٢ ق . م . وهذه يقابلها فى التقويم العبرى سنة ١٩٦٨ ، عبرية ، وهذه أيضا تاريخ ميلاده فى التقويم العام قبل الميلاد ، وكانت سنوحياته ١٧٥ سنة .

(٢٠) « من حويلة إلى شور التى أمام مصر » : يعنى من أرض الحجاز ، شرقى خليج العقبة ، الى برية شور التى تجاه مصر ، ويريد بذلك الوادى الممتد شمالا الى البحر الميت المسمى وادى العربة

الباب الرابع

تاريخ مصر فى العهد الوسيط الثانى من الدولة الوسطى وغزوة الهكسوس

- بنو اسرائيل (الأسباط الأثنا عشر)
- غزو الهكسوس لمصر ، فى العهد الوسيط الثانى
- يوسف الصديق ودخول بنى اسرائيل مصر

الفصل الحادى عشر :

بنو إسرائيل الأسباط الاثنا عشر

وفى التوراة[١] :

فأما إسحاق ، فإنه تزوج رفقة بنت بتوئيل الآرامى ، أخت لابان بن بتوئيل بن ناحور أخى إبراهيم الخليل ، وكانت عاقرا ، فصلى إسحاق إلى الله أن يهبه ولدا ، فاستجاب لها وحبلت ، بعد عشرين سنة ، فلما كملت أيامها ، لتلد ، إذا فى بطنها توأمان ، وتزاحم الولدان فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر ، فدعو اسمه : « عيسو » ، وخرج الثانى ويده قابضة على عقب أخيه ، فدعى اسمه : « يعقوب » ، وكان عمر اسحاق ستين سنة ، لما ولدتهما .

فكبر الولدان ، وكان عيسو إنسان صيد فى البرية ، أما يعقوب فكان إنسانا كاملا يسكن الخيام ، فأحب إسحاق ابنه عيسو ، لأن فى يده صيدا فأما رفقة فكانت تحب يعقوب .

وعاد عيسو يوما من البرية متعبا ، فوجد أخاه يأكل من طبيخ عدس صنعه ، فقال له عيسو : اطعمنى من هذا الأحمر ، فقال له يعقوب : وهل تبعنى بكوريتك ؟ قال : إنى ماض إلى الموت ، فلا معنى للبكورية ، وباع ليعقوب بكوريته وحلف له ، فأكل عيسو وشرب ، ثم قام فمضى إلى سبيله ، وهو يحتقر البكورية[٢] .

فلما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر ، دعا عيسو ، ابنه الأكبر وقال له : تصيد لى صيدا واصنع لى أطعمة مما أحب ، حتى تباركك نفسى قبل

أن أموت ، وكانت أمه رفقة تسمع إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه ، فكلمت يعقوب بما سمعت وقالت له : اذهب الى الغنم وتخير ماشئت لأبيك أطعمه مما يحب ، حتى يباركك قبل وفاته ، فقال لها يعقوب : عيسو رجل أشعر وأنا أملس ، وأنه سوف يجسنى فأظهر أمامه ، كالمتهاون فأجلب على نفسى لعنة لابركة ، فقالت له أمه ، لاتخف ، وصنعت أطعمة ، كما يحبها ابوه ، وألبست يعقوب ثياب عيسو وغطت يديه وملمس عنقه بفرو خفيف من جلد ، وأعطت الخبز والأطعمة ليعقوب ، فدخل بها على أبيه اسحاق وقال له : هاأنذا ياأبتى ، عيسو بكرك ، قد فعلت كما أردت ، قم فأجلس وكل من صيدى ، فقال اسحاق : ما هذا الذى أسرعت أن تجد ! قال : إن الرب إلهك يسر لى ، فقال إسحاق : تقدم الىّ يابنى أباركك ، فتقدم اليه يعقوب ، فجسه أبوه وقال : صوت يعقوب ومجسة عيسو ، هل أنت عيسو ؟ قال : أنا هو ، وقدم له فأكل ، وأحضر له خمرا فشرب ، وقبله إسحاق وباركه وقال : رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب ، فليعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ، ولتكن سيدا لإخوتك .

وكان لما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ، أن عيسو أخاه أتى من صيده وقد صنع له أيضا أطعمة ، ودخل بها على أبيه وقال له : قم ياأبتى كل من صيد ابنك البكر عيسو ، حتى تباركنى نفسك ، فانزعج إسحاق وقال : فمن هو الذى اصطاد صيدا وقدم لى فأكلت قبل أن تجىء وباركته ؟ ، فلما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة بمرارة وقال : ألا لأنه دعى يعقوب فهو يتعقبنى ، حتى أخذ منى بكوريتى وبركتى من أبى ! ثم رفع صوته وبكى ، وقال : أما بقيت لى بركة ؟ فأجاب إسحاق : إنى جعلته سيدا لك ، ودفعت إليه جميع إخوته ، وعضدته بحنطة ، وخمر ، فماذا أصنع لك يابنى ؟ قال عيسو : ألك بركة واحدة فقط ياأبتى ! فقال إسحاق : هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك ، وبسيفك تعيش ، فحقد عيسو على أخيه ، ثم ولى نظره شطر أدوم(٣) ، وتزوج هناك ابنة إسماعيل بن إبراهيم ، أخت نبايوت .

وخاف يعقوب من أخيه فهرب إلى حاران فى أرض آرام(٤) ، وأقام عند خاله لابان يخدمه حتى يزوجه راحيل ابنة خاله الصغرى ، فقد أوصاه

إسحاق ألا يتخذ لنفسه زوجة من بنات كنعان أو الحثيين .

فقضى فى خدمة لابان سبع سنوات ، فزوجه ابنته الكبرى « ليئة » وقال له : لاتتزوج الصغرى من البنات قبل الكبيرة .

فظل يعقوب يخدمه سبع سنوات آخر ، ثم تزوج « راحيل » ، وكان يحبها أكثر من « ليئة » ، ولكنها كانت عاقرا فلم تلد له .

وولدت « ليئة » ، ابنا ليعقوب ودعت اسمه : (راؤبين) ، لأنها قالت ؛ إن الله نظر إلى مذلتى .

ثم حبلت وولدت ابنا ثانيا ودعت اسمه : (شمعون) وقالت : إن الرب علم أنى مكروهة فأعطانى هذا أيضا .

ثم حبلت وولدت له ابنا ثالثا ، فدعت اسمه : (لاوى)(٥) ، لأنها قالت : هذه المرة يقترن بى رجلى ويحبنى .

ثم ولدت ليعقوب ابنا رابعا ، ودعت اسمه : (يهوذا) ، وقالت : الآن أحمد الرب ، وتوقفت عن الولادة .

فأما راحيل ، لما رأت انها لم تلد ليعقوب ، فقد اعطته جاريتها ، « بلهة » زوجة له ، فدخل بها يعقوب وحبلت وولدت ابنا اسمه : (دان) .

ثم عادت « بلهة » فولدت له ابنا آخر ، ودعت اسمه : (نفتالى) ، لأن راحيل قالت : قد صارعت أختى فغلبت .

وأما « ليئة » فإنها لما رأت انها توقفت عن الولادة ، أخذت جاريتها « زلفة » فأعطتها ليعقوب زوجة ، فولدت ابنا اسمه : (جاد) .

ثم عادت « زلفة » فولدت له ابنا آخر اسمه : (أشير) .

وسمع الله الى « ليئة » فحبلت وولدت ليعقوب ابنا دعت اسمه (يساكر) .

ثم عادت فولدت له ابنا سادسا ودعت اسمه : (زبولون) ، لأنها قالت : لقد وهبنى الله هبة حسنة ، ثم ولدت ابنة ودعت اسمها : « دينة » .

وذكر الله « راحيل » وسمع لها ، فحبلت وولدت ابنا دعت اسمه : (يوسف) لأنها قالت : نزع الله عارى ، وليزيدنى الرب ابنا ثانيا ، وكانت ولادة يوسف فى شيخوخة يعقوب ، عندما كان له من العمر تسعون سنة .

ولما ولدت راحيل عاد يعقوب من آرام الى أرض كنعان ، وأرسل رسلا إلى أخيه عيسو ، رهبة منه ، وجهز له هدايا ، وقسم أولاده الأحد عشر مع أمهاتهم ، فلما أقبل عيسو تقدمهم يعقوب وسجدوا له وصافحوه ، فرضى عنه عيسو ، ثم عاد ومن معه الى سعير[٦] .

فأما يعقوب فإنه نزل الى الجنوب وبنى لنفسه مسكنا ، وصنع لمواشيه مظلات ، ودعا اسم المكان : « سكوت[٧] » ، ثم ظهر له ملاك الرب وقال له : قم فاصعد الآن الى « بيت إيل[٨] » ، وأقم هناك مذبحا فى المكان الذى هربت منه إلى حاران من وجه أخيك ، وليكن من الآن اسمك (إسرائيل) ، فصعد وبنى مذبحا للرب كما أمره .

ثم ارتحلوا من هناك إلى « أفراتة » ، وهى بيت لحم ، وفى الطريق تعسرت ولادة راحيل ، فقالت لها القابلة ، لاتخافى ، لأن هذا أيضا ابن لك ، وكان عند خروج نفسها مع ولادته انها دعت اسمه : (بن أونى) ، فأما يعقوب فدعاه : (بنيامين) ، وهو الابن الثانى عشر ليعقوب ، ثم ماتت راحيل وهى تلد ودفنها يعقوب فى طريق بيت لحم ، ونصب على قبرها حجرا ، وهو عامود قبر راحيل الى اليوم[٩] .

فأولئك هم بنو يعقوب الاثنا عشر ، أسباط بنى إسرائيل ، فأكبرهم راؤبين وشمعون ، وأصغرهم : يوسف وبنيامين .

ثم جاء يعقوب إلى أبيه إسحاق فى « ممرا » التى هى حبرون ، حيث كان قد تغرب فيها إبراهيم ، وشاخ إسحاق ومات وانضم الى قومه ، ودفنه

يعقوب وعيسو ، وكانت أيام إسحاق مائة وثمانين سنة ، وسكن يعقوب فى أرض كنعان ، فى الأرض التى تغرب فيها أبوه وجده إبراهيم .

أسباطُ بنى إسرائيل الإثنا عشر

أسماءُ الأعلام وتواريخ الموضوعات	التاريخ الميلادى	التاريخ العبرى	تواريخ فى هامش التوراة عبريقينية
	ق . م	عبرية	ق . م
ميلاد عيسو ويعقوب ولدى إسحاق	١٨١٣	١٩٤٧	١٨٣٧
وفاة إبراهيم الخليل	١٧٩٢	١٩٦٨	١٨٢٢
ابتداءُ الأسرة الثالثة عشرة فى مصر	١٧٩٨	١٩٦٢	.....
وفاة إسماعيل بن إبراهيم الخليل	١٧٤٩	٢٠١١	١٧٧٣
(١) راوبين بن يعقوب ، من زوجته ليئة بنت لابان	١٧٣٦	٢٠٢٤	١٧٥١
(٢) شمعون » » » » » » » »	١٧٣٤	٢٠٢٦	١٧٥٠
لاوى » » » » » » » »	١٧٣٢	٢٠٢٨	١٧٤٩
(٣) يهوذا » » » » » » » »	١٧٣٠	٢٠٣٠	١٧٤٨
(٤) دان بن يعقوب ، من بلهة جارية راحيل	١٧٢٩	٢٠٣١	١٧٤٧
(٥) نفتالى » » » » » » »	١٧٢٧	٢٠٣٣	.....
(٦) جاد بن يعقوب ، من زلفة جارية ليئة	١٧٢٥	٢٠٣٥	....
(٧) أشير بن » » » » » »	١٧٢٣	٢٠٣٧	....
(٨) يساكر بن يعقوب ، من زوجته ليئة	١٧٢٠	٢٠٤٠	....
(٩) زبولون » » » » »	١٧١٨	٢٠٤٢	١٧٤٦
يوسف بن يعقوب ، من زوجته راحيل	١٧١٦	٢٠٤٤	١٧٤٥
(١٠) بنيامين » » » » » »	١٧٠١	٢٠٥٩	١٧٢٩
(١١) منسّى بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق	١٦٨٤	٢٠٧٦	.....
(١٢) أفرايم » » » » » » » »	١٦٨١	٢٠٧٩	.....

(أولاد عيسو بن يعقوب) :

تزوج عيسو بسمة بنت إسماعيل ، أخت نبايوت ، وقد ولدت لعيسو : ابنه رعوئيل ، وكان بنو رعوئيل ، نحث ، وزارح ، وشمة ومزة .

ثم تزوج نساء من بنات كنعان ، وهن :

« عدا » بنت أليون الحثى ، وقد ولدت لعيسو : (أليفاز) ، الجبار .
وكان بنو أليفاز ؛ تيمان ، وأومار ، وصفوان ، وجعثام ، وفناز .
وكانت « تمناع » سرية لأليفاز بن عيسو فولدت له : (عماليق) .
ثم « أهو ليبامة » بنت عنى الحوى ، وقد ولدت لعيسو : (يعوش ويعلام وقورح) .

هؤلاء جميعا ، أولاد عيسو بن يعقوب ، الذين ولدوا فى أرض كنعان ، ثم مضى عيسو وأولاده وأهل بيته الى جبل سعير ، فى أرض أدوم .

وكان ملوك أدوم ، قبل ذلك ، هم :

بالع بن بعور ، وكان اسم مدينته : « دنهاية » .
ثم مات فملك مكانه : يوباب بن زارح ، من بصرة .
ثم مات يوباب فملك مكانه : حوشام ، من أرض التيمانى .

ومات حوشام فملك مكانه : هداد بن بداد ، الذى كسر مايان فى أرض مؤاب ، وكان اسم مدينته : « عويت » .

ومات هداد فملك مكانه : سملة بن مسريقة .

ومات سملة فملك مكانه : هدار ، وكان اسم مدينته ، « فاعو » واسم امرأته . مهبطئيل بنت مطرد بنت ماء الذهب .

فأما أمراء أدوم ، من أولاد عيسو ، فهم :

أمير تمناع ، وأمير علوة ، وأمير تيبيت ، وأمير أهو ليبامة ، وأمير أيلة ، وأمير فينون ، وأمير قناز ، وأمير مبصار ، وأمير مجدئيل ، وأمير عيرام .

هؤلاء هم : أمراء أدوم من بنى عيسو بن يعقوب ، وعيسو هو الذى اسمه أيضا : أدوم .

* * *

(١) انظر : (التوراة ، سفر التكوين) أصحاح من ٢٥ إلى ٢٨ ـ منقول بتصرف للاختصار .

(٢) « البكورية » · نسبة إلى الأبن الأكبر البكر ، فقد كان أهل المشرق خاصة يعدونها من المميزات له من بين اخوته ، فى كثير من الأحوال ، فالدعوات الصالحات من الوالدين تكون للإبن البكر ابتداء ، بفرض انه رأس إخوته جميعا والمقدم عليهم .

(٣) « أدوم » . أرض الأردن وصحراء الشام .

(٤) « أرام » : يعنى (آرام بين النهرين) ، فى أعالى الفرات .

(٥) « لاوى بن يعقوب » : هو الجد الثانى لموسى النبى .

(٦) « سعير » أرض ادوم التى الى الجنوب من البحر الميت والى الشرق من وادى عربة حتى خليج العقبة .

(٧) « سكوت » يعنى الخيام ، أو المبانى المؤقتة والتى تعرف بهذا الاسم فى الخرائط القديمة تقع الى الجنوب من أورشليم تقرب من ١٤ كيلو مترا والى الغرب من البحر الميت .

(٨) « بيت ايل » تقع فيما بين القدس وأورشليم التى هى قريبة من نابلس الحالية على قرب من منتصف المسافة بينهما .

(٩) « الى اليوم » يعنى : الى الزمان الذى كتب فيه التوراة ، أو فيما بعده قليل ، ولا يظن أن مثل تلك العلامة تظل باقية كشاهد على القدر بعد ذلك الى زماننا هذا .

الفصل الثانى عشر :

غزو الهكسوس مصر فى العهد الوسيط الثانى

العهد الوسيط الثانى ، من الدولة الوسطى ، يشتمل على تاريخ الأسرات الملكية ، ابتداء من الأسرة الثالثة عشرة إلى نهاية الأسرة السابعة عشرة ، ومجموع سنى الحكم فى هذه الأسرات الخمس ٢٢٥ سنة ، تبدأ من سنة ١٧٩٨ ق . م ، إلى تاريخ طرد الغزاة من مصر فى أول حكم الملك « أحمس الأول » سنة ١٥٧٣ ق . م .

وهذه المدة ، رغم قصرها ، قد يتعذر تفصيلها ، وذلك لتداخل سنى الحكم بين الأسرات من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة ، ثم بينها وبين الأسرة الرابعة عشرة ، التى كان مركزها (سخا) فى الدلتا ، حيث اكتنف هذه وتلك حكم العماليق الهكسوس الذين غزوا مصر فى أوائل الأسرة الثالثة عشرة ، سنة ١٧٥٦ ق . م ، فى عهد الملك « منحم سوازتاوى » المسمى أيضا . (سبك حتب الثالث[1] ومن هذه فالاسرات من الثالثة عشرة الى السابعة عشرة[2] ، كان مقرها مدينة « طيبة » فى الجنوب ، والأسرة الرابعة عشرة أقيمت فى الشمال مع ابتداء الأسرة الثالثة عشرة ، عقب انتهاء حكم الأسرة الثانية عشرة .

فأما العماليق الغزاة ، وهم من البدو الساميين والعرب ، فقد بنوا للجند حصنا فى « هواريس » شرقى الدلتا ، ثم جعلوا مقر الحكم فى « منف » ، كى يتوغلوا نحو الجنوب .

١ ـ (الأسرات الفرعونية) :

عدد السنين :

٤٢ سنة منذ أول الأسرة الثالثة عشرة ، فى « طيبة » إلى بداية غزو الهكسوس[٣] سنة ١٧٥٦ ق . م .

١١٤ سنة ، مجموع سنى الأسرة الرابعة عشرة ، بفرض أنها تبدأ مع الأسرة الثالثة عشرة ، ممايلى الثانية عشرة ، من ١٧٩٨ إلى ١٦٨٤ ق . م ، خلال حكم الهكسوس ، ومركزها (سخا) فى شمال الدلتا .

٢٢٥ سنة مجموع[٤] سنى الأسرات من الثالثة عشرة إلى أول الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٥٧٣ ق . م .

١٨٨ سنة ، مدة حكم الهكسوس في مصر[٥] ، اعتبارا من بداية الغزو سنة ١٧٥٦ ق . م إلى تاريخ مطاردتهم إلى فلسطين فى السنة الخامسة من حكم الملك أحمس الأول ، سنة ١٥٦٨ ق . م .

٧٤ سنة ، مدة حكم الأسرة السابعة عشرة فى « طيبة » بفرض أنها تنحصر فيما بين حكم الملك (خيان) سنة ١٦٤٧ ق . م ، المسمى (ساوسرن رع) ، إلى أول حكم الملك (أحمس الأول) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٥٧٣ ق . م ، وهى المدة التى بدأت فيها المناوشات والحرب بين الهكسوس وبين ملوك « طيبة » فى الجنوب ، وانتهت بطردهم من مصر فى السنة الخامسة من حكم الملك أحمس الأول .

٢ ـ (ملوك الرعاة) ـ الهكسوس :

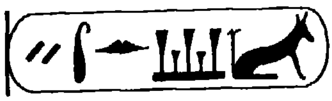
لم يكن الغزاة الهكسوس يعرفون نظام حكم الأسرات الملوكية بالتوارث ، كما هو عند الفراعنة المصريين ، بل إنما كان الحكم عندهم ، منذ أول

الأمر ، عرفيا ، شبيها بتقاليد قبائل البدو الأسيويين ، ثم تطبعوا بعد ذلك على بعض من تقاليد المصريين وعاداتهم .

وقد حكم الهكسوس مصر مائة وثمانى وثمانين سنة تقريبا ، تبدأ منذ غزوهم لمصر ، فى اوائل الأسرة الثالثة عشرة ١٧٥٦ ق . م ، وتنتهى بمحاصرتهم فى قلعة « أواريس » ثم مطاردتهم إلى فلسطين ، فى السنة الخامسة من استيلاء الملك (أحمس الأول) على الحكم ، سنة ١٥٦٨ ق . م .

وكان الرؤساء الكبار منهم ، ستة ، وهم الذين حكموا فعلا طيلة هذه المدة ، وكانت تخضع لهم البلاد شمالا وجنوبا ، وتدفع لهم الجزية ، وفيما عدا هؤلاء من الأسماء التى وردت بالمراجع(٦) ، فهم إما من القواد العسكريين أو نوابا وسندا لهم عند الحاجة .

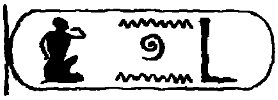
فأما اسماؤهم ، على ماذكره المؤرخ اليهودى (يوسيفوس Yosephus ، عن « مانيتون » الكاهن المصرى ، فهى على الوجه التالى بالترتيب .

الأول : (ست شلاتيس Sutchlatis) 

وهو قائد حملة الهكسوس ، وقد حكم تسع عشرة سنة ، ابتداء من سنة ١٧٥٦ إلى سنة ١٧٣٧ ق . م ، وكان الجيش خليطا من عرب فلسطين وشمال سوريا وشرقى الأردن ، ويبدو أن العنف الذى اقتحموا به البلاد كان له أثر شديد عند المصريين ، فظلوا يمقتون البدو الرعاة أجيالا طويلة ويصفونهم بأنهم قوم أنجاس .

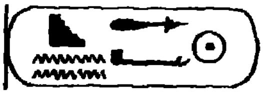
وكان مقر حكمه مدينة « منف » فى أول الأمر ، ثم أنشأ حصن « هواريس(٧) Howaris فى شرق الدلتا ، وفرض الجزية على فراعنة مصر فى الجنوب .

والثانى : (بنون Benon أو « بنيم ») ، وهو المسمى فى الآثار . « سكا » ، أى : الحارث[٨] .




وقد ظل فى الحكم خلفا للأول مدة اثنين وعشرين[٩] عاما ، من سنة ١٧٣٧ إلى سنة ١٧١٥ ق . م ، وكان مقر حكومته مدينة « منف » .

والثالث : (ابخناس Ibikhnas)[١٠] ، ويعرف فى الآثار باسم : « أبى خنس ـ نب خبش رع » ..

وقد حكم سبعا وعشرين[١١] سنة من سنة ١٧١٥ الى ١٦٨٨ ق . م ، وفى عهده نزل يوسف بن يعقوب إلى مصر ، وله من العمر سبع عشرة سنة عندما باعه إخوته إلى قافلة من الاسماعيليين[١٢] كانت فى طريقها إلى مصر ، فاشتراه « فوطى فارع » رئيس شرطة فرعون سنة ١٦٩٩ ق . م .

والرابع : (إبيبى Epipi) ، ويسمى باليونانية : « ابوفيسIbuphis ويعرف فى الآثار باسم : « عاقنن رع » ، معطى الحياة :




وهو أشهر الحكام الستة الكبار ، من الهكسوس ، وله عدة ألقاب إضافية ، وظل فى الحكم فى إحدى وأربعين سنة[١٣] ، ابتداء من ١٦٨٨ إلى ١٦٤٧ ق . م .

وقد قام فى أول عهده سنة ١٦٨٨ ق . م ، ببناء معبد الإله ، « سوتخ » فى مدينة « صان الحجر ـ ثانيس » ، بعد أن فتح معابدها للمصريين وعمرها فصارت مركزا هاما ، وجعل الإله « سوتخ » ، فى مرتبة الإله (ست) عند المصريين ، بفرض أن كليهما واحد ، هو إله الحرب .

وفى السنة الثالثة من حكمه ، سنة ١٦٨٦ ق . م أمر بإخراج يوسف بن يعقوب من السجن ، حتى يقوم بتفسير حلمه فى السبع البقرات السمان

والأخرى العجاف ، الذى تكرر معه ثانية فى هيئة سنابل من القمح مملوءة وأخرى ملفوحة بالريح فارغة ، ومنذ ذلك العهد استولى يوسف بأمره على خزائن مصر من القمح[١٤] .

وفى سنة ١٦٧٨ ق . م ، نزل بنو إسرائيل ، وهم أولاد يعقوب بن إبراهيم الخليل إلى مصر بأمره ، ليقطنوا فى أرض « جاسان » ، وهى منطقة « صان الحجر » ، وكانت إذ ذاك أحسن أراض للرعى فى إقليم شرقى الدلتا ، وهى التى كانوا يسمونها أرض (رع مسس) ، أى أرض أبناء الإله (رع) .

ثم مات يعقوب فى مصر حوالى سنة ١٦٦٢ ق . م ، بعد أن رأى فرعون ودعا له وبارك أولاده ، فأمر يوسف بتحنيطه ، ثم صعد مع إخوته وجماعة من المصريين إلى كنعان ليدفنوه هناك ، كما أوصى ، فى المكان الذى دفن فيه أبوه إبراهيم الخليل .

والخامس : (خيان Khayan) ، ويسميه « مانيتون » : (يانا أو چايناس Jayanas) ، والعرب يسمونه : (الريان[١٥] بن الوليد) ، وهو المعروف لدى الآثار باسم : (ساو سرن رع) :



وكانت مدة حكمه أربعين[١٦] سنة وشهرا واحدا ، من ١٦٤٧ إلى ١٦٠٧ ق . م ، وفى أول عهده تغلب على فراعنة « طيبة » واستولى على كافة أنحاء مصر ، فتوغل الهكسوس جنوبيا حتى الاقليم الرابع ، بمحافظة « قنا » .

ثم حاول الهكسوس القضاء على فراعنة الجنوب ، فقامت الحرب فى عهد الفرعون « سقنن رع » الكبير ، ثم طالت وتطورت من بعده لصالح المصريين ، فكانت سببا فى طرد الهكسوس من مصر الى غير رجعة .

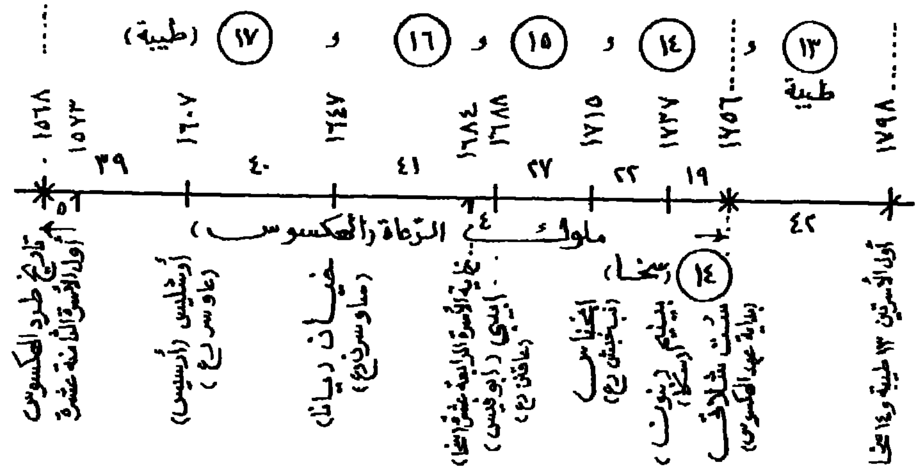
والسادس (إشيس[١٧] Eches) أو « اسيس » ويسميه (أفريكانو) نقلا

عن « مانيتون » : (إرشليس Erchlis ، ويعرف فى الآثار باسم (عاو سر رع) - رب الأرضين :



وهو آخر الحكام الهكسوس الستة العظام ، وقد حكم(١٨) تسعا وثلاثين سنة وشهرين ، من ١٦٠٧ إلى ١٥٦٨ ق . م ، وهى آخر عهدهم بالوجود فى مصر ، وذلك فى السنة الخامسة من حكم الفرعون « أحمس الأول » مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، فى طيبة .

وفى عهد « إشيس » هذا لما قام فراعنة الأسرة السابعة عشرة فى « طيبة » ، تحت زعامة « سقنن رع - الكبير » بالعمل على طرد الهكسوس من الجنوب ، قام (اشيس) بتدبير مؤامرة اغتال فيها الفرعون « سقنن رع - الثانى » ، مما دعا ابنه « وازخبر رع - كامس(١٩) إلى تجهيز جيش قوى لإجلائهم عن البلاد ، فظل يحاربهم بعنف وهم يتقهقرون شمالا حتى التجأوا الى حصن « هواريس » واحتموا فيه ، ثم جاء من بعده أخوه الفرعون « أحمس الأول » فأخذ يحاصرهم ، حتى اضطرهم إلى الفرار إلى فلسطين ، فى السنة الخامسة من ملكه سنة ١٥٦٨ ق . م .



رسم تفصيلى عن الأسرات من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة بما فى ذلك حكم الملوك الهكسوس

فأما قصة غزو الهكسوس لمصر ، فقد رواها المؤرخ « يوسيفوس اليهودى Ylevius Iosephus) حكاية عن الكاهن مانيتون المصرى الذى يقول :

« فى عهد توتيمايوس[٢٠] Tutimaeus أحد ملوكنا ، نزلت علينا لعنة من غضب الإله دون أن نعرف لذلك سببا ، فقد تجرأ قوم ليست لهم أية شهرة ، على غزو بلادنا بجيش كبير ، جاء من ناحية الشرق فجأة ، فسيطروا على البلاد بسهولة ، وقتلوا بعض أمرائنا ووضعوا السلاسل فى أيدى آخرين ، وأحرقوا المدن والمعابد ، وعاملوا السكان بقسوة فقتلوا عددا كبيرا منهم ، وسبوا النساء والأطفال ، ثم نصبوا واحدا من أمتهم ملكا علينا يدعى « شلاتيس » .

وقد جاء هذا الحاكم واستقر فى « ممفيس » وفرض ضريبة على أقاليم الوجهين البحرى والقبلى على السواء ، وأقام فيها حاميات قوية ، وخاصة فى جهة الشرق ، لأنه كان يرى أن الأشوريين إذا ماأحسوا بأنهم أقوياء ، سوف يسعون لهزيمة هذه المملكة، وعندما بدا له أن بلدة « أقاريس[٢١] » ، فى إقليم (ستروبتس) إلى الشرق من الفرع البوباسطى[٢٢] ، ذات موقع مناسب ، فقد قام بتحصينها تحصينا قويا ، ووضع فيها وفيما حولها كثيرا من المحاربين بلغ عددهم ٢٤,٠٠٠ مقاتل ، وكان يأتى إلى هناك فى أوقات الحصاد كى يباشر جمع المحصول ويوزع الجرايات على الجنود ، ويستعرض انضباطهم تماما ، كى يطمئن على ان الاجانب لايجرءون على التحرش به بغية امتلاك دولته .

وقد سيطر هذا الحاكم على البلاد ١٩ سنة .
ثم جاء بعده (بنون) فحكم ٤٤ سنة .
ثم أعقبه (ابخناس) فقضى فى الحكم ٧ أشهر و٢٦ سنة[٢٣] .
وجاء بعد هذا (ايبى) فحكم ٦١ سنة .
ثم تلاه (خيان) فحكم شهرا و٥٠ سنة .
ثم خلفه (اشيس) وهو آخرهم فحكم شهرين و٤٩ سنة .

وكان هؤلاء الرؤساء الستة يطمعون فى محو عناصر الشعب المصرى ، فلم يتركوا وسيلة للقضاء على المصريين الا استعملوها ، وهم جميعا يسمون : « الهكسوس » ، أى ملوك الرعاة ، ويقول البعض إنهم من العرب .. » .

ثم يضيف « يوسيفوس ^ Iosphus اليهودى ، الذى نقل هذا النص عن « مانيتون » ، أن هذا المؤرخ المصرى يقرر بأن الملوك الفراعنة فى صعيد مصر ، لما لم يكن قد تم اخضاعهم تماما ، فقد خاضوا حروبا طويلة ضد هؤلاء الغزاة ، ثم هزموهم وطردوهم فى النهاية من مصر التى كانوا قد احتلوها خمس[٢٤] مائة وإحدى عشرة سنة ، وأن هؤلاء الرعاة انسحبوا الى الصحراء ثم انقضوا على سوريا ، وانتهى بهم الأمر إلى أن استولوا على اقليم يسمى « يهوذا »[٢٥] حيث أسسوا مدينة « أورشليم[٢٦] **Ierusalin** » .

وقال الآثارى أحمد كمال ، فى كتابه[٢٧] :

« إن (مانيتون) يذكر أن هؤلاء الملوك يدعون باللغة اليونانية . (هكسوس ـ Hyksous ، بمعنى ملوك الرعاة ، وأن هذا الاسم يوافقه بالقلم البربائى[٢٨] ، كلمة : (حقا شاسو) أى ملوك البادية » .

وذكر (ماسبرو Maspero : أن لفظ (شاسو) يعنى عرب البوادى الرحل ، فسماهم المصريون بهذا الاسم .

وقال (مارييت Mariette) :

« إن قبائل الهكسوس كانوا أخلاطا من العرب وأهل الشام ، وأكثرهم من الكنعانيين ، كما ذكره (مانيتون) ، وقد كانت أكبر قبيلة حاكمة عليهم تسمى بالقلم الهرمسى[٢٩] : (خيتا) ، وفى التوراة هم الحثيون ، وفى التواريخ العربية : العمالقة ... » .

والواضح فى ذلك أن لفظ : (هكسوس Hyksous) إغريقى ، يعنى رؤساء قبائل البدو ، ويقابله فى اللغة المصرية كلمة :

 (حقخاستيو)

وهم حكام البدو الرعاة ، من العرب الأسيويين ، الذين يقطنون الصحراء جماعات فى قبائل تحت حكم عرفى قد ارتضوه فيما بينهم تقليدا بالتوارث ، وربما يختلف بوجه مابين قبيلة وأخرى ، ولكنه واحد فى جوهره ، ومن صفات البدو عامة الميل الى السطو وقطع الطريق ، غير أنه مع ذلك فإن لهم جوانب أخرى حميدة .

وفى (تاريخ بابل وأشور[٣٠] :

« أن أولئك الذين اجتاحوا مصر فجأة فى منتصف القرن الثامن عشر ق . م . كانوا أشتاتا من البابليين وغيرهم ، الفارين من الفتك الذى أعمله فيهم (أزدرخت المادى[٣١]) عندما فتح بابل عنوة بعد حصار عنيف ، وذلك أنهم لجأوا إلى مهاجرة البلاد فرارا وخرجوا هائمين على وجوههم ، فكان من حديثهم أنهم تآلفوا جماعة واحدة ، وجعلوا دأبهم العبث فى الأرض ، لا يدخلون مدينة الا استباحوا أهلها وأرزاقها ، حتى بلغ معظم سوادهم إلى الديار الشامية ، فأنزلوا بأهلها البلاء والقتل والنهب والسبى زمانا ، ثم زحفوا إلى مصر ، وقد زاد لفيفهم بمن انضم إليهم من بلاد الشام ، فانتشروا فى الأرض وانزعج منهم المصريون ، ثم هبوا لقتالهم ، فكانت بين الفريقين ، وقائع تواترت زمانا ، حتى جاء عهد أثوتمس[٣٢] المصرى الذى فرق شملهم وأجلاهم عن أرض مصر .. » .

وكيف يكون أمر هؤلاء ، فإن العنصر المدبر الفعال ، هم البدو العرب العماليق ، أبوهم الضحاك[٣٣] بن علوان ، أبو العرب العاربة ، فقد كان هؤلاء فى أكثر من مكان واحد ، فى العراق والشام وفلسطين ، وشرقى الأردن ،. وفى سيناء واليمن ، فهم أشداء هذه البلاد ، وصناعتهم الغزو والحرب والتنقل من مكان إلى آخر ، لايقيمون تحت ظل نظام مدنى أصلا ، والذين هاجموا مصر كانوا خليطا من البدو السوريين ، والكوشيين وأشتات الكنعانين ، ولكن تحت زعامة قبائل قوية من العماليق .

والعماليق ، أو العمالقة ، واحدهم : عملاق وعمليق ، يعنى الجبار الشديد البأس ، ممن له فى ذاته كمال فى الخلقة مع شموخ وهيبة ، والأصل فى

الجبابرة من الناس قديم يرجع الى سلالة من نسل شيث بن آدم ، والمعروف منهم بعد الطوفان طائفتان .

العمالقة الكوشيون ، وكان يقطنون أعالى دجلة والفرات ، وبين النهرين وهم من نسل نمرود بن كوش بن حام بن نوح ، وهؤلاء كان البابليون قديما يسمونهم : « ماليق » ثم تفرقوا فى أنحاء العراق وجزيرة العرب .

ثم العمالقة السوريون ، من نسل عوص بن آرام بن سام بن نوح ، وهؤلاء هم الأخص عند العرب باسم « العماليق » ، وكانوا يقطنون أرض قادش[٣٤] ، جنوبى أرض فلسطين ، ومنهم خرج عمليق بن أليفاز بن عيسو الأدومى ، أخى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، وكان ملوك العرب فى الجاهلية من العماليق .

وفى « لسان العرب » :

« عملاق : أسماء العمالقة من عاد ، وهم بنو عملاق ، قال الأزهرى : عملاق أبو العمالقة ، وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام على عهد موسى ، وقال الجوهرى : العماليق والعمالقة قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن آرام بن سام بن نوح ، وهم أمم تفرقوا فى البلاد » .

وفى (مختصر كتاب البلدان) لابن الفقيه الهمدانى ، قوله[٣٥] :

« وكانت منازل العماليق فى موضع صنعاء اليوم ، ثم خرجوا فنزلوا مكة ولحقت طائفة منهم بالشام ومصر ، وتفرقت طائفة فى جزيرة العرب والعراق، ويقال : إن فراعنة مصر كانوا من العماليق .. » .

ويبدو أن غزو الهكسوس لمصر إنما كان خلال الوقت الذى ظهرت فيه دولة الحاتيين الاناضول الذين هاجموا أشور وبابل وشمال سوريا فى القرن الثامن عشر ق . م . فلما عمت الفوضى وانتشر الرعب فى سوريا ، كانت قبائل العماليق من البدو العرب والسوريين اسبق الى مهاجمة مصر قبل أن يصل اليها الغزاة ، إذا أمكنهم أن يحتلوا الشام ، وحينئذ فاجأوا

مصر بجيش كبير من المقاتلين الذين يتسمون بالخشونة ، والغلظة ، تحت قيادة عاتية من زعماء قبائل العمالقة ، فاستولوا على الدلتا دون مقاومة ، ثم زحفوا الى الجنوب وفرضوا إرادتهم فصاروا حكاما على مصر وخلفا لفراعنتها .

وكان بدء غزو الهكسوس مصر فى أوائل الأسرة الثالثة عشرة ، فى عهد فرعون ذكره « مانيتون » باسم : (توتيمايوس tutimeus) ، وقد اختلفت الآراء فى تحديده ، ونرى انه بالحقيقة (سخم سوازتاوى[٣٦]) ، المعروف أيضا باسم « سبك حتب الثالث » ، وليس فى أسماء فراعنة الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، من هو أقرب منه إلى ذلك الاسم الذى ذكره « مانيتون » ، بالقياس الى النطق به مع مراعاة التاريخ الذى هاجموا فيه البلاد فعلا سنة ١٧٥٦ ق . م .

فأما الظن بأن (توتيماس Tutimeus ، هو الفرعون : (درزموسيس) ، كما فى كتاب : « مصر القديمة » ، فليس هنالك مايشير الى ذلك ، وقد عارض العلامة (جاردنر Gardiner هذا الرأى بقوله[٣٧] .

« توتيمايوس » ليست فى الواقع غير تصحيح أحد الدارسين ، وحتى ولو كانت الكلمة صحيحة ، فإن هنالك أسسا قوية تتصل بالنطق السليم تجعلنا لانقرن حامل الاسم بالفرعون (دجد موسيى) الذى نعرف انه يمت إلى هذا العصر .. » .

* * *

(١) كذا فى ترتيب الأسماء من بردية (تورين) عن كتاب « مصر الفراعنة » لجاردنر ـ الترجمة العربية ، وفى مرجع آخر « سبك حتب الرابع » ، والأول أصح ، بالقياس الى الاسم واللقب .

(٢) لاتوجد لدى الآثار بيانات مفصلة عن الفترة ، من الأسرة الثالثة عشرة الى آخر السابعة عشرة ، بما فى ذلك حكم الهكسوس ، وقد فصلنا هنا أطرافها بقدر المستطاع .

(٣) الأسرات من الثالثة عشرة الى السابعة عشرة يتعذر تفصيلها ، رغم بياناتها فى بردية (تورين) ، وقد تلاحظ أن اسماء بعض الملوك مكررة فى الاسرتين ١٣ ، ١٤ ، مما يوحى بأنه لم يراع الترتيب المنتظم الذى يميز بين ملوك الأسرات تباعا .

ونحن هنا قد فصلنا القول فى ملوك الهكسوس ، حيث أن المدة التى قضوها فى مصر تحيط بأزمنة الأسرات من الثالثة الى السابعة عشرة ، بما فى ذلك الأسرة الرابعة عشرة التى كان مركزها (سخا) فى شمال الدلتا ، ويبدو أن هذه الأسرة كانت موالية للغزاة منذ أول الأمر ، فلما استقر هؤلاء فى عهد الملك (أبو فيس – المسمى « عاقنن رع » تقلص نشاطهم وانتهى أمرهم .

(٤) وفى المراجع القديمة عن « مانيتون » ، ومن نقلوا عنه أن سنى تلك الأسرات الخمس جميعا ، بما فى ذلك حكم الهكسوس ، ٥١١ سنة ، وهو أكثر مما يجب ، وربما كان ٢١١ سنة

(٥) فى كتاب (العقد الثمين فى آثار الأقدمين) ، لأحمد كمال نقلا عن المؤرخ « مانيتون » المصرى أن المدة التى حكم فيها الهكسوس مصر ، هى ١٠ شهور و٢٤٩ سنة .

غير أنه لما كان طرفا المدة من أول الأسرة الثالثة عشرة ، الى تاريخ طرد الهكسوس فى السنة الخامسة من حكم الملك (أحمس الأول » سنة ١٥٦٨ ق . م . لايتعدى ٢٢٩ سنة ، وكان لايصح تعديل تاريخ طرفى تلك المدة ، فقد اعتمدنا أن المدة التى قضاها الهكسوس حتى خروجهم من قلعة أواريس ١٨٨ سنة ، منذ ابتداء الغزو ، وذلك بتعديل مفردات الأزمنة التى ذكرها « مانيتون » باراء ملوك الرعاة ، على الوجه التالى

جدول (مانيتون) (واسماء الملوك	شهر	سنة	(تعديل) شهر	سنة
١ – (ست شلاتى) – سلاتيس	٠٠	١٩	٠٠	١٩
٢ – (بينيم) – بنون	٠٠	٤٤	٠٠	٢٢
٣ – (ابختام) – بخناس	٧	٣٦	٧	٣٦
٤ – (ابيبى – ابو فيس	٠٠	٦١	٠٠	٤١
٥ – (خيان – جانيا	١	٥٠	١	٤٠
« يانا »	٢	٤٩	٢	٣٩
٦ – (ارشيلس) – اتشيش				
	شهر ١٠	سنة و٢٤٩	شهر ١٠	و١٨٧ سنة

(٦) فى المراجع القديمة ، عن « مانيتون » . أن مجموع سنى حكم الهكسوس فى مصر يبلغ ١٠ شهور ، و٢٤٩ سنة) ، وقد تبين قبلا وجه التعديل فيه .

(٧) أصل التسمية ، فى اللغة المصرية القديمة (هات أو عرت) ، يعنى المدينة المتطرفة خارج الحدود ، وتسمى باليونانية (أفاريس) ، ويحرف النطق به فى العربية إلى أواريس ، أو (هواريس) ، ويمثل هذا اللفظ بعض البدو الذين يقطنون الصحراء والأماكن المعزولة ، باسم (الهوارة) ، نسبة الى تلك التسمية .

فأما موقع حصن (أواريس) فقد كان على أول الطريق البرى الساحلى ، الموصل الى العريش وغزة ، فى المكان الذى يعرف على الخرائط الطبوغرافية ، باسم (الفرما ـ بيلوزيوم Pelusium تجاه خليج الطينة ، الى الشرق من قناة السويس حاليا ، على البحر المتوسط

(٨) فى بردية « تورين » (بينم ـ سكا) فى العامود ٢٩/٩ من كتاب (مصر الفراعنة) لجاردنر ـ الترجمة العربية

والأشبه ان التسمية فى ذاتها تحمل صيغة عربية المعنى ، تشتق من لفظ (ابن ـ بى) ، وأهل الشام قديما كانوا لايفرقون فى النطق بين حرفى « الميم والنون » ، وربما كان الاسم لايتجاوز معنى « ابن الحارث » أو ابن ابى الحارث .

(٩) فى المراجع القديمة ، عن « مانيتون » أنه حكم أربعا وأربعين سنة ، غير أن هذا المقدار أكبر من أن يحتمله مجموع المدة التى قضاها الهكسوس فى مصر ، وقد جعلنا مدة حكمه اثنتين وعشرين سنة ، لتكون أكثر قبولا .

(١٠) فى بعض الكتب المطبوعة « ابا خنام » ، فاذا كان كذلك ، فهى تسمية عربية تشبه (أبا الغنم) ، غير أن ماذكرناه هو الأصل دون تحريف

وذلك الاسم قد يخفف فينطق « ابخ » ، وقد يبدو محذوفا آخره فينطق (ابى) ، وهو كذلك فى الآثار ، مما دعا الى الخلط بين هذا وبين لفظ (ابيبى) الذى يعرف باسم (ابو فيس) ، باليونانية

ويخيل أيضا أن لفظ « ابخناس أو ابخنام » كلاهما تسمية عربية من ألقاب البدو

(١١) فى المراجع ، عن « مانيتون » . أنه حكم ستا وعشرين سنة وسبعة اشهر، اى سبعة وعشرين ، بالتقريب دون كسور .

(١٢) « الاسماعيليين » هنا، يراد بهم بنو إسماعيل بن إبراهيم الخليل .

(١٣) عن « مابيتون » انه حكم إحدى وستين سنة ، وقد جعلناها نحن إحدى وأربعين سنة ، على قياس توزيع مجموع المدة التى قضاها الهكسوس فى مصر ، مع مراعاة التواريخ المتجاورة على الترتيب

(١٤) انظر قصة يوسف فى « التوراة ـ سفر التكوين ، وانظر الفصل (الثالث عشر) من هذا الكتاب .

(١٥) كذا فى بعض المراجع العربية ـ انظر (البداية والنهاية فى التاريخ) لأبى الفداء اسماعيل بن عمر ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ـ قال : إن فرعون يوسف هو « الريان بن الوليد » .

ويخيل أن هذا الاسم ، بتفخيم « الراء » ، يبدو فى المسموع كالنطق بلفظ (خيان) ، غير

أن الواضح هنا أن يوسف عاصر ثلاثة من ملوك الهكسوس .
احدهم (بخناس) ، الذى نزل فى عهده الى مصر .

يليه (ابو فيس) ، وهو الذى اشتهر يوسف فى مدة حكمه ، ثم (خيان) ، خامس ملوك الرعاة .
ثم مات يوسف فى أول حكم (أرشليس) ، آخر الملوك الهكسوس ، وذلك فى سنة ١٦٠٦ ق . م .

(١٦) عن « مانيتون » ، أنه مكث فى الحكم خمسين سنة وشهرا واحدا ، وقد جعلنا مدة حكمه أربعين سنة ، على التوزيع الذى أجريناه بالنسبة الى مجموع سنى الهكسوس فى مصر

(١٧) وهو الذى عاصر أواخر الحرب الجادة مع الفرعون ، (سقنن رع - الثانى) وعمل على اغتياله فى قصره ، ثم مع ابنه (كاموزا) فى نهاية الاسرة السابعة عشرة .

ويفهم من القصة التى تروى فى ذلك ، عن الآثار ، انه كان مع ملك الرعاة (اشيس) ، من يدعى « برشاق » ، وهو ماتشير اليه الآثار باسم (شارك) ، والمرجح انه كان من قواد الجيش المشهورين ، لاستمراره فى الحرب الى اوائل الاسرة الثامنة عشرة حتى انتهاء الحرب

(١٨) وفى المراجع القديمة ، عن « مانيتون » انه حكم تسعا وأربعين سنة ، وشهرين والاشبه انها اقل تبعا لجملة سنى حكم الهكسوس ، فجعلناه تسعا وثلاثين سنة وشهرين

(١٩) (كامس)، أو « كاموزا » آخر فراعنة الأسرة السابعة عشرة ، وهو الذى يعرف فى الآثار باسم . « السفر غموزيس » ، باليونانية

(٢٠) « توتيمايوس » ، كذا فى كتاب (مصر القديمة) ج/٤ لسليم حسن ، وقد قرنه باسم الفرعون ددوميس - زد رع » .

غير أن عالم الآثار (جاردنر Gardiner) أشار الى هذا فى كتابه . (مصر الفراعنة) بقوله :

« إن التسمية لابد أنها محرفة ، ولايجوز أن يقرن ذلك باسم الملك . (دجد - موسى) لأسباب تتعلق بصحة النطق » انظر الترجمة العربية .

وفى كتاب (وصف مصر) الترجمة العربية ، المجلد الثانى ص /٢٦٧ (تيماؤوس Timaous) .

والذى ترجح لدينا أن الهكسوس هاجموا مصر فى أوائل الاسرة الثالثة عشرة ، سنة ١٧٥٦ ق . م فى عهد الفرعون « سخم سوازتاوى - رع » ، وهو المعروف باسم (سبك حتب الثالث) ، وكانت مدة حكمه ثلاث سنوات وشهرين ، كما فى (جداول الاسرات من ١٣ إلى ١٧ فى المراجع) .

فإذا كان الاسم محرفا فهو بالأحرى عن النطق بلفظ . « سخم سوازتاوى » ، كما لو نطق « توثيمايوس Thuthimaios أو « سخم ثايوز »

(٢١) «أفاريس » هى (أواريس أو هواريس) ، قلعة أقامها الهكسوس شرقى الدلتا ، تجاه خليج الطينة

(٢٢) « الفرع البوباسطى » . يعنى فرع النيل الشرقى المار بمدينة « بوباست » ، وهى المعروفة الآن باسم « تل بسطه »

وفى الأصل « فى اقليم (سايس) ، الى الشرق من الفرع البوباسطى .. » ، وهو تحريف

(٢٣) فى بعض المراجع ، ٧ أشهر و٣٦ سنة ، والأصل ماأثبتناه فى المتن ، ويبدو أنه الأقرب الى مجموع سنى الهكسوس فى مصر .

(٢٤) كذا فى الأصل ، ويبدو أن صحته ٢١١,٠٠ سنة ، ويعنى المدة من أول الأسرة الثالثة عشرة حتى نهاية الوجود الهكسوسى بمصر

(٢٥) إقليم « يهوذا Joudo » ، نسبة الى يهوذا بن يعقوب بن إبراهيم ، أحد الأسباط الاثنى عشر ، والأصل فيه من أملاك اليبوسيين ، غير أنه تزوج امرأة كنعانية ولدت له ثلاث بنين كانوا يقطنون هذا الاقليم ، واليه ينسب لفظ اليهود .

(٢٦) « أورشليم » : أصلها (أورساليم) ، أى مقاطعة ساليم ، نسبة الى ملكها ساليم ، وهى مدينة القدس ، أو بيت المقدس الآن ، وترجع الى عهد قديم عندما كانت موطن اليبوسيين ، وكانت تسمى إذ ذاك « يبوس » وهم بطن من كنعان بن حام بن نوح .

وأقدم من يعرف من ملوكها بعد « ساليم » ، هو الكاهن المسمى « ملكيصدق » ، أى الملك الصادق ، وهو الذى بارك ابراهيم الخليل سنة ١٨٩٠ ق . م . عندما استرجع لوطا ابن اخيه ، الذى أسره ، « كلدعومر » ، ملك عيلام ، فى حربه مع ملوك سدوم ـ (انظر سفر التكوين ص ١٤/ .

(٢٧) كتاب (العقد الثمين فى آثار الأقدمين) ـ طبع بولاق بمصر سنة ١٣٠٠ هـ ـ ص/٧٤.

(٢٨) « البربائى » أى الكتابة المصرية القديمة على الآثار ، واللفظ منسوب الى (بربا) ، وهى المنطقة الأثرية ، والمراد بذلك الخط الملكى ، الهيروغليفى .

(٢٩) « الهرمسى » نسبة الى « هرمس Herms» باليونانية وهو مايعرف عند المصريين القدماء باسم (تحوت) الذى اخترع الكتابة ، ويعنى بالهرمسى . القلم البربائى أيضا

(٣٠) بتصرف عن كتاب (تاريخ بابل وأشور) ـ طبع بيروت سنة ١٨٩٣ م .

(٣١) فى الأصل : « ازد رخت المادى » ، وربما كان هذا محرفا عن « اكزركسيس » ، أو هو المسمى فى جدول ملوك اشور فى كتاب (الآثار الباقية) للبيرونى باسم « اخشيرش » ومع ذلك ، فالأقرب ان غزو بابل كان أواخر المدة من ١٨٠٩ إلى ١٧٧٩ ق . م

(٣٢) « أتونمس المصرى » يعنى به الملك « أحمس الأول » رأس الاسرة الثامنة عشرة .

(٣٣) « الضحاك بن علوان » ملك العرب ، وكان يلقب ايضا باسم (أزدهاك) ـ بالفارسية

أنظر كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيرونى ـ جدول ملوك بابل وآشور .

(٣٤) « قادش » : يعنى بئر قديش جنوبى فلسطين وصحراء النقب ، وفى الشمال الشرقى من (سيناء) داخل الحدود المصرية .

(٣٥) كتاب (مختصر البلدان) لابن الفقيه الهمدانى ـ طبع ليدن سنة ١٣٠٢ هـ ، (ص/٣٧ ـ فى القول على اليمامة) .

(٣٦) وهو المؤشر عليه فى الجدول المنقول عن بردية « تورين » كما فى كتاب (مصر الفراعنة) لجاردنر Gardiner ، برقم ٢٤ فى العامود ٦ ومكرر بذات الاسم برقم ٥ فى العامود ٧ .

وهذا بعينه أيضا هو الحادى والعشرين فى الترتيب ابتداء من الأسرة الثالثة عشرة فى طيبة ، غير أنه باسم (سخم سوازتاوى ـ سبك حتب الرابع) ، كما فى الجدول الموضح بكتاب (العقد الثمين) لأحمد كمال ـ طبع بولاق سنة ١٣٠٠ هـ .

وقد ذكر فى كتاب (مصر القديمة) باسم (سخم رع سوازتاوى ـ سبك حتب الثالث)
وقال . « وله تمثال لوحظ فيه تحريف الاسم ، وربما كان ذلك خطأ من المثال » .
وقال أيضا · « وله بمتحف اللوفر لوحة يدل صنعها على انها من الأسرة الثالثة عشرة ، وقد تمثل عليها زوجة الملك وابنتان تتعبدان للإله (مين) .

(٣٧) انظر . كتاب (مصر الفراعنة) للعلامة (جاردنر Grdiner ـ الترجمة العربية ص ١٨٧/

الفصل الثالث عشر :

يوسف الصديق ودخول بنى إسرائيل مصر

عن التوراة بتصرف[1] .

هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل ، أول من دخل إلى مصر من بنى إسرائيل ، وهو السبط الحادى عشر ليعقوب ، الذى هو « إسرائيل » ، ولد سنة ١٧١٦ ق . م ، فى شيخوخة أبيه .

وفى التوراة :

أن يعقوب كان يحب يوسف ويميزه عن سائر إخوته، لأنه ابن شيخوخته ، فلما رأى إخوته أن أباهم يحبه أكثر منهم أبغضوه ، ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام ، وشب يوسف غلاما يرعى الغنم مع إخوته ، حتى بلغ من العمر سبع عشرة سنة .

وقص يوسف يوما علىْ إخوته حلما له ، فقال لهم : إنى رأيت ها نحن نحزم فى الحقل حزما ، فإذا حزمتى وقفت فانتصبت واحتاطت بها حزمكم جميعا وسجدت لحزمتى ، فقالوا : ألعلك تريد أن تتسلط علينا ! وازدادوا بغضا له .

ثم عاد فقص عليهم حلما آخر له ، فقال : رأيت فى نومى ، أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا لى ساجدين ، فلما سمع أبوه انتهره وقال له : هل نأتى لك أنا وأمك واخوتك الأحد عشر لنسجد لك إلى الأرض ! ، فحسده إخوته لذلك وأضمروا له شرا .

وحدث أن أرسله أبوه يوما يسأل عن سلامة إخوته ، إذ كانوا يرعون الغنم عند شكيم[2] ، فضل الطريق ، وصادفه رجل فسأله عنهم فقال له

إن إخوتك رحلوا إلى « دوثان »[٣] ، سمعتهم يقولون ذلك ، فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم هناك .

فلما أبصروه من بعيد ، قال بعضهم هو ذا صاحب الأحلام ، فلما اقترب منهم احتالوا فيما بينهم وقالوا : نقتله ونطرحه فى إحدى الآبار ، فأمسكوا به وخلعوا عنه قميصه الملون ، فسمع راؤبين ، أخوهم الكبير ، فأقبل ينقذه من أيديهم ، وقال لا تسفكوا دما ، اطرحوه فى هذه البئر التى فى البرية ، وكان يريد بذلك أن يعود فيأخذه ويرده إلى أبيه ، فطرحوه فى البئر ، وكانت فارغة من الماء ، ثم رجع راؤبين إلى موضعه .

وجلسوا ليأكلوا طعاما ، فنظروا فإذا قافلة من الإسماعيليين[٤] والتجار مقبلة من « جلعاد »[٥] يحملون بضاعة على الجمال إلى مصر ، فقال يهوذا : ما الفائدة من أن نقتله ونخفى دمه ! نبيعه إلى هؤلاء ولا تكن أيدينا عليه ، فباعوه ، وسحبه من البئر رجال مديانيون[٦] من التجار ونقلوه مع البضاعة إلى مصر ، فلما عاد راؤبين ونظر فى البئر لم يجد يوسف ، فمزق ثيابه وعاب إخوته

فأخذوا قميص يوسف ، وذبحوا تيسا وغمسوا القميص فى الدم وأحضروه إلى أبيهم وقالوا له . وجدنا هذا ، تحقق منه ، هل هو قميص يوسف أم لا ؟ ، فتحققه وقال : قميص ابنى ، وحش افترسه ! ثم مزق ثيابه وناح عليه أياما كثيرة .

أما المديانيون فباعوه فى مصر إلى « فوطيفا رع »[٧] ، رئيس الشرط عند فرعون ، وكان الرب مع يوسف ، وكان ناجحا فوجد نعمة فى عينى سيده فوكله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له .

وكان يوسف حسن الصورة والمنظر ، فشغفت به امرأة سيده وراودته عن نفسها فأبى ، وكان أن كلمت يوسف يوما فيوما فلم يسمع لها ، وحدث أن أمسكته يوما من ثوبه فتركه فى يدها وهرب إلى الخارج ، فاغتاظت منه ونادت أهل بيتها ، وقالت : انظروا ، جاء إلينا برجل عبرانى يداعبنا ، وكان لما أن سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه فى يدى وهرب .

ثم وضعت قميصه إلى جانبها حتى جاء سيده إلى البيت فأخبرته بمثل هذا قائلة . دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبنا ، فكان لما

رآنى رفعت صوتى وأمسكت به ، أن ترك قميصه فى يدى ، فغضب فأخذ يوسف ووضعه فى بيت السجن ، فى مكان أسرى الملك ، المحبوسين فيه .

وكان الله مع يوسف وبسط له لطفا وجعل له نعمة فى عينى رئيس السجن ، فدفع إلى يوسف جميع الأسرى الذين فى بيت السجن ووكله عليهم .

وحدث بعد هذا أن رئيس سقاة الملك ورئيس الخبازين ، أذنبا إلى سيدهما فرعون مصر ، فسخط عليهما وأرسل بهما إلى بيت السجن عند رئيس الشرط ، فى المكان الذى كان يوسف محبوسا فيه ، فأقام رئيس السجن يوسف يخدمهما ، وكانا أياما فى الحبس .

وحلم كل واحد منهما حلما فى ليلة واحدة ، فدخل إليهما يوسف فى الصباح ونظر فإذا هما مغتمان ، فسألهما عن ذلك فقالا حلم كل واحد منا حلما يشبه الآخر ، وليس لنا من يعبره ، فقال يوسف . الله الذى يعبر لكما ، كل واحد حلمه ، قصا على ما رأيتما .

فقال رئيس السقاة رأيت فيما يرى النائم ، إذا هى كرمة أمامى ، وفى الكرمة ثلاثة قضبان قد أفرخت زهرها ونضجت عناقيدها عنبا ، وكانت كأس فرعون فى يدى ، فملأت الكأس من عصير العنب وقدمتها إلى يد فرعون .

فقال يوسف · تعبير هذا ، والله أعلم ، أن القضبان الثلاثة ما هى إلا ثلاثة أيام ، بعدها ترفع رأسك ويردك فرعون إلى مقامك عنده ، فتقدم الكأس إلى يد فرعون ، كما كنت قبلا ، وأحب ، إذا صنع لك فرعون خيرا ، أن تذكرنى عنده ، لأنى سرقت من أرض العبرانيين ، وقد وضعت هنا فى هذا السجن ولم أفعل شيئا .

فلما رأى رئيس الخبازين أن يوسف قد عبر عن الرؤيا جيدا ، قال ليوسف : أما أنا فقد رأيت فى النوم أنى أحمل ثلاث سلال حوارى(٨) ، من جميع طعام فرعون ، والطير تأكله عن رأسى من السل الأعلى

فقال يوسف . وتعبير هذا ، والله أعلم ، بالغيب ، أن الثلاث السلال هى

ثلاثة أيام ، بعده يقطع فرعون رأسك ويعلقك على خشبة فتأتى الجوارح تنهش من لحمك .

وتصادف فى اليوم الثالث أنه كان يوم ميلاد فرعون ، فصنع وليمة لجميع عبيده ، وأمر بأن يرد رئيس السقاة إلى موضعه ساقيا لفرعون ، وأن يقطع رأس كبير الخبازين ، ويعلق هو على خشبة .

وحدث أن نسى رئيس السقاة أمر يوسف ، أو أنه لم يجد موضعا لذكره عند فرعون ، فبقى يوسف فى السجن .

وكان بعد سنتين من الزمان ، أن فرعون مصر رأى حلما ، كأنه بجوار النهر ، فإذا سبع بقرات سمان تطلع من النهر ، ومن ورائها تخرج سبع بقرات هزال وقفت بإزائها وانقضت على البقرات السمان فأكلتها ، ثم استيقظ فإذا هو حلم .

ونام ثانية فرأى فى نومه سبع سنابل ممتلئة فى ساق واحدة حسنة ، المنظر مورقة ، ثم ظهرت من ورائها سبع سنابل رقيقة خاوية قد لفحتها ريح شرقيه ، فابتلعت السنابل الخاوية تلك السنابل الممتلئة ، ثم استيقظ فرعون فإذا هو حلم .

وفى الصباح رأى أن نفسه انزعجت من هذه الرؤيا ، فأرسل ودعا جميع الكهنة والحكماء ، وقص عليهم رؤياه ، فلم يكن من يعبرها له .

وهنا تذكر رئيس السقاة أمر يوسف فى السجن ، فكلم رئيس السقاة فرعون قائلا إنى أذكر اليوم خطأ لى ، فرعون كان قد سخط على عبديه ، أنا ورئيس الخبازين ، فجعلنى وإياه فى حبس بيت رئيس الشرط ، فحلمنا أنا وهو ، حلما فى ليلة واحدة ، وكان معنا غلام عبرانى عبد لرئيس الشرط ، فقصصنا عليه فعبر لنا جميعا ، لكل واحد منا بحسب حلمه ، وكما عبر لنا ، هكذا حدث ، ردنى أنا إلى مقامى وأما هو فعلقه .

فأرسل فرعون فى طلب يوسف ، فأسرعوا به من السجن ، فبدل ثيابه وتهيأ ودخل إلى فرعون ، فقال فرعون ليوسف . حلمت حلما ، وليس لى من يعبرة ، وقد سمعت عنك قولا إنك تسمع الأحلام فتعبرها ، فأجاب يوسف قائلا ليس لى، الله يجيب بسلامة فرعون .

فقال فرعون ليوسف : كنت فى حلمى كأنى واقف على شاطىء النهر ، وهوذا سبع بقرات تطلع منه سمينة اللحم حسنة الصورة ترتع فى روضة ، ثم هوذا سبع بقرات أخرى تطلع من ورائها مهزولة وقبيحة الصورة جدا رقيقة اللحم ، لم أر فى مصر نظيرا لها فى القبح ، فأكلت هذه البقرات الهزيلة القبيحة تلك البقرات السبع الأولى السمان ، فدخلت أجوافها دون أن يتغير منظرها فى الهزال والقبح ، ثم استيقظت .

ورأيت فى حلمى ثانية ، هوذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحد ممتلئة ، ثم هوذا سبع سنابل من ورائها ملفوحة بريح شرقية قد ابتلعت تلك الممتلئة ، فقلت للسحرة بما رأيت ، ولم يكن من يخبرنى .

فقال يوسف : حلم فرعون فى المرتين واحد ، وقد أخبر الله فرعون بما هو صانع ، البقرات السبع الحسنة والسنابل السبع الممتلئة ، كلاهما سبع سنين ، والبقرات السبع العجاف وكذا السنابل الفارغة الملفوحة ، كلاهما أيضا سبع سنين ، فقد أظهر الله لفرعون ما هو صانع .

هوذا سبع سنين قادمة شبعا عظيما فى أرض مصر ، ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا ينسى معها كل الشبع ، لأن الجوع يكون شديدا ، فأما تكرار الحلم مرتين ، فذلك لأن الله قرر الأمر من قبل وأنه يسرع بصنعه .

والآن ، فلينظر فرعون رجلا بصيرا حكيما يجعله على أرض مصر ، وليوكل نظارا على الأرض ، فيجمعون خمس غلة الأرض فى السنين السبع الجيدة القادمة ويخزنونه تحت يد فرعون طعاما فى المدن يكون ذخيرة للأرض مدة السبع السنين القحط ، فلا تنقرض الأرض بالجوع .

فحسن الكلام فى عينى فرعون فقال لعبيده . هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ؟ ثم قال فرعون ليوسف : ليس بصير بالأمر وحكيم مثلك ، فأنت تكون على بيتى ، لقد جعلتك قيما على كل أرض مصر ، وخلع فرعون خاتمة من يده وجعله فى يد يوسف وألبسه ثياب بوص[٩] ، ووضع فى عنقه طوق ذهب وأركبه فى مركبته الثانية ، وقال له : أنا فرعون ، فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله فى كل أرض مصر .

ودعا فرعون اسم يوسف . « صفنات فعنيح »[١٠] ، وأعطاه « أسنات بنت فوطيفارع » كاهن أون[١١] ، وكان يوسف ابن ثلاثين سنة[١٢] ، لما

وقف أمام فرعون ملك مصر ، فخرج يوسف من لدن فرعون واجتاز فى كل أرض مصر .

وأثمرت الأرض فى السبع السنين الأولى ، فجمع فيها يوسف طعاما جعله فى المدن التى حول الأرض ، وخزن قمحا بأعداد كثيرة لا تحصى ، وولد يوسف ، قبل أن تأتى سنو الجوع ابنان ، ولدتهما « أسنات » زوجته ، فدعا اسم البكر . « منسى » ، قائلا ، إن الله أنسانى كل تعبى وكل بيت ابى ، ودعا اسم الثانى « أفرايم » قائلا ، جعلنى الله مثمرا فى أرض مذلتى .

ثم ابتدأت سنو الجوع السبع تأتى ، فكان قحط فى كل الأرض ، فى جميع البلدان ، ثم بدأ يشتد فى أرض مصر ، ففتح يوسف مخازن الغلال وجاءت كل الأرض تشترى القمح من مصر .

فلما سمع يعقوب أنه يوجد فى مصر قمح ، قال لبنيه انزلوا إلى مصر واشتروا لنا قمحا ، فنزل عشرة من أخوة يوسف ، أما « بنيامين » أخو يوسف ، الصغير ، فلم يشأ أبوه أن يرسله ، خشية من أن يصيبه أذى ، وكان يوسف هو المتسلط على أرض مصر ، وهو الذى يسمح بالبيع أو يمنع ، فأتى إخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض ، ولما رأى يوسف أخوته عرفهم ، فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم : من أين جئتم ؟ فقالوا من أرض كنعان ، جئنا لنشترى قمحا ، وتذكر يوسف الأحلام التى كان قد قصها عليهم فأبغضوه من أجلها ، فقال لهم أرى أنكم جواسيس ، جئتم لتروا عورة الأرض ، فقالوا له لا ياسيدنا ، بل نحن عبيدك أمناء جئنا نشترى طعاما ، ليس عبيدك جواسيس ، نحن اثنا عشر أخا بنو رجل واحد فى أرض كنعان ، أحدنا مفقود ، والصغير عند أبينا فى كنعان ، فقال : لا أرى ذلك بل أنتم جواسيس ، وبهذا سأمتحنكم ، ثم جمعهم ووضعهم فى الحبس ثلاثة أيام

وفى اليوم الثالث قال يوسف لهم : إن كنتم أمناء فليحبس أحدكم ولينطلق الباقى ومعه القمح لمجاعة بيوتكم ، على أن تجيئوا بأخيكم الصغير ، فيتحقق لى كلامكم ولا تموتوا ، فقال بعضهم لبعض . هذا ذنب أخينا ، الذى استرحمنا ولم نشفق به ، هذا دمه يطلب ، ولم يعلموا أن يوسف يعرف لسانهم ، والمترجم واقف بينه وبينهم ، ففعلوا ما أشار به ،

فأخذ منهم « شمعون »[١٣] ، وقيده أمام عيونهم ، ثم أمر بأن تملأ أوعيتهم قمحا ، وترد فضة كل واحد منهم إلى عدله[١٤] ، وأن يعطوا زادا للطريق ، ثم تحول عنهم وبكى

فحملوا أوعيتهم على دوابهم وصعدوا إلى أرض كنعان ، فإذا فضة كل واحد منهم فى فم وعائه ، فطارت قلوبهم فزعا وارتعدوا ، وأتوا إلى أبيهم فأخبروه بما كان من أمر أخيهم شمعون ، وأنه لابد من أن يكون معهم أخوهم الصغير ، إذا عادوا إلى مصر ثانية ، فقال يعقوب بحزن . فقدتم يوسف وشمعون ، وأيضا تريدون بنيامين ! إنكم سوف تنزلون شيبتى إلى الهاوية .

وكان الجوع شديدا فى الأرض ، فلما فرغ القمح الذى أتوا به من مصر ، قال لهم يعقوب ارجعوا اشتروا لنا قليلا من الطعام ، فكلمه « يهوذا »[١٥] قائلا إن الرجل قيد شمعون أمامنا وأشهد علينا ألا نرجع إلى مصر بغير أن يكون معنا أخونا الصغير ، لأنه ظن أننا جواسيس ، وقال بهذا أمتحنكم ، وكلمه راؤبين[١٦] قائلا سلمه بيدى وأنا أرده إليك أو أقتل ولدى إن أصابه سوء ، فقال يعقوب : لماذا أسأتم إلى بقولكم إن لكم أخا أصغر ! ، فقالوا · إن الرجل سأل عنا وعن عشيرتنا وأبينا وإخوتنا فأخبرناه دون أن نعلم ، ثم استعطفوا أباهم أن ينزلوا إلى مصر وضمنوا له جميعا أن يعودوا ومعهم شمعون وبنيامين[١٧] ، فقال لهم أبوهم : إن كان هكذا فافعلوا ، خذوا معكم من أفخر جنى الأرض هنا هدية للرجل فى أوعيتكم ، والفضة التى وجدتموها ردوها إليه .

فأخذ الرجال الهدايا والفضة في أوعيتهم ونزلوا إلى مصر ، ووقفوا أمام يوسف ، فلما رأى يوسف أخاه « بنيامين » معهم ، أمر بأن يؤخذ الرجال إلى بيته ، وأن تصنع لهم وليمة غذاء ، فأدخلوا جميعا إلى بيت يوسف ، فخافوا وظنوا أنه بسبب الفضة التى وجدت فى أعدالهم ، فسألوا الرجل القائم على بيت يوسف ، فقال لهم : « لا تخافوا ، الفضة وصلت إلى ، وأخرج لهم « شمعون » أخاهم ، وأعطاهم ماء ليغسلوا أرجلهم » .

فلما جاء يوسف إلى البيت أحضروا إليه الهدية التى فى أيديهم وسجدوا له إلى الأرض ، فسأل عن سلامتهم وقال . أبوكم الشيخ ، الذى قلتم عنه ، أهو حى بعد ؟ قالوا : نعم ، وسجدوا له ، فرفع عينيه ونظر إلى

بنيامين ، أخيه من أمه ، وقال أهذا أخوكم الصغير ؟ ، فقالوا . نعم ، فلم يتمالك يوسف نفسه ، لأن أحشاءه حنت إلى أخيه ، فانتحى مكانا يبكى فيه .

ثم تجلد يوسف وغسل وجهه وخرج ، وقال قدموا طعاما ، فقدموا له وحده ، وقدموا لهم وحدهم ، ثم للمصريين الذين مع يوسف وحدهم ، لأن المصريين لا يأكلون مع العبرانيين ، فهو رجس عندهم ، ثم رتب إخوة يوسف أنفسهم أمامه بحسب بكوريائهم وأعمارهم ، ورفع يوسف من أمامه إليهم ، فكانت حصة « بنيامين » خمسة أمثال حصصهم جميعا .

ثم أمر يوسف القائم على بيته أن يملأ أعدال الرجال قمحا ، وأن يضع فضة كل واحد منهم فى فم عدله ، وقال . ضع طاسى الفضة فى فم عدل الصغير ، مع ثمن قمحه ، ففعل بحسب كلام يوسف ، ثم انصرف الرجال على دوابهم فى الصباح ، فلما خرجوا من المدينة ولم يبتعدوا ، أرسل يوسف فى إترهم من يقول لهم . لماذا جازيتم شرا ! أين طاس[١٨] سيدى الذى أخذتموه ؟ فقالوا . لماذا يتكلم سيدى بمثل هذا ، حاشا لنا أن نفعل مثل هذا الأمر ، هو ذا الفضة ، التى وجدناها فى أفواه أعدالنا ، رددناها إليك من كنعان ، فكيف نسرق من بيت سيدك فضة ، أو ذهبا ؟ ، الذى يوجد معه طاس سيدك يموت ، ونحن أيضا عبيد له ، وأنزل كل واحد عدله ، وفتحوا فوجد الطاس فى عدل « بنيامين » ، فمزقوا ثيابهم وحمل كل واحد منهم ورجعوا إلى المدينة .

فدخلوا إلى يوسف ، وتقدم « يهوذا » وقال له .

لا يغضب سيدى ، نحن جميعا عبيدك ، لأنك مثل فرعون ، نزلنا إلى مصر ، فسأل سيدى عبيده قائلا . هل لكم أب أو أخ ، فقلنا . لنا أب شيخ ، وابن شيخوخته صغير ، مات أخوه وبقى وحده لأبيه الذى يحبه ، فقلت لعبيدك . انزلوا به فاجعل نظرى إليه ، فقلنا : لا يقدر الغلام أن يترك أباه ، فقلت لعبيدك : لا تعودوا تنظرون وجهى إن لم ينزل معكم ، فكان لما صعدنا إلى كنعان ، إلى عبدك أبينا ، أخبرناه بكلام سيدى ، فقال انتم تعلمون أن امرأتى ولدت لى فى شيخوختى ولدين ، خرج أولهما ولم يعد ، وقيل . إن ذئبا افترسه ، فإذا أخذتم هذا الثانى وأصابه أذى ، فإنكم تنزلون شيبتى بشر إلى الهاوية ، وقد ضمنا له أن يعود الغلام ، فإذا صعدنا إلى

كنعان بدونه ، فكأننا نسرع بموته حزنا ، والآن فليمكث أحدنا عبدا لسيدى ويصعد الغلام مع أخوته لأبيه

فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده ، فصرخ . أن اخرجوا كل إنسان عنى ، فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف أخوته بنفسه ، وأطلق صوته بالبكاء ، فسمع المصريون وسمع بيت فرعون ، وقال يوسف لإخوته أنا يوسف ، أحى ، أبى بعد ؟ فارتاعوا منه ولم يستطع إخوته أن يجيبوه ، فقال لهم أنا يوسف ، أخوكم الذى ألقيتموه فى البئر وبعتموه إلى مصر ! والآن لا تتأسفوا ، لأنه لاستبقاء حياة أرسلنى الله أمامكم ، ليجعل لكم بقية فى الأرض ، وقد جعلنى فرعون سيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر ، والآن تسرعوا إلى أبى لينزل إلى ، لأن سنى الجوع باقية بعد

وسمع الخبر فى بيت فرعون ، وقيل . جاء إخوة يوسف ، فحسن ذلك فى عينى فرعون فقال ليوسف . قل لاخوتك افعلوا هذا

« حملوا دوابكم وانطلقوا إلى أرض كنعان ، وعودوا ومعكم أبوكم وبيوتكم ، وتعالوا إلىّ فأعطيكم من خيرات مصر ، وتأكلوا دسم الأرض » فها أنت قد أمرت ، وخذ لهم من مصر عجلات[١٩] لهم ولأولادهم ونسائهم ليحملوا أباهم إلى مصر ، ولاتحزن عيونهم

ففعل بنو إسرائيل ذلك ، وأعطاهم يوسف عجلات وزادا للطريق وحلة ثياب لكل منهم ، وأعطى « بنيامين » ثلاثمائة من الفضة[٢] ، وخمس حلل ثياب ، وأرسل إلى أبيه كثيرا من خيرات مصر ، ثم صرف إخوته وأوصاهم ألا يتغاضبوا فى الطريق .

فصعدوا إلى أرض كنعان ، إلى يعقوب أبيهم ، وأخبروه قائلين إن يوسف حى بعد ، وهو متسلط على أرض مصر بأمر فرعون ، فجمد قلبه لأنه لم يصدقهم ، ثم كلموه بكلام يوسف الذى تكلم به ، فلما أبصر العجلات التى أرسلها يوسف ، لتحمله وأهل بيته ، انتعشت روحه ، وقال . كفى أن يوسف حى بعد ، أذهب وأراه قبل أن أموت .

(دخول بنى إسرائيل)

بنو إسرائيل هم بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، وهم

الأسباط الاثنا عشر ، أصغرهم يوسف وأخوه بنيامين ، فأما يوسف فقد باعه اخوته إلى قافلة من الاسماعيليين والتجار ، وهم فى طريقهم إلى مصر ، تم باعه هؤلاء إلى رئيس شرط فرعون سنة ١٦٩٩ ق . م ، ولم يتجاوز يوسف إذ ذاك السابعة عشرة من عمره ، فأما الباقون فقد نزلوا مع أبيهم وعائلاتهم ومقتنياتهم إلى مصر ، سنة ١٦٧٨ ق . م ، حيث كان يوسف أمينا لمخازن فرعون مصر (ايبى Epipı ـ أبوفيس الأول) ، رابع الملوك الهكسوس(٢١) .

وفى التوراة(٢٢)

فارتحل إسرائيل وبنوه ، وكل ما كان له ، وأتى إلى بئر سبع(٢٣) ، وذبح محرقة لإله أبيه اسحاق ، فكلم الله إسرائيل فى رؤيا الليل وقال له : لا تخف من النزول إلى مصر ، أنا آنزل معك ويضع يوسف يده على عينيك ، وأنا آصعدك أيضا

وحمل بنو إسرائيل ، أباهم والأولاد والنساء فى العجلات التى أمر بها فرعون مصر ، وأخذوا مواشيهم ومقتناهم ، الذى كان لهم فى كنعان ونزلوا إلى أرض مصر ، وكانت عدتهم جميعا سبعين نفسا ، وهم : يعقوب ونساؤه ، وبنوه ونساؤهم وبنو بنيه الذين كانوا معه فى كنعان .

وكان يعقوب قد أرسل يتلمس الطريق إلى جاسان(٢٤) ، فلما جاءوا شد يوسف على مركبته وصعد لاستقبال آبيه ، فلما ظهر وقع على عنقه وبكى طويلا ، فقال يعقوب ليوسف ابنه · الآن أموت بعد أن أرانى الله وجهك .

ثم عاد يوسف ليخبر فرعون ، فأخذ معه خمسة من إخوته وقال لهم . إذا دعاكم فرعون وسأل عن صناعتكم أن تقولوا . عبيدك رعاة غنم ومواش منذ صبانا ، حتى تسكنوا قريبا منى فى أرض جاسان ، لأن كل راعى غنم رجس للمصريين .

فأتى يوسف وآخبر فرعون وقال : أبى وأخوتى قد جاءوا من أرض كنعان ، ومعهم أغنامهم وأبقارهم وكل ما لهم ، وها هم فى أرض جاسان ، فسأل فرعون أخوة يوسف عن صناعتهم ، فقالوا : عبيدك رعاة غنم نحن وأباؤنا ، جئنا نتغرب فى الأرض ، لأن الجوع شديد فى كنعان ، فكلم فرعون يوسف قائلا : أبوك وإخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر أمامك ،

أسكنهم فى أفضل الأرض ، أسكن أباك واخوتك أرض جاسان ، وأن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء رعاة على الذين لى

ثم أدخل يوسف أباه وأوقفه أمام فرعون ، وبارك يعقوب فرعون ودعا له ، فقال له فرعون · كم هى سنو حياتك ، فقال يعقوب أيام غربتى مائة وثلاثون سنة ، قليلة هى ورديئة ، وبارك يعقوب فرعون وخرج

فأسكن يوسف أباه واخوته وأعطاهم ملكا فى أفضل أرض مصر ، فى أرض « رع مسيس »[٢٥] ، كما أمر فرعون .

واشتد أمر الجوع بعد ذلك فى الأرض ، فجمع يوسف كل الفضة التى فى مصر وكنعان ثمنا للقمح الذى باعه لهم ، وجاء بالفضة إلى بيت فرعون .

ثم لما زاد القحط فى مصر قدم الناس ما لهم ومواشيهم إلى فرعون فاقتاتوا بأثمانها ، وفى السنين الباقية كان يوسف قد اشترى الأرض جميعا من أصحابها وصارت ملكا لفرعون ، عدا أملاك الكهنة فى أرض مصر ، فصار الناس عملة لفرعون ، يبذرون الأرض ويزرعونها ، على أن يكون لفرعون خمس غلة الأرض ، وقد صار هذا نظاما جاريا فى الزراعة بعد ذلك يعمل به .

(وفاة يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم)

وفى التوراة[٢٦] ، قوله :

« ..... وحدث بعد هذه الأمور أنه قيل ليوسف . أبوك مريض ، فأخذ مع إبنيه « منسى وأفرايم » وصعد إلى أبيه ، فرأى إسرائيل[٢٧] ولدى يوسف وباركهما ، ثم دعا بنيه جميعا وباركهم ، كل واحد ببركته التى نطق بها أبوه ، ثم قال ليوسف : إن كنت وجدت نعمة فى عينيك ، أن تصنع لى أمانة ومعروفا ، وذلك ألا تدفننى فى مصر ، بل أضطجع مع آبائى ، فى المكان الذى دفن فيه إبراهيم وإسحاق ، فحلف له يوسف أن يدفنه هناك .

وكان لما فرغ يعقوب من بركة بنيه وتوصيته لهم أن يدفنوه فى أرض كنعان ، أن ضم رجليه وأسلم الروح ، وكانت وفاة يعقوب حوالى سنة ١٦٦٢ ق . م ، بعد أن عاش مائة وسبعا وأربعين سنة .

فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى وقبله ، وأمر يوسف عبيد فرعون ، من الأطباء أن يحنطوا أباه ، فحنطوه وكملت له أربعون يوما ، ثم وضع فى تابوت ، وناح عليه المصريون سبعين يوما .

ثم كلم يوسف بيث فرعون قائلا : إن كنت قد وجدت نعمة فى أعينكم ، أن تبلغوا مسامع فرعون بأن أبى استحلفنى قبل وفاته ، أن يدفن فى قبر أبيه ، فى أرض كنعان ، فقال فرعون ليوسف أصعد وإدفن أباك كما إستحلفك .

فصعد يوسف ليدفن أباه ، وصعد معه عبيد فرعون وشيوخ بيته ، ووجوه القوم فى أرض مصر ، وكل بيت يوسف واخوته ، عدا النساء والأولاد ، وصعدت معهم مركبات ، وفرسان من الجيش ، فأتوا إلى « بيدر إطار »[٢٨] ، الذى فى عبر الأردن ، وناحوا هناك نوحا شديدا ، وصنع يوسف لأبيه مناحة سبعة أيام ، لذلك دعى المكان : « آيل مصرايم » أى مناحة المصريين .

ثم رجع يوسف إلى مصر ، هو وإخوته ، وجميع الذين صعدوا معه لدفن أبيه ، فلما رأى إخوة يوسف أن أباهم قد مات أوجسوا خيفة من يوسف أن يضطهدهم ، فقال لهم لا تخافوا ، أنتم أردتم بى شرا والله آراد بنا جميعا خيرا ، وطمأنهم وطيب قلوبهم وتولى أمرهم فى حياته .

(وفاة يوسف بن يعقوب) :

توفى يوسف الصديق سنة ١٦٠٦ ق . م ، قبل طرد الهكسوس من حصن « أقاريس » بحوالى أربعين سنة ، فى أواخر حكم الملك (خيان Khayan) ، الذى يسميه العرب : (الريان بن الوليد) ١٦٤٦/١٦٠٦ ق . م ، خامس الملوك الهكسوس العظام

وفى التوراة[٢٩] .

وسكن يوسف فى مصر ، هو وبيت أبيه ، وعاش حتى رأى الجيل الثالث لولديه ، ولما قارب الوفاة استحلف اخوته قائلا . تصعدون عظامى من هنا إلى قبر آبائى هناك فى كنعان ، فخلفوا له ، ومات يوسف وله من العمر مائة وعشر سنين ، فحنطوه فى مصر ووضعوه فى تابوت[٣٠]

أسماء الاعلام	التاريخ الميلادى	التاريخ العبرى	تواريخ غير يقينية فى التوراة
	ق م	عبرية	ق م
ميلاد لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم	١٧٣٢	٢٠٢٨	١٧٤٩
ميلاد يوسف الصديق بن يعقوب بن اسحاق	١٧١٦	٢٠٤٤	١٧٤٥
نزول يوسف إلى مصر ، فى عهد الهكسوس	١٦٩٩	٢٠٦١	١٧٢٩
وفاة اسحاق بن ابراهيم الخليل	١٦٩٦	٢٠٦٤	
وقوف يوسف امام فرعون مصر	١٦٨٦	٢٠٧٤	١٧١٥
ميلاد قاهات بن لاوى بن يعقوب	١٦٨١	٢٠٧٩	
نزول بنى اسرائيل (يعقوب) إلى مصر	١٦٦٨	٢٠٩٢	١٧٠٦
وفاة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم	١٦٦٢	٢٠٩٨	
ميلاد عمرام بن قاهات بن لاوى بن يعقوب	١٦١١	٢١٤٩	
وفاة يوسف الصديق	١٦٠٦	٢١٥٤	١٦٣٥

* * *

(١) سفر التكوين صح/٣٧ ـ ٤٦

(٢) « شكيم » بلدة قديمة ، كانت بجوار نابلس الآن

(٣) « دوثان » إلى الشمال من « نابلس » فى طريق الناصرة

(٤) قوله : من « الاسماعيليين » نسبة إلى نبى إسماعيل بن إبراهيم ممن كانوا يقطنون أرض الحجاز

(٥) « جلعاد » . بلدة قديمة شرقى نهر الأردن ، بجوار أربد ، على الطريق إلى بلاد العرب .

(٦) « المديانيون » نسبة إلى مديان بن إبراهيم الخليل ، من زوجته قطورة ، فى بلاد الحجاز .

(٧) بالأصل « فوطيفار خصى فرعون ، رئيس الشرط » .
وفى كتاب (العقد الثمين) ـ لأحمد كمال ص/٧٦ « ...... فباعه رئيس السيارة إلى وزير مصر ، (فطفير) ، ويسمى بالقلم البربائى : « بدو فرع » أى هدية الشمس

(٨) « الحوارى » خبز خاص محلى بالسكر ، يصنع من الدقيق النقى ، يختص بالملوك والأمراء

(٩) « ثياب بوص » ضرب من اللباس الملون المشغول المزركش ، وهو من الكتان النقى ، ويبدو أن اللفظ أعجمى ، ليس بعربى وفيه عجمة ، وفى الفارسية . بوش . صنف من الدروع أو اللباس أو النقاب ، غير أن الاسم ربما كان منسوبا لأعواد رقيقة ورقية ، تؤخذ من الغاب والبردى ثم تلون ويزخرف بها بعض الثياب .

(١٠) « صفنات فعنيح » لفظ مصرى قديم ، تفسيره ، كما جاء فى هامش التوراة بإزائه ، يعنى « المخلص » ، أى الذى نبه مصر إلى قدوم سنى القحط ، حتى ، تتجاورها بتخزين الغلال

(١١) « أون » أقدم عاصمة مصرية ، قيل إنها ترجع إلى ما قبل تاريخ الأسرات ، وأطلالها باقية الى الآن شرقى القاهرة فى منطقة المطرية ، وتعرف باسم (عين شمس) ، وباليونانية « هليوبوليس Hiliopolis » ـ وكهنتها فى جميع العهود التى مرت بها على مصر كانوا يتمتعون باحترام الجميع .

(١٢) قوله · « وكان يوسف ابن ثلاثين سنة ... » يعنى أن ذلك أنما حدث حوالى سنة ١٦٨٧ ـ ١٦٨٦ ق . م ، وهو الوقت الذى فسر فيه يوسف حلم فرعون مصر ، (ببى ـ أبوفيس الأول) ١٦٤٧/١٦٨٨ ق م

(١٣) « شمعون » ثانى أولاد يعقوب من زوجته ليئة بنت لابان

(١٤) « العِدل » (بالكسر) ، بمعنى المثل ، وهو أيضا « الحِمل » (بالكسر) أيضا ، أحد جنبى الرحل على البعير ، أو الدابة ، ليكونا متساويين فى الوزن فلا يميل أحدهما ثقلا أثناء السير

(١٥) « يهوذا » هو الابن الرابع ليعقوب ، أصغر اخوته من أمهم ليئة

(١٦) « راؤبين » الابن الأكبر ليعقوب ، وهو أول الأسباط الاثنى عشر

(١٧) « بنيامين » أصغر أولاد يعقوب جميعا ، أخو يوسف ـ (انظر الفصل الحادى عشر)

(١٨) « الطاس » هو الكأس ، المشغول من الفضة أو الذهب ، كلاهما يعد للشرب

(١٩) « عجلات » يعنى عربات للنقل تجرها الخيل .

(٢٠) « الفضة » وحدة لعملة مصرية قديمة كانت تساوى ١/٤ ربع المليم فى وقتنا هذا ، وبعضها كان لايزال مستعملا إلى أوائل القرن العشرين للميلاد ، وأقلها إذ ذاك ، « العشرة فضة » وهى مليمان ونصف ، وكان نصف القرش الآن يسمى . « العشرين فضة » ، وكانت هنالك عملة بمائة فضة ، وهى قرشان ونصف القرش بذات العملة المعهودة فى زماننا ، هذا إذا لم يكن لوحدة تلك العملة عند المصريين القدماء إذ ذاك تقدير آخر غير ذلك .

(٢١) انظر « الفصل الثانى عشر »

(٢٢) « سفر التكوين ـ صح/ ٤٦ »

(٢٣) بئر سبع بئر كان إبراهيم الخليل احتفرها لنفسه ، وأهدى ابيمالك ، ملك جرار سبع نعاج ، ليذكر أنها تخص إبراهيم ، فلا يدع عبيده يغتصبونها ، وهى الآن مدينة كبيرة فى أرض فلسطين ، إلى الجنوب الشرقى من غزة ـ (انظر سفر التكوين صح/ ٢١) .

(٢٤) جاسان · يعنى · أرض صان الحجر ، شرقى الدلتا ، وكانت الأرض إذ ذاك من أصلح أراضى مصر لرعى الأغنام والمواشى .

(٢٥) « رع مسيس » لفظ مصرى قديم يعنى أبناء الإله « رع » ، وهو الشمس .

(٢٦) انظر « سفر التكوين » صح/ ٤٥
(٢٧) « اسرائيل » هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل

(٢٨) بيدر إطار اسم مكان فسيح ، مما كان معدا لتجميع الغلال لدرسها ، شبيها بما يسمى الأجران ، جمع جرن باللغة العامية ، بالعربية ولفظ « اطار » اما أنه اسم البيدر أو وصف له ، من جهة أنه دائرى التشكل أو محدود الأطراف

(٢٩) انظر (سفر التكوين ـ صح/ ٥٠)
(٣٠) سفر الخروج ـ صح/ ١٣ ١٧ ـ قال
« إن فرعون لما أطلق بنى إسرائيل وخرجوا من مصر ، أخذ موسى عظام يوسف معه ، لأنه كان قد استحلف بنى اسرائيل حلفا ، قائلا ان الله سيفتقدكم فتخرجون عظامى من هنا معكم »
ويجدر بنا هنا أن نذكر أن ما بين وفاة يوسف الى خروج بنى إسرائيل بقيادة موسى النبى ١٣٨ سنة ـ وهنالك ادعاء بأن تابوت يوسف لا يزال بمصر ولسنا من هذا على معرفة بالأمر أكثر مما تقدم

الباب الخامس

خروج بنى إسرائيل بقيادة موسى النبى

- الأسرات الفرعونية فى عهد الدولة الحديثة
- موسى النبى وخروج بنى اسرائيل من مصر
- أقاويل المؤرخين فى الخروج

الأسرات الفرعونية فى عهد الدولة الحديثة

يبدأ تاريخ مصر القديم ، فى الدولة الحديثة منه ، ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الحكم الفرعونى فى الأسرة الثلاثين .

ويمكن قسمة هذا العهد إلى قسمين :

الأول : من الأسرة الثامنة عشرة إلى آخر حكم الرعامسة فى نهاية الأسرة العشرين .

والثانى : يبدأ من الأسرة الحادية والعشرين إلى نهاية الأسرة الثلاثين .

ونحن سنتناول بالتفصيل ، ما هو من الأسرات ذات علاقة مباشرة فى أحداث تتصل بموضوع كتابنا هذا :

١ ـ العهد الحديث الأول :

ويشتمل على حكم الأسرات من الثامنة عشرة حتى آخر الأسرة العشرين ، وقد قضت جميعا فى الحكم ٤٩٥ سنة ، تبدأ من سنة ١٥٧٣ إلى سنة ١٠٧٨ ق . م ، وكان مركزها جميعا مدينة « طيبة » .

وهذا المقدار ، كما فى المراجع القديمة من « مانيتون » ومن نقل عنه ٥٩٣ سنة تقريبا ، تفصيل ذلك :

(الأسرة الثامنة عشرة) : ٢٦٨ سنة وفى المراجع القديمة ٢٤١ سنة .

وفى أوائل هذه الأسرة كانت أحداث هامة تتصل مباشرة بموضوع هذا الكتاب ومنها :

أن الهكسوس طردوا من قلعة « أفاريس » سنة ١٥٦٨ ق . م ، فى السنة الخامسة من حكم « أحمس الأول » ، وظل يطاردهم حتى دخلوا فلسطين .

وأن موسى النبى ولد سنة ١٥٤٨ ق . م ، فى أول حكم الملك « أمينوفيس الأول » وانتشل من السفط تحت رقابة أخته مريم بنت عمرام[1] .

وأن خروج بنى إسرائيل كان فى نهاية حكم الملكة « حتشبسوت » سنة ١٤٦٨ ق . م ، بقيادة موسى النبى حيث كان له من العمر ثمانون سنة ، والأشبه ان صح هذا ، أنها ماتت غرقا عندما لاحقتهم مع الجيش فى أطراف بحيرة المنزلة ، أو أنها حمت بسبب ذلك ودفنها تحتمس الثالث سرا ، لاغتصابها الملك منه .

وفيما يلى تواريخ هذه الأسرة ، وملوكها أربعة عشر ، من طيبة :

أسماء الملوك			شهر	سنة	ق . م
احمس الأول	نب بحتى رع	احموزليس	٤	٢٥	١٥٧٣ / ١٥٤٨
أمنوفيس الأول	زوسر كا رع	امنحتب الأول	٧	٢١	١٥٤٨ / ١٥٢٦
تحتمس الأول	عاخبر كا رع	تحوتوموزيس الأول	٩	٢٦	١٥٢٦ / ١٤٩٩
تحتمس الثانى	عاخبرون رع	تحوتوموزيس الثانى	..	١٣	١٤٩٩ / ١٤٨٦
حتشبسوت	ماعت كا رع	حعتشبسوت	-	١٨	١٤٨٦ / ١٤٦٨
تحتمس الثالث	من خبر رع	تحوتوموزيس الثالث	..	٣٦	١٤٦٨ / ١٤٣٢
امنوفيس الثانى	عاخبرو رع	امنحتب الثانى	..	٢٥	١٤٣٢ / ١٤٠٧
تحتمس الرابع	من خبرو رع	تحوتوموزيس الرابع	..	٨	١٤٠٧ / ١٣٩٩
امنوفيس الثالث	نب ما رع	امنحتب الثالث	..	٢٨	١٣٩٩ / ١٣٧١
امنوفيس الرابع	اخن اتون واح إن رع	نفرو خبرو رع امنحتب الرابع	-	٢١	١٣٧١ / ١٣٥٠

سمنخ كا رع	عنخ خبرورع	-	٣	١٣٥٠/١٣٤٧
توت عنخ آمون	نب خبرو رع	-	١١	١٣٤٧/١٣٣٦
آيى	خبر خبرو رع	-	٤	١٣٣٦/١٣٣٢
حور محب	أوسر خبرو رع	-	٢٧	١٣٣٢/١٣٠٥
			شهر ٨ و٢٦٧ سنة	

ويبين من ذلك أن تاريخ طرد الهكسوس من مصر سنة ١٥٦٨ ق . م فى السنة الخامسة من حكم « أحمس الأول » كان سابقا لخروج بنى إسرائيل فى آخر حكم الملكة « حتشبسوت » سنة ١٤٦٨ ق . م بمائة سنة ، وهذا يخالف الظن الذى يجمع بين أولئك وبين هؤلاء[٢] ، الذين كانت متاعبهم قد بدأت فى مصر منذ ذلك الحين ، عقب طرد الهكسوس .

وكذلك فإن خروج بنى إسرائيل فى نهاية حكم الملكة « حتشبسوت » ، قد يؤيد ما جاء فى « التوراة » عن قصة غرق فرعون ، وجنوده[٣] عند مطاردته لبنى إسرائيل عند أطراف بحيرة المنزلة ، بقصد إعادتهم إلى المدينة .

(الأسرة التاسعة عشرة) : ١١٠ سنوات وفى المراجع القديمة ١٧٦ سنة .

ومركزها « طيبة » وأشهر ملوكها سبعة ، وهم :

			سنو الحكم	ق . م	
رعمسيس الأول	من بحتى رع	رعمسو	٠٣	١٣٠٥	١٣٠٢
سيتى الأول	من ما رع	مرن بتاح	١٤	١٣٠٢	١٢٨٨
رعمسيس الثانى	اوسر ما ستبن رع	ميامون رعمسو	٦٦	١٢٨٨	١٢٢٢
مرنبتاح	بانرع ميامون	منفيتس (منفتاح)	١٢	١٢٢٢	١٢١٠
سيتى الثانى	رع أوسر خبرو	ثيتوس الثانى	٠٦	١٢١٠	١٢٠٤
أمنمس	منخع رع استبن	حقّ اون	٠٢	١٢٠٤	١٢٠٢
سبتاح وزوجته تاوسر		خون رع استبن	٠٧	١٢٠٢	١١٩٥
			١١٠ سنة		

وأهم الأحداث التى يمكن أن نشير إليها هنا ، فى عهد هذه الأسرة : أن الملك « سيتى الأول » ، فى السنة الأولى من حكمه سنة ١٣٠٢ ق . م ، هاجم البدو الفارين من كنعان إلى « بيتوم » فى الشمال الشرقى من الدلتا[٤] ، بعد خروج بنى إسرائيل ، وطاردهم وأرجعهم إلى بلادهم ، ثم توغل فى السنة الثانية شمالا حتى استولى على قلعة « قادش » ، على نهر العاصى ، فى لبنان ، بجوار مدينة حمص ، ثم وضع على استحكاماتها جنودا من المصريين .

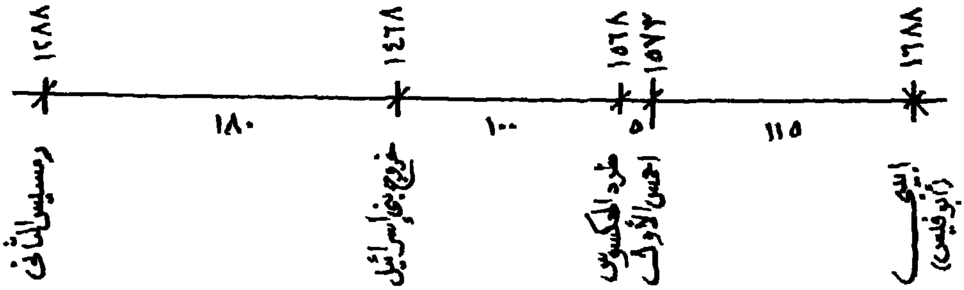
وأن الملك « رمسيس الثانى » استولى على قلعة « أورشاليم » فى السنة الثامنة من حكمه ، سنة ١٢٨٠ ق . م ، وعند عودته استولى على مدينة « عسقلان » ، جنوبى « مجدل » على بحر الروم سنة ١٢٧٨ ق . م .

ومن آثاره ، اللوحة التاريخية ، التى تعرف باسم لوحة الأربعمائة سنة ، التى تربط بين إنشاء معبد الإله « سوتخ Soteh » ، الذى أقامه ملك الهكسوس (ابيبى ـ أبوفيس الأول) ، فى أول حكمه سنة ١٦٨٨ ق . م ، بمدينة صان الحجر ، وبين السنة الأولى من حكم « رمسيس الثانى » .

وهذه اللوحة تقول[٥] :

« السنة الأربعمائة ، فى الشهر الرابع ، من فصل الصيف ، فى اليوم الرابع من حكم ملك الوجهين البحرى والقبلى (ست Sotch) ، عظيم القوة ابن الشمس (نبتى) المحبوب من (رع حور اختى) الذى سيبقى مخلدا ، حضر الأمير الوراثى ـ والمشرف على العاصمة ، والوزير ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ورئيس الرماة ، والمشرف على البلاد الأجنبية ، والمشرف على حصن « شارو »[٦] ، ورئيس المازوى ، والكاتب الملكى ، والمشرف على الخيالة ، ومدير عيد كبش « منديس » ، والكاهن الأول للإله (ست) ، والمرتل للإلهة « بوتو » فاتحة الأرضين ، والمشرف على كهنة الإلهة (ستير)[٧] ـ لقد حضر الأمير الوراثى « رعمسيس » المرحوم ، الذى وضعته ربة البيت المغنية (تيا) المرحومة ، ليقول :

الحمد لك يا ست ، يابن « نوت » يا صاحب القوة العظيمة فى سفينة الملايين ، والذى طرح الثعبان المعادى لرع أرضا ، والذى على رأس سفينة (رع) ، ومن صوته عظيم فى الحرب ، ليتك تمنحنى حياة جميلة لأجل أن أخدمك ولأجل أن أبقى فى حظوتك » .



وهنا نرى أنه من المناسب أن نذكر بأن (رعمسيس الأول) هو أول من تسمى من ملوك مصر بهذا الاسم ، والأشبه أنه كان ينتمى بالدم والعصبية إلى أصل سورى شمالى ، لجنس من البدو الرعاة الذين غزو مصر فى منتصف القرن السابع عشر ق م ، وذلك عن طريق زوجات الملك « أمنوفيس الثالث » ثم الرابع .

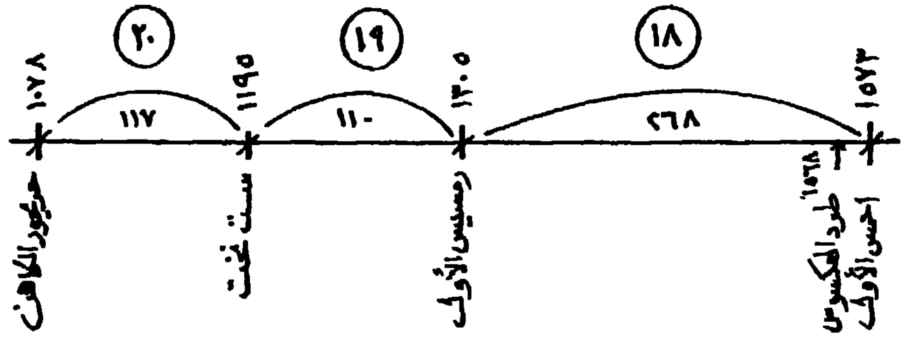
وملوك الأسرة التاسعة عشرة ، أكثرهم بتلك التسمية ، ويبدو أنه كانت لذلك فى صدورهم ذكرى تاريخية ، قد اكتسبوها بالتلقين منذ الصغر ، وقد وضحت تماما فى عهد الملك « رعمسيس الثانى » فقد أعاد بناء قلعة أواريس وسماها باسمه ، وهى غير « بى رمسيس » احدى مدينتى المخازن ، اللتين بناهما الرعاة الأسرى وبنو إسرائيل بالتسخير[٨] ، عقب طرد الهكسوس ، فى أوائل حكم « أحمس الأول » .

والذى نعنيه من هذا القول ، أن يكون تقدمة لتصحيح ما أرتآه بعض المؤرخين قديما ، من أن خروج بنى إسرائيل من مصر إنما كان فى عهد الملك « رعمسيس الثانى »[٩] ، قياسا إلى الظن بأنه أول من أقام المدينة باسمه وجعلها مقرا لمعبد الإله آمون ، وليس كذلك .

(الأسرة العشرون) ١١٨ سنة وفى المراجع القديمة ١٧٨ سنة .

ومركزها « طيبة » ، وملوكها اثنا عشر ، وهم :

ست نخت	رع أوسر جعو مياموn	٠٢	١١٩٥ / ١١٩٣
رمسيس الثالث	حقا نتر أون - رع أوسر مياموn	٣٢	١١٩٣ / ١١٦١
رمسيس الرابع	حقا ما مياموn - رع أوسر ما استبن إمن	٠٦	١١٦١ / ١١٥٥
رمسيس الخامس	امن حي خو مياموn - رع أوسر	٠٤	١١٥٥ / ١١٥١
رمسيس السادس	إمن حي خو بشف - رع نب مياموn	٠٥	١١٥١ / ١١٤٦
رمسيس السابع	إن إمن نتر حق أون - رع أوسر مياموn	١٥	١١٤٦ / ١١٣١
رمسيس الثامن	ست حي خو بشف - رع أوسر ما خون		
رمسيس التاسع	سي بتاح - سخ عن رع مياموn		
رمسيس العاشر	نفر كاو رع مياموn	١٨	١١٣١ / ١١١٣
رمسيس الحادي عشر	. . . . رع أوسر ما استبن	٣٢	١١١٣ / ١٠٨١
رمسيس الثاني عشر	خامو نتر حق أون - رع ما استبن بتاح	٣	١٠٨١ / ١٠٧٨
رمسيس الثالث عشر	. . . .	..	١٠٧٨ (حريحور الكاهن)



٢ ـ العهد الحديث الثاني

ويشتمل على الأسرات المتأخرة ، ابتداء من الأسرة الحادية والعشرين إلى نهاية الأسرة الثلاثين ، التي هي آخر الحكم الفرعوني في مصر ، وجملة سني الحكم في ذلك ٧٣٧ سنة تبدأ من سنة ١٠٧٨ إلى سنة ٣٤١ ق . م ، في عدة مراكز ، مفصلة فيما يلي :

(الأسرة الحادية والعشرون)

ولها فرعان ، أحدهما مركزه فى « طيبة » ، وكان ملوكه من الكهنة رجال الدين ، أولهم « حريحور » الكاهن الذى اغتصب الملك من « رمسيس الثالث عشر » سنة ١٠٧٨ ق . م .

والآخر فى مدينة (صان الحجر ـ ثانيس) ، وقد كانت السلطة على الأكثر فى ملوك هذه الأسرة ، فى الشمال ، وأولهم « سمندس » غير أن النهاية كانت واحدة لكليهما باستيلاء « شاشانق الأول » على الملك سنة ٩٤٤ ق . م .

وفى ترتيب الملوك وسنى الحكم فى كل منهما اختلاف ، غير أنا نذكر هنا ما استطعنا أن ننظر فيه من خلال المراجع[١٠] :

قائمة الملوك الكهنة فى طيبة
كما رتبها « ماسبرو »

	ق . م
الكاهن حريحور	١٠٧٨/ ....
الكاهن بيعنخى	
« بيونزم الأول	
« بيونزم الثانى	
« مزاحرتى	
الملك منخوبرى رع	
الكاهن بيونزم الثالث	.. /٩٤٤
	١٣٤ سنة

قائمة الملوك فى صان الحجر
كما فى جدول « مانيتون »

	عدد السنين	
سمندس	٢٦	١٠٧٤/١٠٤٨
بسوسنس الأول	٤١	١٠٤٨/١٠٠٧
نفرخوريس	٠٤	١٠٠٧/١٠٠٣
امنوبى	٠٩	١٠٠٣/٩٩٤
أوسرخورن	٠٦	٩٩٤/٩٨٨
بسيناخس	٠٩	٩٨٨/٩٧٩
بسوسنس الثانى	٣٥	٩٧٩/٩٤٤
	١٣٠ سنة	

والذى يمكن أن نشير إليه هنا من الأحداث التى تتصل بموضوع هذا الكتاب ، فى أواخر سنى هذه الأسرة :

أن الملك سليمان بن داود فى أول حكمه سنة ٩٧٢ ق . م ، صاهر[١١] فرعون مصر ، (بسوسنس الثانى) ، آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين

فى « صان الحجر » وتزوج ابنته ، وأتى بها إلى بيت داود أبيه إلى أن يكمل بناء بيت المقدس وبيته ، فصعد فرعون واستولى على « جازر »[١٢] وأحرقها وقتل سكانها من الكنعانيين ، وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان .

وأن بلقيس ملكة « سبأ »[١٣] باليمن ، جاءت إلى أورشليم فى موكب عظيم وقدمت إلى الملك سليمان هدايا فاخرة ، واستمعت إلى حكمته ، وكان ذلك فى السنة الحادية والعشرين من ملكه ، سنة ٩٥١ ق . م .

(الأسرة الثانية والعشرون) ١٣١ سنة ، وفى المراجع القديمة ١٧٠ سنة ، وفى جدول مانيتون ١٩٥ سنة ، ومركزها « بوباست » ، تل بسطة ، بمحافظة الشرقية ، وعدد ملوكها تسعة ، وهم :

جدول الآثار

	عدد السنين	ق . م
شاشانق الأول	٢١	٩٤٤ / ٩٢٣
أوسركون الأول	١٥	٩٢٣ / ٩٠٨
تاكلوت الأول	٣١	٩٠٨ / ..
أوسركون الثانى		....
شاشانق الثانى		/ ٨٧٧
تاكلوت الثانى	١٣	٨٧٧ / ٨٦٤
شاشانق الثالث	٥١	٨٦٤ / ...
بيماى		. ..
شاشانق الرابع		... / ٨١٣
	١٣١ سنة	

جدول «مانيتون»

	عدد السنين
سيسونخيس	٢١
أوثورثون	١٥
ملوك لم تذكر أسماؤهم	٢٢
تاكلوثيس	١٣
ملوك لم تذكر أسماؤهم	٥١
	٧٣
	١٩٥ سنة

ومما يلى الأول من هؤلاء ، يوجد بعض اختلاف فى سنى الحكم لكل منهم ، غير أنا نكتفى هنا بالأول ، ونذكر بأنه صعد إلى أورشليم فى سنة ٩٢٧ ق . م ، واستولى على خزائن بيت المقدس[١٤] ، وذلك فى السنة الخامسة من حكم « رحبعام بن سليمان » ، وقد جاء مثل هذا فى التوراة ، وفى مراجع الآثار المصرية .

(الأسرة الثالثة والعشرون) :

ومركزها « تل بسطة وصان الحجر » ، وملوكها أربعة ، حكموا جميعا ٨٢ سنة ، وفى المراجع القديمة ٩٠ سنة ، وهم :

		سنة	ق.م		سنة
بدوسابست	سهر إب رع	٤٠	٧٧٣/٨١٣	بتوباستس	٤٠
أوسركون الثالث	عا خبر رع	٠٩	٧٦٤/٧٧٣	أوسورخو	٩
بساموت	أوسر رع	١٠	٧٥٤/٧٦٤	بساموث	١٠
....	......	٢٣	٧٣١/٧٥٤	زت	٣١
		٨٢			٩٠

وكانت مصر فى أواخر هذه الأسرة تنقسم إلى عشرين ولاية ، يحكم كلا منها أمير ، بينما كان كل واحد منهم يتربص للآخر ، ليكون ملكا على جميع أنحاء مصر ، فكان أن حاربهم "تفنخت" أمير "نتر" المجاورة لمدينة "كانوب" على فرع رشيد ، وتمكن من انتزاع الحكم منهم ، ونصب نفسه ملكا على مصر ، على رأس الأسرة الرابعة والعشرين ، وجعل مقرها "صان الحجر" ، وحكم "تفنخت" ثم ابنه من بعده خمس عشرة سنة

(الأسرة الرابعة والعشرون) :

		سنة	ق.م	
تفنخت		٨	٧٢٣/٧٣١	(بيعنخى)
باكوريس ـ وح كا رع		٧	٧١٦/٧٢٣	
		١٥		

(الأسرة الخامسة والعشرون) :

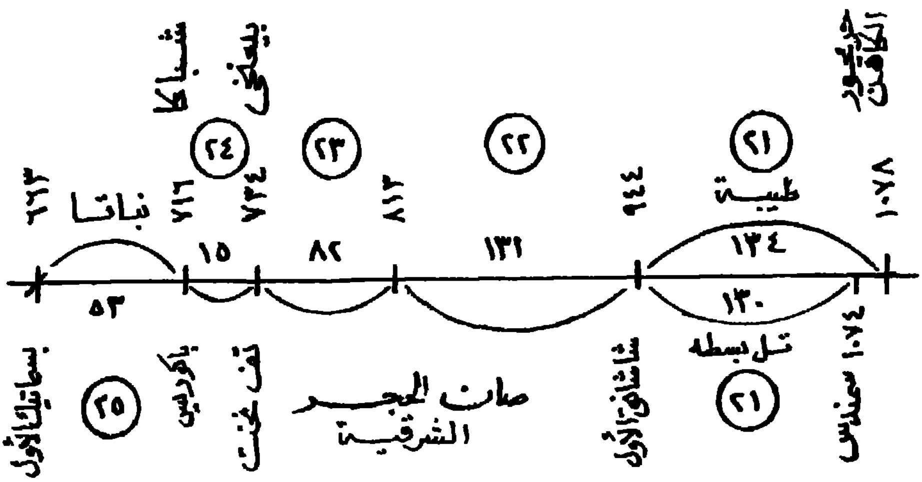
مقرها « نباتا » فى شمال السودان ، وملوكها بالحقيقة أربعة حكموا جميعا ثلاثا وخمسين سنة .

وتبدأ هذه الأسرة بنزول « بيعنخى » ملك نباتا إلى مصر سنة ٧٣١ ق.م ، مكتسحا صعيد مصر حتى الدلتا ، لمحاربة « تف نخت »

والمتآمرين معه ، وذلك لتحالفه مع ملوك طيبة ، فجاء بجيش جرار فأخضع الأمراء وهزم « تف نخت » الذى أظهر ولاءه منذ أول الأمر ، فلما اطمأن على أنهم جميعا تحت رايته ، عاد ثانية إلى مقر حكمه فى نباتا ، ولم يلبث « تف نخت » أن توفى أثناء ذلك ، فخلفه ابنه « بكوريس » ملكا على مصر ، وظل سبع سنوات لم ينازعه أحد ، حتى لحقه « شباكا » النوبى وظفر به فألقاه حيا فى النار ، وظلت الأسرة النوبية بعد ذلك إلى أن حكم « بسماتيك الأول » بمساعدة الأشوريين :

(الأسرة الخامسة والعشرون) ـ النوبية

	سنة	ق . م	
بيعنخى ـ رع من خبر	٠٠٠	٧١٦/٧٣١	وهى المدة التى احتسبت
شباكا ـ نفر كا رع	١٢	٧٠٤/٧١٦	للأسرة الرابعة والعشرين
شباتاكا ـ دد كو رع	١٢	٦٩٢/٧٠٤	
طهراقا ـ نفرتوم رع	٢٦	٦٦٦/٦٩٢	
نوات امون ـ بيكا رع	٣	٦٦٣/٦٦٦	
	٥٣		



الأسرات الفرعونية من الحادية والعشرين إلى الخامسة والعشرين
فى الدولة الحديثة

(الأسرة السادسة والعشرون) ·

ومركزها « صان الحجر » ، وملوكها ستة ، حكموا ١٣٨ سنة ، وهم :

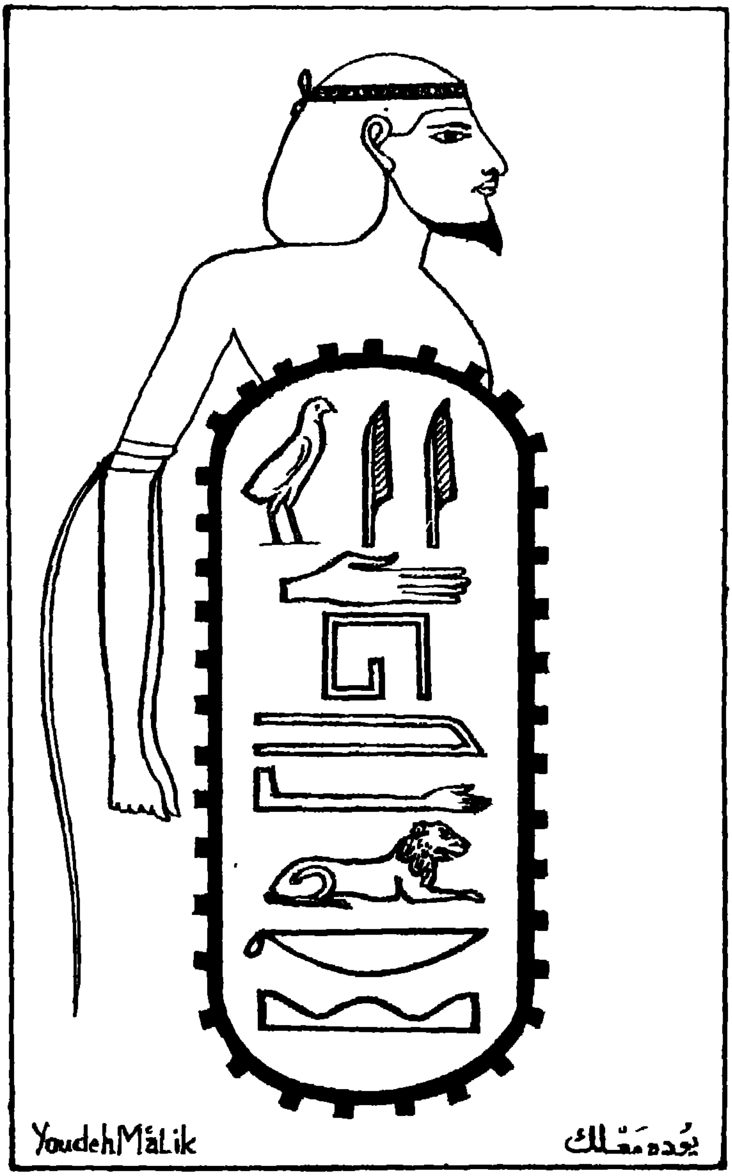
جداول الآثار	شهر	سنة		جدول مانيتون	سنة
بسامتيك الأول .. واح ايب رع	..	٥٣	٦٦٣/٦١٠	بسامتيخوس الأول	٥٤
نخاو الثانى .. واح نم رع	..	١٦	٦١٠/٥٩٤	نخاو الثانى	١٧
بسامتيك الثانى .. نفرايب رع	..	٥	٥٩٤/٥٨٩	بسامتيخوس الثانى	٥ .
واح إف رع .. حاايب رع	..	١٩	٥٨٩/٥٧٠	اقريس	١٩
احمس الثانى .. خنوم ايب رع	..	٤٤	٥٧٠/٥٢٦	أموزنيس الثانى	٤٤
بسماتيك الثالث .. عنخ رع كن	٦	--	٥٢٦/٥٢٥	بسامتيخوس الثالث	٦ شهر
	٦ ،	١٣٧			١٣٩ ٦ ٠

وفى عهد هذه الأسرة ، من الأحداث التى تتصل بموضوع كتابنا هذا عن بنى إسرائيل ، أن :

(نخاو الثانى) فرعون مصر ، كان قد جهز جيشا عظيما أراد به أن يغزو أرض الأشوريين فى أعالى نهر الفرات ، فاعترضه فى طريقه « يوشيا بن أمون » فى السنة الحادية والثلاثين من ملكه على « أورشليم » سنة ٦٠٧ ق . م ، فأرسل إليه فرعون مصر يقول : إنه ليس فى حرب معه ، وإنما هو فى طريقه إلى محاربة الأشوريين ، فلم يستمع له « يوشيا » وأبى إلا الحرب ، فأطلق عليه الرماة المصريون السهام فقتلوه .

ثم ملك بعده ابنه « يو آحاز بن يوشيا » فأظهر العصيان أيضا فاعتقله الملك (نخاو الثانى) ، وأرسل به أسيرا إلى مصر ، وأقام بدلا عنه أخاه « إلياقيم » ، وجعل اسمه « يهوياقيم » .

وفى الآثار المصرية رسم يعرف باسم : « يوده معلك » ، أى ملك يهوذا ، وهو بعينه « يهو آحاز بن يوشيا » الذى حكم أورشليم بعد أبيه ، ولم يلبث غير ثلاثة أشهر حتى اعتقله الملك (نخاو الثانى) وأرسل به إلى مصر(١٥) ، ومات بها .



(يوآحاز بن يوشيا بن آمون) ملك أورشليم
الذى اعتقله (نخاو الثانى) فرعون مصر سنة ٦٠٧ ق.م
وأرسله أسيراً إلى مصر

أما الملك (نخاو الأول) ، فإنه سار فى طريقه حتى قادش وحلب ، إلى أن وصل إلى « قرقميش » فى أعالى الفرات ، فقاتله (نبوخذ نصر) ملك الأشوريين بجيش جرار هزم به الجيش المصرى سنة ٦٠٦/٦٠٥ ق . م ، الذى كان قد عانى كثيرا من الجهد والتعب ، فعاد أدراجه إلى مصر .

وفى عهد الأسرة السادسة والعشرين أيضا ، أن (نبوخذ نصر) ملك بابل ، وأشور ، لما حاصر بيت المقدس وأحرقه وسبى اليهود ، وهو ما يعرف باسم : (السبى البابلى سنة ٥٨٦ ق . م) ، هرب أكثرهم عقب ذلك إلى مصر فى أيام الملك (رواح أف رع - افريس) ، وتفرقوا فى أنحاء منها .

(الأسرة السابعة والعشرون) :

فارسية ، وهى التى حدث فيها الغزو الفارسى الأول لمصـر ، حكمت ١٢٠ سنة ، وملوكها ثمانية ، وجميعا من الفرس :

قوائم الآثار		شهر	سنة		جدول « مانيتون »	شهر	سنة
قمبيز	رع موث	..	٠٣	٥٢٥ / ٥٢٢	كمبيزس	..	٥
جومات - ماخى		٦	..	٥٢٢ / ٥٢٢	....	٦	..
دارا الأول	رع سنوت	..	٣٦	٥٢٢ / ٤٨٦	داريوس الأول	..	٣٦
اكزركشيس الأكبر		..	٢١	٤٨٦ / ٤٦٥	شيارش الأول	..	٢١
ارتكزركشيس (١٦) - طويل الباع		..	٤٠	٤٦٥ / ٤٢٥	ارتحشاشا الأول	-	٤١
اكزركشيس الثانى		٢	..	٤٢٥ / ٤٢٥	شيارش الثانى	٢	..
سوجديانوس		٧	..	٤٢٥ / ٤٢٤	سوغديانوس	٧	..
دارا الثانى		..	١٩	٤٢٤ / ٤٠٥	داريوس الثانى	..	١٩
		٣	١٢٠ ,,			٣	١٢٣ ,

(الأسرة الثامنة والعشرون)

مركزها : صان الغربية (زايس) ، ملك فيها أمير جاهد ضد آخر ملوك

الفرس فى الأسرة السابعة والعشرين أكثر من ست سنوات حتى انتزع منه الملك ، فتوج ملكا على مصر سنة ٤٠٥ ق . م ، وظل فى الحكم ست سنوات ، من ٤٠٥/٣٩٩ ق . م ، وهو :

آمون حر (أميرثيوس) وباليونانية : « مونورثايس » ـ ست سنوات .

(الأسرة التاسعة والعشرون) :

مركزها (منديس) وهى أشمون بمحافظة الدقهلية الآن ، وملوكها أربعة حكموا ٤ أشهر و٢٠ سنة ، وهم :

	شهر	سنة	
نفر عاو رود (نفرتيس) ـ بن رع مينترو	٠٠	٦	٣٩٣/٣٩٩
هاجوريت (اخورلس) ـ خنوم باعت رع	٠٠	١٣	٣٨٠/٣٩٣
بساموت (بسامتوس)	٠٠	١	٣٧٩/٣٨٠
نفر عاو رود الثانى (نفرتيس الثانى)	٤	٠٠	٣٧٩ ٠٠٠٠
	٤	٢٠	

(الأسرة الثلاثون) :

مركزها : سمنود القديمة (سبنوس) ، بمحافظة الغربية ، على فرع دمياط ، وهى آخر الأسرات الفرعونية ، وملوكها ثلاثة ، وهم .

	شهر	سنة	
نختبنوالأول (نكتتانيس الأول) ـ سنوزم رع	٠٠	١٨	٣٦١/٣٧٩
تاخوس (تيوس) ـ زت حر	٠٠	٢	٣٥٩/٣٦١
نختنبو الثانى (نكتانيس الثانى) ـ خبر كارع	٠٠	١٨	٣٤١/٣٥٩
	٠٠	٣٨	

يلى ذلك الغزو الفارسى الثانى ، الذى انتهى باستيلاء الأسكندر الأكبر على مصر سنة ٩٣٢ ق . م .

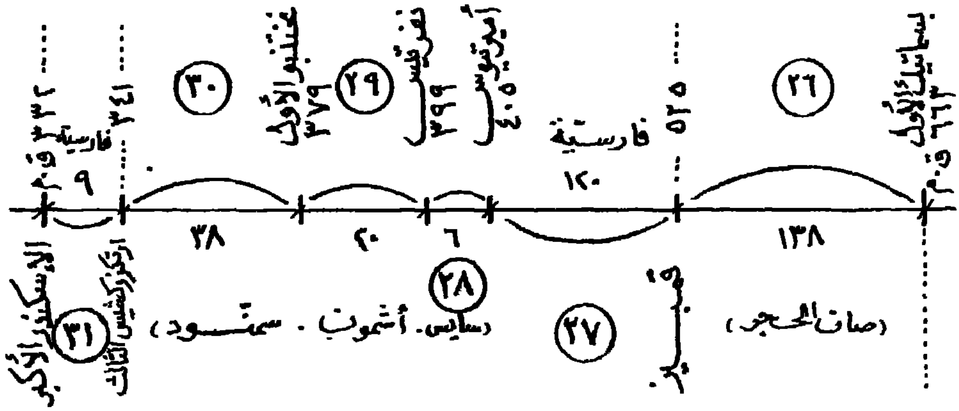
(الأسرة الحادية والثلاثون) :

فارسية ، وملوكها ثلاثة ، من الفرس ، حكموا جميعا تسع سنين ، من ٣٣٢/٣٤١ ق . م ، وهم :

	سنة	ق . م
ارتكزركشيس الثالث (أوخوس)	٣	٣٣٨/٣٤١
أرشيس	٢	٣٣٦/٣٣٨
دارالثالث (داريوس الثالث)	٤	٣٣٢/٣٣٦
	٩	

ونبين بالرسم ترتيب تلك الأسرات مما يلى الحكم النوبى فى الأسرة الخامسة والعشرين سنة ٦٦٣ ق . م ، إلى تاريخ استيلاء الاسكندر الأكبر على مصر سنة ٣٣٢ ق . م :

الأسرات من السادسة والعشرين الى الحادية والثلاثين
فى الدولة الحديثة



الأسرات من السادسة والعشرين إلى الحادية والثلاثين
فى الدولة الحــديثة

(١) « مريم بنت عمرام » اخت موسى وهارون ، أكبر من موسى بمقدار سبع سنوات تقريبا ، وهى أول من سميت عند اليهود « مريم » ـ ولعل التسمية محرفة عن المصرية « مرحى حام » بمعنى صاحبة الفخامة أو العظمة

(٢) وهذا الظن الذى يجمع بين الرعاة البدو وبين بنى اسرائيل كأنهم جميعاً شعب واحد ، انما نشأ بسبب ان كليهما رعاة اغنام ومواش ، او ان اختلاطهم بالرعاة البدو الذين كانوا يقطنون فى اطراف الصحراء شرقى الدلتا ، بعد ان سمحت لهم مصر بالتواجد فى اماكنهم عقب طرد الهكسوس من قلعة "افاريس" سنة ١٥٦٨ ق . م هو الذى ادى الى الخلط بينهما ، لكونهما جميعا اصحاب عمل واحد هو رعى الاغنام والماشية ، وعلى هذا الظن يرى بعض المؤرخين ان خروج بنى اسرائيل من مصر فى عهد رمسيس الثانى ، او فى عهد إبنه مرنبتاح

(٣) انظر التوراة ـ سفر للخروج ـ صح ١٤ ـ قال ما ملخصه .
" وشدد الرب قلب فرعون حتى سعى وراء بنى اسرائيل بفرسانه ومركباته فأدركهم عند فم الحيروث امام بعل صفون . فاجرى الرب بريح شرقية شديده فانشق البحر عن اليابسة فلحقتهم الخيل والمركبات . ثم عادت الماء فغطت جميع جيش فرعون فغرقوا" .. ويتبين من التواريخ الموضوعة على هامش التوراة ، ان الخروج كان سنة ١٤٩١ ق . م فما لايعنى بادق وجه انه كان فى زمان الملك رمسيس الثانى ، او "مربتاح" ابنه .

(٤) ومهاجمة الملك سيتى الاول ، للبدو الفارين من كنعان الى "بيتوم فى شرقى الدلتا ، يفسر ايضا قول الملك مرنبتاح أبنه فى لوحته عن اسرائيل الى قال فيها ان اسرائيل قد ابيدت ولم يبق لها اثر فى مصر

(٥) هذه الترجمة بالعربية ، عن كتاب "مصر القديمة" لسليم حسن ج/٤

(٦) "شارو" . يعنى البلاد الاجنبية وهى سوريا وفلسطين على التخصيص ويبدو انه يريد قلعة شاروهين فى فلسطين .

(٧) "سيتر" يعنى الالهة "عشتارون" روجة الاله "بعل" عند الاسيويين" من اهل الشام وشمال الفرات قديما

(٨) وفى "التوراة" ـ سفر الخروج ـ سح/١ قوله
" ثم قام ملك جديد على مصر ، لم يئ يعرف يوسف ، فقال لشعبه : هوذا بنو اسرائيل شعب اكثر واعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينموا ، فيكون اذا حدثت حرب ، انهم ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الارض ، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم باثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن ، فيتوم ورعمسيس ، ولكن بحسبما اذلوهم هكذا نموا وامتدوا "

(٩) عن محاضرة ، القاها عالم الاثار الالمانى "هنرى بروكش فُهتسشا" فى حفل المدارس المجانية بمصر سنة ١٨٧٩ م ، عن خروج بنى اسرائيل ـ ثم طبعت بعد ذلك فى كتيب ترجمه الى العربية الركيكة ، نخلة صالح ، باسم · "الدرة الحقيقية البهية" ـ محفوظ بالهيئة العامة للكتاب برقم ٤٠٥ تاريخ ـ قال
". . وهاتين المدينتين اللتين اخبرتنا بها هذه الاية هما مذكورتان فى النقوشات المصرية نفسها ، فالاولى تسمى "بى تان" ، اى مدينة الالة الشمسى ، والاخرى : "بى رمسيس" ، فما اورده حينئذ ورق البابيروس يؤيد لنا بالتحقيق يعلى ان الملك رمسيس هو الذى امر ببناء مدينة جديدة وسماها ي رمسيس ، اى باسم سدته الملوكية ، حيث انه هو المؤسس لها . "

(١٠) نقلنا هذا الترتيب فى اسماء الملوك وسينى الحكم ، عن كتاب "الكنز الثمين" لاحمد كمال ـ طبع بولاق سنة ١٣٠٠ هـ .

(١١) وفى التوراة ـ سفر الملوك الاول ، صح /٣
"وصاهر سليمان فرعون مصر ، واخذ بنت فرعون واتى بها الى مدينة دواد ابيه الى ان اكمل بناء بيته وبيت الرب وسور اورشليم حولها "
وفى اصحاح / ٩ . ١٥ قوله :
"وهذا هو سبب التسخير الذى جعله سليمان لبناء بيت الرد وبيته والقلعة وسور اورشليم ، وحاصور ومجدو وجازر ، صعد فرعون ملك مصر واخذ جازر واحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين فى المدينة ، واعطاها مهرا لإبنته امرأة سليمان . . "

(١٢) جازر قرية قديمة ، تقع بين القدس والرملة ، وفى كتاب "تاريخ فلسطين" طبع القدس سنة ١٩٢٣ :

"ان هذه القرية تسمى ايضا "ابو شوشة" وان سكانها كانوا قصار القامة ينتمون الى سلالة من العصر الحجرى ، يزاولون الزراعة وتربية الدواجن والاغنام وكانوا يقطنون داخل كهوف فيها ، ثم تدفق على فلسطين سيل من العراق وجزيرة العرب فنزلوا بها وعمروها ، ويؤيد ذلك القول الحفريات التى تمت بها فى اوائل القرن العشرين للميلاد" .

(١٣) بلقيس بنت الهدهاد الحميرى ، ملكة سبأ ، يمانية من اهل مأرب ، وليت الملك بعد ابيها ، واتخذت مدينة سبأ قاعدة لها

ورواية التوراة - اخبار الملوك الاول صح/ ١٠

وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل ، فأتت الى اورشليم فى موكب عظيم جدا ، حاملة اطيابا وذهبا كثيرا وحجارة كريمة على اجمال ، وأتت الى سليمان وكلمته بكل مافى قلبها ، فاخبرها سليمان بكل كلامها ، لم يكن امرا مخفيا عن الملك لم يخبرها به ... وكان ذلك فى السنة الحادية والعشرين من حكم الملك سليمان سنة ٩٥١ ق .م

وفى "الموسوعة الميسرة" قوله :

ان سليمان ظهر لها بتدمر ، ركب الرياح الى الحجاز واليمن ، فآمن اليمنيون بدعوته بعد ان كانوا يعبدون الشمس ، ثم دخل سبأ فاستقبلته بلقيس استقبالا حافلا ثم تزوجها واقامت معه سبع سنين وشهورا ، ثم ماتت فدفنها بتدمر ، وقد قيل ان تابوتها اكتشف فى عهد الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، مكتوبا عليه مايدل على انها ماتت بعد احد وعشرين سنة من حكم الملك سليمان ..."

(١٤) وسبب ذلك ، كما فى التوراة

ان يربعام بن نباط الافرايمى ، كان جبارا وكان عبدا لسليمان ، فاغلظ له فرفع يده على الملك ، فخرج يربعام من اورشليم لما علم ان الملك يطلب قتله ، ثم هرب الى "شامتافق الاول" ملك مصر ، وافضى اليه باسرار بيت المقدس ، فلما توفى سليمان تولى ابنه رحبعام الملك بعد ابيه ، فعاد يرحبعام الى اورشليم ، وفى السنة الخامسة من حكم رحبعام سنة ٩٢٧ ق .م ، صعد شاشانق الاول ملك مصر الى اورشليم بجيش كبير ، واستولى على خزائن بيت المقدس من الذهب والفضة واخذ اتراسى الذهب التى عليها سلميان - "انظر اخبار الملوك الاول صح/١١ او اخبار الايام الثانى صح/١٢" .

(١٥) وفى التوراة "اخبار الايام الثانى) صح / ٣٥ و٣٦

".. صعد "نخو" ملك مصر الى كركميش" ليحارب عند الفرات ، فخرج يوشيا للقائه ، مارسل اليه رسولا يقول : مالى ولك ياملك يهوذا ، لست عليك انت اليوم ، ولكن على بيت حربى ، والله امر باسراعى ، فكف عن الله الذى معى فلا يهلكك ، ولم يحول يوشيا وجهه عنه ، بل تنكر لمقابلته ، ولم يسمع لكلام "نخو" من فم الله ، بل جاء يحارب فى بقعة "مجدو" ، واصاب الرماة الملك يوشيا ، فنقله عبيده الى اورشليم ودفن هناك

قال : " ... فجعلوا "يهوحاذ بن يوشيا ملكا عوضا عن ابيه فى اورشليم ، فعزله ملك مصر وغرم الارض بمئة وزنة من الذهب ومثلها من الفضة ، ونصب اخاه "الباقيم" على يهوذا واورشليم وغير اسمه الى "يهوياقيم" واما يهواحاذ" اخوه ، فقد اخذه "نخاو" واتى به الى مصر فمات بها - وانظر "الملوك" الثانى صح/ ٢٣" وانظر "الاثر الجليل لقدماء وادى النيل" لاحمد نجيب - ص ١٥١ .

(١٦) وفى كتاب "مصر الفراعنة" لجاردنر قوله
"لم يحدث مطلقا ان زار "ارتكزركشيس" مصر ، والامر كذلك بالنسبة لداريوس التانى ، الذى يبدو انه امر بتشييد بعض المبانى فى معبد هيبس فى الواحات الخارجه . "
ويبدو ان هذا صحيح ، وانهم كانوا يحكمون من خارج مصر ، وفى التوراة "انه فى السنة السابعة لحكم الملك ارتخشاشا" انه اصدر امرا بعودة اليهود من سبى بابل واعادة بيت المقدس ، بناء على توصية سابقة من قورش العظيم وداريوس من بعده" انظر . عزرا ـ صح/ من ٤ الى ٨ .

موسى النبى
وخروج بنى إسرائيل من مصر

هو موسى بن عمرام بن قاهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل ، ولد سنة ١٥٤٨ ق . م ، فى أول حكم الملك « أمنوفيس الأول » وآخر حكم الملك « أحمس الأول » اللذين قد اشتدا فى اضطهاد الرعاة من بنى إسرائيل وتسخيرهم واذلالهم مع الأسرى وغيرهم ، بعد خروج الهكسوس من مصر ، وامرا القابلات الموالدات بإلقاء الأطفال الذكور من أولادهم فى اليم عقب ولادتهم ، واستبقاء الإناث .

وعن التوراة[1] بتصرف قال :

* .. وقد مات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل ، أما بنو إسرائيل فاثمروا وتوالدوا كثيرا جدا وامتلأت بهم الأرض ، ثم قام على مصر ملك آخر[2] لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه : هوذا بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينموا ، فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض .

فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم باثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن : فيثوم ورعمسيس[3] ، ومع ذلك فقد امتدوا ونموا ، فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف فى عبودية قاسية ، فى الطين واللبن ، وفى كل عمل فى الحقل .

وكلم ملك مصر قابلتى العبرانيات وقال : حينما تولدان فانظرا : إن كان المولود ابنا فاقتلاه وإن كان بنتا فأبقياها ، فقالت القابلتان : إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات ، فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة ، ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلا : كل ابن ذكر يولد لهم تطرحونه فى النهر * قال :

* وذهب رجل من بيت لاوى(٤) فأخذ بنت لاوى زوجة له ، فحبلت المرأة وولدت ابنا ، ولما رأت انه حسن خبأته ثلاثة أشهر ، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد ، أخذت له سفطا(٥) من البردى وطلته بالحمر والقار ووضعت الولد فيه وجعلته بين الحلفاء على حافة النهر(٦) ، ووقفت أخته(٧) من بعيد تنظر لتعرف ماذا يفعل به .

وكان أن نزلت ابنة فرعون تغتسل قدميها فى الماء ، وجواريها ماشيات بإزائها على جانب النهر ، فرأت السفط بين الحلفاء ، فأرسلت جارية لها فسحبته الى الشاطىء ، ولما فتحت السفط رأت الولد ، وإذا به يبكى ، فرقت له وقالت : هذا من أولاد العبرانيين ، فقالت أخته لابنة فرعون : هل أدلك على امرأة مرضعة له ؟ قالت : نعم ، فذهبت الفتاة فدعت أم الولد ، فقالت لها ابنة فرعون : خذى هذا الولد فأرضعيه ، ولك أجرتك ، فأخذت المرأة الولد فأرضعته ، ولما كبر جاءت به الى ابنة فرعون ، فصار لها غلاما ، ودعت اسمه : موسى ، وقالت : انتشلته من الماء .

ولما اشتد ساعده خرج يوما إلى إخوته ، من بنى إسرائيل ، لينظر فى أثقالهم ، فرأى رجلا مصريا يضرب عبرانيا من إخوته ، فالتفت حوله فرأى أن ليس هناك أحد ، فانقض على المصرى فضربه فقتله وطمره فى الرمل(٨) .

وخرج فى اليوم التالى ، وإذا رجلان عبرانيان من إخوته يتخاصمان ، فقال لأحدهما : لماذا تضرب صاحبك ؟ فقال له : ومن جعلك انت رئيسا

وقاضيا ، أتظن أنه يمكنك أن تقتلنى كما قتلت المصرى بالأمس ؟ فخاف موسى فهرب من وجه فرعون الى أرض مديان(٩) .

وكان لكاهن مديان سبع بنات ، فأتين الى البئر يستقين ويملأن الأجران يسقين الغنم ، فجاء الرعاة وطردوهن ، فنهض موسى فأنجدهن وسقى غنمهن ، فلما أتين إلى أبيهن ، رعوئيل الكاهن(١٠) ، قال : لقد اسرعتن اليوم بالمجيء ، فقلن · رجل مصرى انقذنا من أيدى الرعاة وسقى الغنم لنا ، قال : وأين هو ، أدعونه ليأكل معنا طعاما ، فأتاه موسى وارتضى أن يسكن مع الرجل ، فزوجه الكاهن « صفورة » بنت يثرون ابنه ، فولدت له غلاما ، فدعا اسمه : جرشوم ، لانه قال : كنت نزيلا فى أرض غريبة .

وظل موسى يرعى الغنم فى مديان حتى قارب الثمانين من عمره ، فى عهد الملك « تحتمس الثالث » فرعون مصر ، وهو يفكر فى مذلة إخوته وعبوديتهم ، واستحوذ ذلك على تفكيره أينما حل ، حتى ظهر له الرب وناداه قائلا : هلم انزل الى مصر ، وادخل الى فرعون ، وأصعد إخوتك ..*

وفى التوراة(١١) ـ بتصرف قال :

* .. وحدث بعد تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر(١٢) مات ، وتنهد بنو إسرائيل من العبودية فصرخوا ، فسمع الله انينهم ، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

وكان موسى إذ ذاك يرعى غنم حميه يثرون بن رعوئيل الكاهن ، فساق الغنم الى ماوراء البرية حتى جاء الى جبل حوريب(١٣) ، فظهر له ملاك الرب كلهيب نار فى وسط عليقة(١٤) ، فنظر فإذا العليقة تتقد ، فلما قرب ناداه الرب قائلا : ياموسى ، إنك بالوادى المقدس فاخلع نعليك ، فغطى موسى وجهه وخاف وخلع حذاءه ، فقال له الرب : رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم ، وقد أردت أن أنقذهم وأصعدهم من تلك الأرض إلى كنعان ، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا ، والآن هلم فأرسلك إلى فرعون حتى

يخرج بنى إسرائيل من مصر ، فقال موسى ، من أنا ياربى حتى أذهب الى فرعون ! فقال : إنى معك ، وتكون علامة لك ، أنى أرسلتك ، أنه حينما يخرج الشعب من مصر أن تعبدون الله على هذا الجبل .

فقال موسى : أخشى ألاّ يصدقوننى ولايسمعون لقولى إنك أرسلتنى ، قال : وماهذه التى فى يدك ؟ قال : هى عصاى ، قال : القها على الأرض ، فألقاها فإذا هى حية تسعى ، فهرب موسى ، فقال له الرب : لاتخف : امدد يدك وأمسك بذنبها ، ففعل فصارت عصا فى يده ، ثم قال له : ياموسى أدخل يدك إلى جانبك ، فأدخلها ، ثم اخرجها فإذا هى برصاء كالثلج ، ثم قال له : اردد يدك إلى جنبك ، فردها فعادت كما هى من غير سوء .

فقال موسى : ربى إنى ثقيل اللسان والشفتين ، قال : لاتخف ، أليس هارون اللاوى أخوك يتكلم ، قال : نعم ، قال ؛ هو يكلم الشعب عنك ، فيكون لك فما وأنت تكون له إلها ، وخذ فى يدك عصاك تصنع بها الآيات .

فمضى موسى ورجع إلى حميه يثرون فقال له : أنا ذاهب إلى أرض مصر لأرى إخوتى ، هل هم أحياء بعد ، فقال يثرون لموسى : اذهب بسلام ، فأخذ موسى امرأته وبنيه ليرجع الى أرض مصر .

وأوحى الله إلى هارون قائلا : اذهب إلى البرية واستقبل أخاك فى طريقه الى مصر ، فذهب فالتقاه فى جبل حوريب وقبله ، فأخبر موسى هارون بجميع كلام الرب ، وبكل الآيات التى أوصاه بها ، ثم رجعا إلى مصر ، وجمعا شيوخ بنى إسرائيل ، فتكلم هارون بما كلم به الرب موسى ، وصنع الآيات أمام عيون الشعب ، فلما رأوا أن الرب افتقد بنى إسرائيل ونظر الى مذلتهم خروا ساجدين *

وفى التوراة(١٥) أيضا :

* .. وبعد ذلك دخل موسى وهارون إلى فرعون وقالا : هكذا يقول الرب ، إله إسرائيل ، أطلق شعبى يؤدون العيد فى البرية ويعبدوننى هناك ، فقال

لهم فرعون : أنتما تبطلان الشعب من أعماله ، وأمر مسخرى الشعب ومدبريه بأن تزداد أثقالهم ، وضرب المسخرون من بيت فرعون ، رؤساء العمل منهم لكى ينهضوا بالأعمال المفروضة عليهم عنفا ، فصرخوا إلى فرعون فنهرهم وقال لهم : أنتم متكاسلون ، تقولون : لنذهب إلى البرية نذبح لإلهنا ! والآن اذهبوا إلى أعمالكم دون أن ينقص شىء منها .

فرأى مدبرو بنى إسرائيل أنهم اصبحوا فى بلية منذ تكلم موسى وهارون عنهم ، وصادفوهما حين خرجا من لدن فرعون ، فقالوا لهما : مالكما ، حتى تعطيا المصريين سيفا يقتلوننا به ! فإنه مذ دخلتما الى فرعون وقلبه يزداد تصلبا وتزداد مع ذلك أثقالنا .

وتراءى الرب لموسى قائلا : إنى اقسى قلب فرعون كى تظهر عجائبى فى مصر ، وليعرف المصريون أنى أنا الرب أمد يدى وأخرج بنى إسرائيل .

وصنع موسى معجزات بعصاه أمام فرعون ، فكان السحرة والعرافون المصريون يأتون بأمثالها ، واشتد قلب فرعون غلظة وأمعن فى إذلالهم ، ثم ضرب الرب مصر ضربات شديدة ، وأطلق على المصريين جيشا من الجراد قضى على الأخضر واليابس ، دون أن يرق قلب فرعون ويطلقهم .

ثم لما كثرت الآيات(١٦) والعجائب فى مصر ، وزاد بكاء بنى إسرائيل وتذمرهم ، مع الحاح موسى وهارون على فرعون ، قال المصريون من وجهاء القوم ، لفرعون ، إلى متى يكون هذا فخا لنا ، أطلق القوم يعبدون إلههم فى البرية ، فدعا فرعون(١٧) موسى وهارون ليلا وقال لهما · أخرجا الرجال ، وليأخذون معهم مايشاءون ليعبدوا إلههم فى البرية ثم يعودون .

فحمل الإسرائيليون أموالهم وأغنامهم وأمتعتهم وارتحلوا فى اليوم التالى ليلا ، من رعمسيس إلى سكوت(١٨) نحو ست مائة ألف ماش من الرجال(١٩) ، عدا الأولاد الصغار ، وحملوا معهم تابوت يوسف ، إذ كان قد أوصى قبل وفاته أن يصعدوا عظامه معهم ، حتى يدفن مع آبائه فى أرض كنعان .

وكانوا عند خروجهم قد طلبوا من المصريين أمتعة من الفضة ومن الذهب ، على زعم أن يردوها حين عودتهم من البرية ، كى يسلبوا بذلك المصريين ، كما أوصاهم موسى[٢٠] *

وكان رحيلهم من مصر بقيادة موسى ، فى ليلة الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٤٦٨ ق . م ، بعد أن قضوا فى مصر مائتى وعشر سنين ، منذ دخول يعقوب وبنيه الى مصر فى زمان يوسف سنة ١٦٧٨ ق . م ، وكانوا إذ ذاك جميعا لايتجاوزوا السبعين نفسا ، بخلاف يوسف وولديه اللذين ولدا فى مصر ، وقد اجتازوا النصف الأخير من تلك المدة فى ضنك ومذلة ، بعد أن أعتلى الملك (أحمس الأول) عرش مصر وطرد الهكسوس .

فأما المدة التى قضاها بنو إسرائيل فى مصر ، فقد ذكرت فى التوراة على انها ٤٣٠ سنة . فى أكثر من موضع ، فقد جاء فى (سفر الخروج - صح ١٢/ - ٤٠ قوله .

* وأما إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة ، وكان عند نهاية أربع مائة وثلاثين سنة ، فى ذلك اليوم عينه أن أجناد الرب خرجت من أرض مصر ، هى ليلة تحفظ للرب لإخراجه إياهم من أرض مصر ، هذه الليلة هى للرب تحفظ من جميع بنى إسرائيل فى أجيالهم ..*

وفى هذا القول التباس كان سببا مباشرا لاضطراب آراء المؤرخين فى تحديد زمان دخول بنى إسرائيل إلى مصر ، وبالتالى تاريخ خروجهم ، وقد لاحظ ذلك بعض المؤرخين القدامى ، فلما سئل الربانيون ، إذا ذاك ، من طائفة اليهود ، زعموا أن تلك الجملة من السنين يعنى بها التوراة المدة منذ تراءى الرب لإبراهيم لأول مرة فى « حاران[٢١] » حوالى سنة ١٨٩٤ ق . م . حتى تاريخ خروج بنى اسرائيل من مصر . غير أن هذا الزعم ليس له مايؤيده ، لانعدام الصلة بين طرفى هذه المدة الطويلة .

وفى هذا الصدد علل البطريرك افتشيوس ، الملقب بابن البطريق ، هذا الخلاف فقال(٢٢) .

« وكان عدد بنى إسرائيل وقت دخولهم الى مصر سبعين نفسا ، سكنوا بمصر مائتين وسبع عشرة سنة يستعبدهم الفراعنة ، فإذا قال قائل · إنه مكتوب فى التوراة ، أن بنى ابراهيم أو بنى إسرائيل يستبعدون أربع مائة سنة ، فيكف تقول : إنما استبعدوا ٢١٧ سنة ؟ قلنا : إنك لم تعلم فى أى وقت ينبغى لك أن تحسب حتى تتم اربع مائة سنة ، إنه فى السفر الأول من التوراة ، مكتوب : إن الله قال لإبراهيم . انظر الى السماء إن استطعت أن تعد نجومها ، فإن زرعك يكون هكذا ، فمنذ ذلك الوقت إلى خروج بنى إسرائيل تحسب الأربع مائة سنة(٢٣) » .

وفى كتاب : (الآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيرونى(٢٤) ، قال :

« ودخل يعقوب مصر مع بنيه وقد أتى له مائة وثلاثون سنة ، وعاش بعد ذلك سبع عشرة سنة ، فيكون مكث بنى إسرائيل بمصر مائتين وعشر سنين ، على قياس قولهم ، إن من ولادة إبراهيم الى ولادة موسى ، عليهما السلام ، أربع مائة وعشرين سنة ، وإنه خرج من مصر ببنى إسرائيل وقد مضى من عمره ثمانون سنة ، غير أن فى السفر الثانى من توراتهم : أن جميع ماسكن بنو إسرائيل بمصر أربع مائة وثلاثون سنة ، فإذا سئلوا عن ذلك زعموا أن تلك المدة معدودة من يوم أقام الله مع إبراهيم الميثاق ، ووعده أن يجعله أبا لكثير من الشعوب ويورث بنيه أرض كنعان ، والله أعلم بقولهم ...» .

وفى كتاب (تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء(٢٥)) :

« وكان قدوم يعقوب مصر بعد وفاة إسحاق بعشر سنين ، ثم كان مقام بنى إسرائيل بمصر إلى أن أخرجهم موسى منها مائتين وعشر سنين ، ومن خروج بنى إسرائيل من مصر الى بنيان بيت المقدس أربع مائة وثمانون سنة(٢٦) » .

ومع ذلك فإن مفردات التواريخ التى وضعت فى هامش التوراة ، بإزاء الحوادث والأعلام ، كما فى الترجمة العربية ، تشير إلى أن مابين دخول بنى إسرائيل الى مصر فى عهد يوسف ، وبين خروجهم بقيادة موسى ، مائتان وخمس عشرة سنة ، وهو الأقرب إلى ماذكرنا

ونلحق بما تقدم جدولا يبين تواريخ أهم الموضوعات وبعض الاعلام الذين ذكروا فى التوراة ، منذ وفاة يوسف الى تاريخ خروج بنى إسرائيل ، فى نهاية سنى حكم الملكة « حتشبسوت » بالوصاية سنة ١٤٦٨ ق . م :

اسماء الموضوعات والاعلام	التاريخ الميلادى ق . م	العبرى عبرية	تواريخ غير يقينيه فى هامش التوراة ق . م
ابتداء غزو الهكسوس فى أوائل الأسرة الثالثة عشرة	١٧٥٦	٢٠٠٤	ـــ
وفاة يوسف الصديق بن يعقوب	١٦٠٨	٢١٥٢	١٦٣٥
طرد الهكسوس فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة	١٥٦٨	٢١٩٢	ـــ
ولادة النبى موسى بن عمرام	١٥٤٨	٢٢١٢	١٥٧١
خروج بنى اسرائيل من مصر فى اخر حكم الملكة حتشبسوت	١٤٦٨	٢٢٩٢	١٤٩١

* * *

(١) انظر . (سفر الخروج ـ صح / ١) ـ مع التصرف للاختصار .

(٢) فى الأصل . « ملك جديد ...» ويراد به هنا الملك (أحمس الأول) ، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، الذى طرد الهكسوس فى السنة الخامسة من حكمه ، سنة ١٥٦٨ ق . م ، ولم يبق منهم غير بعض الرعاة الذين أظهروا الخضوع ، وقد استوطنوا إذ ذاك الصحراء الشرقية ، ثم تفرقوا بعد ذلك .

(٣) ومن هاتين ، فأما « فيتوم » وقد تنطق « ايتام » ، فهى « بى أتوم » نسبة إلى الإله اتوم ، وتعرف الآن أطلالها باسم . (تل بوتو) فى الشمال الشرقى من « فاقوس » بحوالى ١٨ كيلو مترا ، وتبعد عن « الصالحية » ، فى اتجاه صان الحجر ، بمقدار اثنى عشر كيلو مترا تقريبا .
وأما (رعمسيس) القديمة فالأصل فى التسمية نسبة الى ابناء الإله (رع) أى الفراعنة العظام ، والأقرب إلى موضعها فيما نرى ، أنها كانت فى المكان الذى يعرف الآن باسم : « تل دفنه » تجاه تل بوتو ، الى الشرق منها ، وكلتاهما كانتا مدينتى مخازن .
فأما المدينة التى بناها الملك رمسيس الثانى ، وسماها باسمه (رعمسيس) فالأشبه أنها كانت على أنقاض قلعة (أورايس فوق تل الفرما Pelusium » على البحر المتوسط ، جنوبى خليج الطينة الآن ، وليست هى تلك التى بناها بنو إسرائيل بالتسخير ، لتكون مخازن للغلال

(٤) قوله . « رجل من بيت لاوى . » يعنى به عمرام بن قاهات بن لاوى بن يعقوب ، تزوج من (يوكابد) عمته ، أخت أبيه قاهات ، فولدت له مريم وهارون وموسى .

(٥) « السفط » ـ (بالتحريك) ، مايعبأ فيه ، كالجوالق ، والجمع : أسفاط ، والمراد به هنا قارب صغير ، كالسلة ، عمل خصيصا من أعواد البردى وطلى بالقار ، حتى يظل بين الحلفاء ظاهرا على وجه الماء .

(٦) « .. النهر » هنا يريد به أحد شرايين الفرع الشرقى لنهر النيل ، فيما كانوا يسمونه . (الفرع الطينى ، وهو « البحر الشبينى » الآن ، وأقرب تلك الشرايين الى منطقة « صان الحجر » هو مايعرف فى وقتنا هذا باسم « بحر فاقوس » ، وقديما بحر صان ، وهو فرع من بحر مويس .

(٧) قوله « ووقفت أخته .. » يعنى بها مريم أخت هارون وموسى ، وهى التى استعارتها الآية ، فى قوله تعالى .
﴿ ياأخت هارون ما كان أبوك أمرا سوء ، وما كانت أمك بغيا ﴾ .
والآية على لسان قوم مريم أم المسيح يخاطبونها ، على سبيل التشبيه بأنها سميت مريم أخت هارون وموسى .

(٨) وهذا الحادث يسىء إلى موسى ويصفه بالقاتل ، عندما بلغ الأربعين من عمره .

(٩) « مديان » · أرض الحجاز ، نحو الشمال ، على الجانب الشرقي لخليج العقبة ، ثم إلى حدود اليمن ، ويبدو أن موسى قد سلك فى هروبه من مصر ممر « متلا » فى برية سيناء الى العقبة .

(١٠) « رعوئيل الكاهن » : كاهن مديان ، وهو أبو يثرون ، الذى تزوج موسى ابنته « صفورة » ، وفى كتاب (ابن البطريق)

أن كاهن مديان « رعوئيل » ، هو الذى يسميه العرب . « شعيب » ، من نسل إسماعيل بن إبراهيم .

(١١) انظر « سفر الخروج » صح ٣/

(١٢) والذى مات من فراعنة مصر إلى أن ظهر موسى هم . « أحمس الأول » ثم ابنه « أمنوفيس الأول » ثم « تحتمس الأول » ثم الثانى الى أول حكم تحتمس الثالث ، بوصاية الملكة « حتشبسوت » ، وكل هؤلاء كان يُعارض خروج بنى إسرائيل للاستفادة من تسخيرهم فى أعمال البناء ، غير أن الأخير وافق على أن يقوموا بشعائرهم الدينية فى البرية على أن يعودوا ، فلما خرجوا بقيادة موسى كان ذلك إلى غير رجعة ، سنة ١٤٦٨ ق . م

ولم يكن لتحتمس الثالث ، بجانب الملكة « حتشبسوت » شخصية تعوق ماتراه من وجهة نظرها ، فلما اختفت بعد ذلك التاريخ ظهرت عبقرية « تحتمس الثالث » فى الحروب التى خاضها ، حتى كان يلقب باسم · « سيزوستريس » وكان يسمى فى اللغة اليونانية : (تحوتسفر اثوموزيس) .

(١٣) جبل « حوريب » . هو جبل سينا ، المعروف بجبل موسى فى المنطقة التى فيها الآن : دير « سانت كاترين » ، غير أنه يمكن أن تطلق هذه التسمية على غير هذا الجبل ، على سبيل الاستعارة .

(١٤) « العليقة » نبات تلتف أغصانه وتتعلق بما يكتنفه من جانبيه والجمع : عليق

(١٥) انظر (خروج - صح/ ٥ إلى ١٢ » - مع التصرف بالإيجاز .

(١٦) وفى « التوراة - سفر الخروج » تزييدات كثيرة عن الآيات والضربات التى أطلقها إله إسرائيل على مصر ، رأينا ألا نحشو الموضوع بها اختصارا على القول المفيد فيه .

(١٧) وفرعون مصر الذى امر بأن يخرجوا ليعبدوا إلههم فى البرية ، واضح من تسلسل التواريخ تباعا ، أنه الملكة « حتشبسوت » فى آخر سنى حكم لها ، فى وصايتها على الملك « تحتمس الثالث » سنة ١٤٦٨ ق . م ، ونشك أيضا أنها تجرأت وخرجت مع بعض الجنود بمركباتهم لتحول بينهم وبين الهروب فغرقت فى المستنقعات التى فى جنوبى بحيرة المنزلة ، أو اصابتها نزلة برد ماتت بسببها ، وأن ذلك إن صح ، فهو بتشجيع من تحتمس الثالث ، على زعم أنه عمل بطولى يليق بها ، ومع ذلك فليس فى الآثار خبر عن الملكة « حتشبسوت » ، بعد ذلك التاريخ ، كأن الأرض ابتلعتها .

(١٨) « سكوت » : تسمية ، ذكرت فى أكثر من موضع فى التوراة ، تشير إلى الأماكن المؤقتة ، أو المعدة للراحة على الطريق ، ويشبه أنه كانت توجد بأرض « رعمسيس » ، مثل تلك الأماكن التى تشبه مايسميه العرب : المرابع ، التى يقام أكثرها فى فصل الربيع ، أو توجد كإستراحات فى الطريق .

(١٩) فى « التوراة » ـ سفر العدد ـ صح ١/ « أن عدد الرجال ، من سن العشرين فأكثر ممن كان يصلح للحرب : (٦٠٣٥٥٠) رجلا ـ قال

* فكان جميع المعدودين ، من بنى إسرائيل ، حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعدا ، كل خارج للحرب فى إسرائيل ، ست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة وخمسين ، وأما اللاويين فلم يعدوا من بينهم ..*

ونحن هنا نرى أن هذا العدد فيه مبالغة زائدة ، بالقياس الى معدل المواليد والوفيات ، فى المدة التى قضوها فى مصر ، والأقرب الى الرقم الصحيح هو (٦٣٥٥) رجلا

(٢٠) كذا فى التوراة (خروج ـ صح ٣/ ع ٢٠/) ، قال .

* .. فأمد يدى وأضرب مصر بكل عجائبى التى اصنع فيها ، وبعد ذلك يطلقكم ، وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون انكم لاتمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة ، وامتعة ذهب وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون بذلك المصريين *

والغريب أن هذا القول نسبه موسى الى الوحى من الله لصالح بنى إسرائيل وليس لنا أن نعلق عليه ، بوصفه من الوصايا التى أوحى بها الى موسى النبى .

(٢١) انظر : (الفصل العاشر) · فيما تقدم من الكتاب .

والمراد : أن المدة هى منذ تراءى الرب لإبراهيم لأول مرة فى حاران ، وقال له . « أخرج من أرضك وعشيرتك إلى الأرض التى أريك ، فسأجعلك أمة عظيمة مباركة » .

(٢٢) انظر (كتاب التاريخ المجموع على التحقيق) طبع بيروت سنة ١٩٠٥ م .

(٢٣) وهذا القول كسابقه ، تحليل ضعيف ، والأشبه ان الخطأ من المبدأ فى كتابة « التوراة » ، فإن الناسخ عندما أراد أن يذكر عدد سنى اقامة بنى اسرائيل فى مصر جاء بالمدة فيما بين مولد موسى وبين مولد ابراهيم ، وهى ٤٢٠ سنة ، أو أنه جاء بالمدة فيما بين نزول إبراهيم من حاران الى خروج بنى إسرائيل ، وهذه أيضا ٤٢٦ سنة .

(٢٤) كتاب (الآثار الباقية) ـ لمحمد بن أحمد البيرونى ، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، طبع أوروبا سنة ١٨٧٨ م .

(٢٥) (تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء) ـ الحمزة بن الحسن الأصفهانى ـ طبع ليبسك سنة ١٨٨٤ م .

(٢٦) قوله : « إلى بنيان بيت المقدس .. » يعنى الى الوقت الذى بدأ فيه الملك سليمان بناء البيت فى السنة الرابعة من ملكه ، سنة ٩٦٨ ق . م . غير أن الأصح أن المدة من خروج بنى اسرائيل من مصر الى بداية بناء بيت المقدس فى أورشليم ، خمسمائة سنة ، ومثلها من الخروج الى ميلاد ابراهيم الخليل .

الفصل السادس عشر :

سنو التيه فى البرية
والطريق إلى كنعان

١ ـ المرحلة الأولى من خروج بنى إسرائيل :

فى التوراة قوله[١] :

* وكان لما أطلق فرعون الشعب ، أن الله لم يهدهم إلى طريق فلسطين[٢] ، مع أنها قريبة ، لأن الله قال : لئلا يندم الشعب إذا رأى حربا[٣] فيرجعوا الى مصر ، فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف[٤] ، وصعد بنو إسرائيل متجهزين من مصر ، من أرض رعمسيس ، فارتحلوا منها إلى « سكوت[٥] » .

ثم ارتحلوا من « سكوت » ، ونزلوا فى « ايتام[٦] » فى طريق البرية ، وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود من نار ليضىء لهم ، لكى يمشوا طول اليوم نهارا وليلا .

ثم أوحى الرب إلى موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام « فم الحيروث[٧] » ، فى اتجاه « مجدل[٨] » أمام « بعل صفون[٩] » ، فى مقابله عند البحر ينزلون ، حتى يقول فرعون : إن بنى إسرائيل مرتبكون فى الأرض ، وقد استغلق عليهم الفقر ، فأشدد قلبه حتى يسعى وراءكم فأمجد بفرعون ، فرجعوا حتى ينزلوا عند « فم الحيروث » .

فلما أخبر ملك مصر بأن الشعب هرب بكل مايملك ، تغير قلبه ، فشد مركبته ، وأخذ ستمائة مركبة منتخبة وجنودا ، وسعى وراء بنى إسرائيل فأدركهم وهم نازلون عند البحر .

ولما اقترب فرعون وجنوده رفع بنو إسرائيل عيونهم فإذا المصريون يسعون وراءهم ، ففزعوا وصرخوا إلى الرب ، وقالوا لموسى : لماذا أخذتنا لنموت فى البرية ؟ كف عنا ، فإنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت ، فقال موسى : لاتخافوا ، ستنظرون اليوم خلاص الرب الذى يصنعه لكم .

وصرخ موسى الى الرب ، فقال له : قل لبنى اسرائيل أن يرحلوا ، وارفع أنت عصاك ومد يدك بها البحر فينحسر الماء من الجانبين وتبين اليابسة فيمرون ، وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم ، ثم وقف ملاك الرب وعمود السحاب بين الفريقين طول الليل ، ثم مد موسى عصاه على البحر فأجرى الله ريحا شرقية شديدة وظهرت اليابسة ، فدخل بنو إسرائيل والماء على الجانبين حاجز لهم ، فتبعهم المصريون ودخل وراءهم خيل فرعون ومركباته ، وكان عند الصبح لما أدركوا آخر الطريق ، أن الله قال لموسى : مد بعصاك يدك الى الماء فيرجع على المصريين ومركباتهم ، ففعل فرجع الماء الى حالته الأولى وغطى مركبات وفرسان جيش فرعون ، وهرب المصريون فى ذلك اليوم بمن بقى منهم(١٠) » .

قال :

« ورأى بنو إسرائيل الفعل العظيم الذى صنعه الرب لهم فخافوا وآمنوا ، وترنم موسى وبنو إسرائيل بهذا النشيد ، الذى أوله :

* أرنم للرب فإنه قد تعظم *

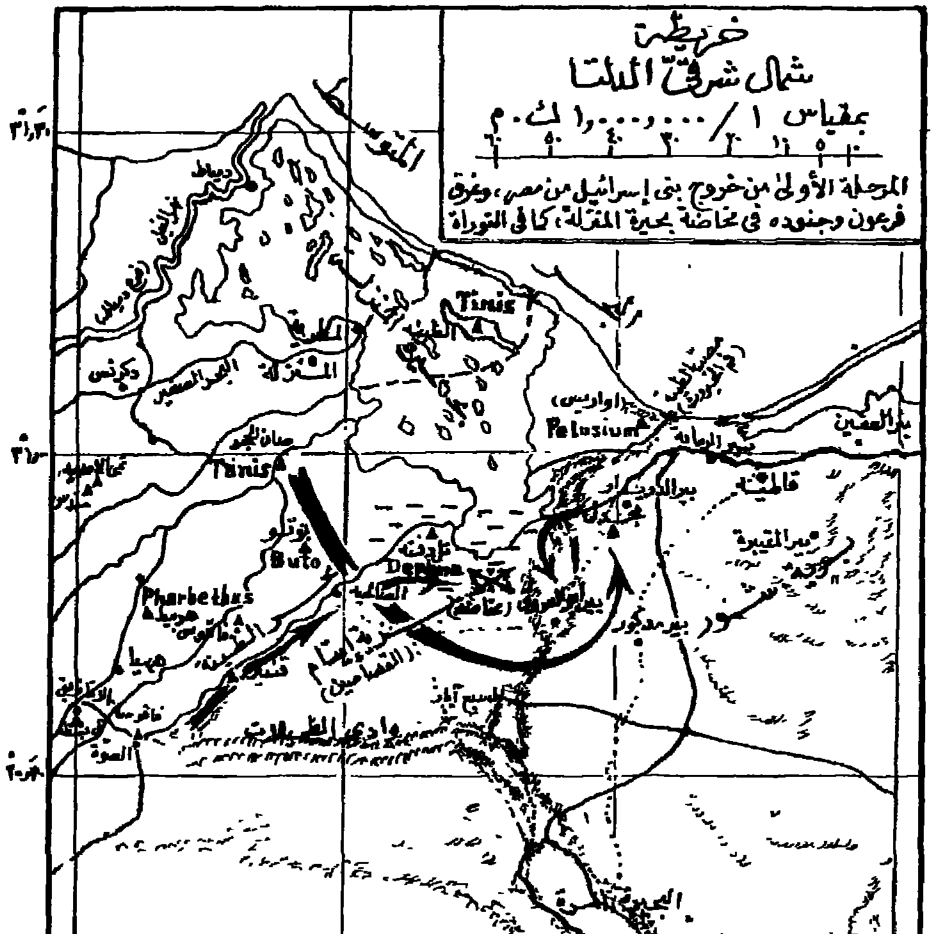
* الفرس وراكبه طرحهما فى البحر *

ثم أخذت مريم ، أخت هارون وموسى ، الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص ينشدن .. »

هذا موجز ماجاء فى التوراة عن قصة غرق فرعون وجنوده عند خروج بنى إسرائيل من مصر ، وليس لنا أن نعقب على هذا ، بأكثر من احتمال حدوثه

بفعل نوبات المد والجزر فى البحر المتوسط ، عند اشتداد الرياح العاتية ، حيث يعلو الماء فيفيض الى الجنوب من بحيرة المنزلة ، فيغطى الطرق التى فى اتجاه القنطرة والطريق الساحلى إلى فلسطين ، فى البقعة التى تعرف إلى الآن باسم « الطينة » ، وكانت تعرف قديما باسم منطقة الهلاك .

وليس فى هذه القصة ، بشواهد من اسماء المدن ، مايشير الى ماستنبطه بعض المؤرخين لها ، بأن غرق فرعون وجيشه إنما كان فى مخاضة البحر الأحمر ، عند فم خليج السويس ، وليس لنا أن نخطىء فنجعل مواقع : « أقاريس وصان الحجر وبئر مجدل » ، فى مثل هذا المكان .



وبفرض أن موضوع هذه القصة ، من أولها ، ليس فيه تلبيس جعلها بهذه الحكاية تماما ، وأنها انتهت بغرق فرعون وجنوده ، ومركباته فإنه إن صح ذلك ، وكان فرعون مصر قائدا يتقدم الجيش ، فى ذلك التاريخ الذى حددناه ، فإنا نتخيل أن الفرعون الذى سعى وراء بنى إسرائيل إذ ذاك لإرغامهم على العودة الى مصر ، ليس إلا الملكة : « حتشبسوت » ، فى ذات التاريخ الذى أشرنا اليه قبلا ، إما بدافع من جرأتها وكبريائها ، أو بتشجيع من أخيها ، « تحتمس الثالث » ، فوقعت فى ذلك المأزق ، الذى يبدو أن موسى دبره ، بأن جعل بنى إسرائيل فى اتجاه مخاضة المهالك ، فى منطقة الطينة ، مع علمه بوجود رياح موسمية فى ذلك الوقت ، وقد ساعدته الظروف الطبيعية ، فلما زحف الجيش نحو ذلك الموضع ، دون أن يتنبه إلى طبيعة الأرض هنالك ، وكان مد البحر فى انتظاره فى تلك اللحظة ، ارتبكت الخيالة والمركبات فى المقدمة ، وغلبها الموج فغاصت فى الأرض اللينة ، وتعذر عليها الخروج من الوحل بسهولة .

وقد يخيل أن الملكة « حتشبسوت » أخرجت من الماء فى حالة سيئة وحمت بسبب ذلك مدة ، وتكتم أخوها ، « تحتمس الثالث » خبرها ، فلما ماتت دفنها خلسة ، دون تحنيط أو مراسيم ملكية ، ولم يشأ اذاعة خبرها أصلا ، وليس فى تاريخ الآثار المصرية والنصوص مايفيد خبرا للملكة « حتشبسوت » بعد الخروج سنة ١٤٦٨ ق . م .

وهنالك نص ينسب الى الملكة « حتشبسوت » ، يرجع إلى مابعد طرد الهكسوس ، فيما بين سنة ١٤٨٦ إلى ١٤٦٩ ق . م ، ينبىء عن سخطها وضيقها من سلوك المهاجرين ، الذين كانوا فى « أواريس » شمال الدلتا ، منذ عهد الهكسوس ، يذكر بأنها سمحت لأولئك المخربين الذين أغضبوا الآلهة بالخروج ، وقد ابتلعت الأرض آثار اقدامهم .

وهذا النص قيل إنه مدون على واجهة أحد معابدها فى منطقة « اسطبل عنتر » بمصر القديمة ، وقد أخذ عن ترجمة حديثة لعالم الآثار المصرية : (جاردنر Gardiner) :

a

In an inscription written almost a century after the expulsion of the Hyksos from Egypt, the queen Hat-shepsut (about 1486-1469 B.C.) gives some of the national sense of indignation. This inscription was carved on the façade of a temple of hers at Speos Artemidos (Istabl Antar) in Middle Egypt. A new edition by A. H. Gardiner, based on a copy by N. de G. Davies, *JEA*, xxxii (1946), 43-56, Pl. vi, supplants previous presentations of the text by W. Golenischeff, in *Recueil de travaux . . .*, vi (1885), Pl. opp. p. 20, and by K. Sethe, *Urkunden der 18. Dynastie* (*Urk.*, iv, Leipzig, 1906), ii, 383-91, and the translation by Breasted, *AR*, ii, §§296-303. The extract below comes from lines 35-42 of this inscription.

Hear ye, all people and the folk as many as they may be, I have done these things through the counsel of my heart. I have not slept forgetfully, (but) I have restored that which had been ruined. I have raised up that which had gone to pieces *formerly*, since the Asiatics were in the midst of Avaris of the Northland,[2] and vagabonds[3] were in the midst of them, overthrowing that which had been made. They ruled without Re, and he[4] did not act by divine command down to (the reign of) my majesty. (Now) I am established upon the thrones of Re. I was foretold for the limits of the years as a born conqueror.[5] I am come as the uraeus-serpent of Horus, flaming against my enemies. I have made distant those whom the gods abominate, and earth has carried off their foot(prints). This is the precept of the father of [my] fathers, who comes at his (appointed) times, Re, and there shall not occur damage to what Amon has commanded. My (own) command endures like the mountains, (while) the sun disc shines forth and spreads rays over the formal titles of my majesty and my falcon is high above (my) name standard for the duration of eternity.[6]

وترجمة هذا النص الى العربية ·

« اصغ إلى ، إن جميع الناس من البدو ، هم دائما على حالتهم ، وإنى لم آخذ فى الاعتبار أعمالهم الشاذة ، ولم تشغل خاطرى ، فإنى لم أنس أن أشيد وأصلح ماقد دمروه وأتلفوه قبلا ، منذ كان الاسيويون فى « أواريس » شمال الدلتا ، حيث كان من بينهم المفسدون ، والمخربون ، فهؤلاء كانوا يحكمون دون رغبة الإله « رع » وهو لذلك لم يشأ أن يمنحهم قوة إلهية .

وحكم جلالتى ثابت الآن بقوة الإله « رع » فقد سبقت النبوة بمولدى ، بأنى سأكون من الملوك القادرين المنتصرين ، ولذلك جئت كالحية النارية من الإله « حورس » ملتهبة ضد أعدائى .

ولما سمحت لأولئك الذين أغضبوا الآلهة ، بالخروج ، فكأن الأرض ابتلعت آثار أقدامهم ، وهذه هى إرادة أبى الآلهة ، التى رتبت هذا فى حينه ، وهم لايوافقون على الحاق الضرر بمن جاء بإرادة الإله « أمون » .

وإنى أتمتع بقوة احتمال ، كالجبل حين يسطع عليه قرص الشمس ، وتمتد عليه الأشعة النورانية ، فوجود جلالتى ولقبه قانونى وأصولى والإله (حورس) ، الصقر ، هو الذى يحلق من فوقى ويحمينى وينشر اسمى الملكى إلى الأبد » .

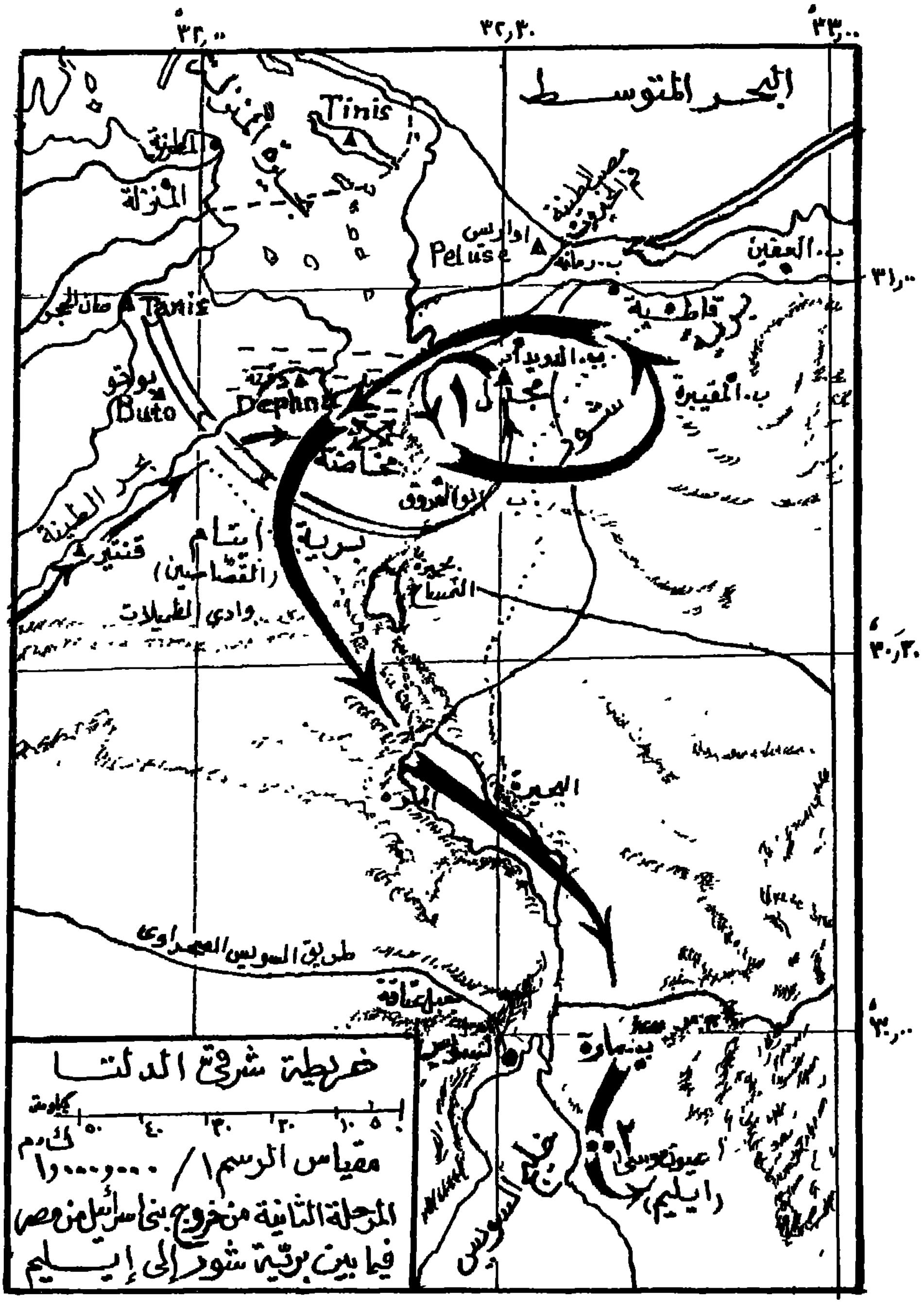
٢ - المرحلة الثانية من الخروج ، ابتداء من بحر سوف إلى إيليم

وفى التوراة[١١] :

« ثم ارتحل موسى وبنو إسرائيل من « بحر سوف[١٢] » ، وخرجوا الى برية شور[١٣] ، ثم عبروا البحر[١٤] وساروا ثلاثة أيام فى برية ايتام ، ولم يجدوا ماء ، فجاءوا الى « مارة[١٥] » وكان ماؤها مرا فلم يستطيعوا أن يشربوا ، وتذمروا على موسى ، فأوحى اليه الرب وفتح عينيه الى شجرة إذا طرحت فى الماء صار عذبا ، فشربوا منها » .

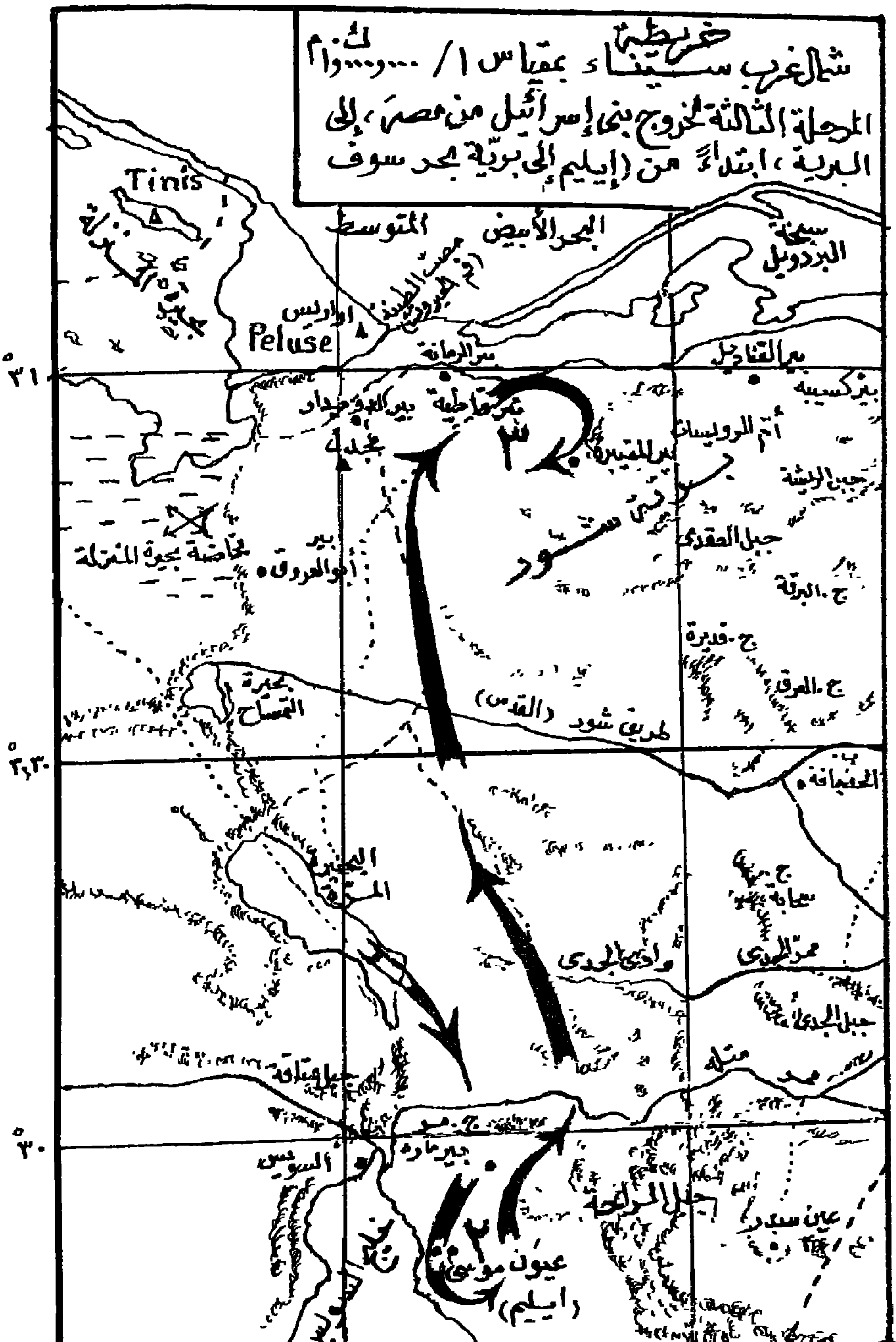
قال :

« ثم ارتحلوا من « مارة » وجاءوا الى « إيليم[١٦] » ، وكان هناك اثنتا عشر عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك عند الماء » .



٣ ـ المرحلة الثالثة فى الخروج ، بالعود من إيليم الى بحر سوف

قال(١٧) . .ثم ارتحلوا من « إيليم » وأتوا إلى بحر سوف(١٨) .


خريطة
شمال غرب سيناء بمقياس ١ / ١٠٠٠٠٠٠م
المرحلة الثالثة لخروج بني إسرائيل من مصر، إلى البرية، ابتداءً من إيليم إلى برية بحر سوف
Tinis
Peluse
البحر الأبيض المتوسط
سبخة البردويل
بير القاطية
بير الرمانة
بير كسيبه
أم الرويسات
بير المقبرة
بير أبو العروق
بحيرة التمساح
طريق شور (القدس)
البحيرة المرة
وادي الجدي
ممر الجدي
جبل الجدي
متلة
جبل عتاقة
السويس
جبل الراحة
عيون موسى
(إيليم)
عين سدر
خليج السويس
٣١°
٣٠,٣٠°
٣٠°
٣٢,٣٠°
٣٣°

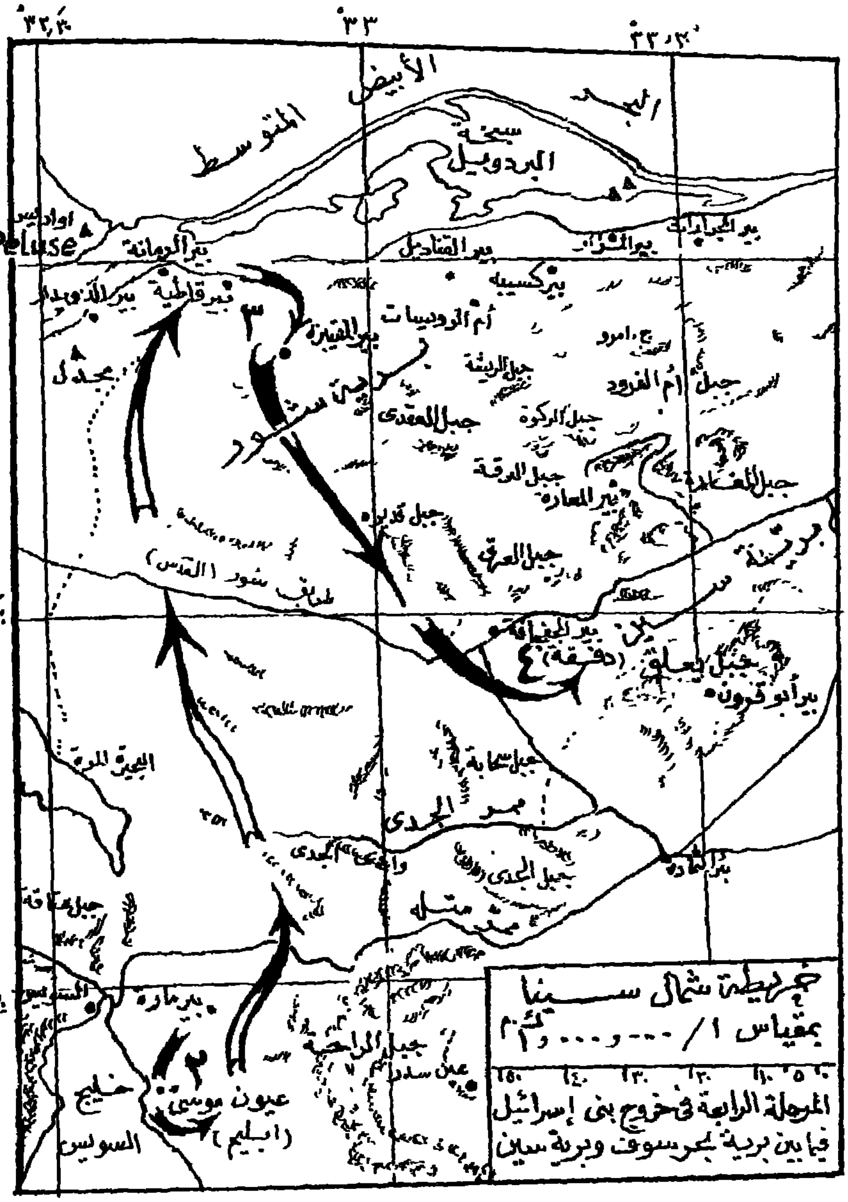
٤ ـ المرحلة الرابعة فى الخروج ابتداء من بحر سوف إلى برية سين

وفى التوراة :

ثم ارتحلوا الى برية سين[١٩] ، التى بين إيليم وسينا ، فى اليوم الخامس عشر ، من الشهر الثانى بعد خروجهم من مصر .

وتذمر الشعب على موسى وهارون ، وقالوا لهما : ليتنا متنا فى أرض مصر بيد الرب ، إذ كنا فى نعمة وشبع ، وها نحن جياع ، وها أنتما أخرجتمانا إلى هذا القفر لنموت جوعا .

فقال الرب لموسى · ها أنا أمطر لكم من السماء خبزا فيخرج الشعب ويلتقطونه حاجة يوم بيوم ، وفى اليوم السادس يضاعفون حاجتهم منه ليوم السبت فكانوا يجمعونه فى الصباح ، وهو مثل البزر الأبيض ، طعمه كرقاق الخبز بالعسل ، وكان فى المساء ان السلوى[٢٠] تصعد وتغطى البرية فأكل بنو اسرائيل المن والسلوى فى البرية اربعين سنة حتى جاءوا الى طرف ارض كنعان .



٥ ، ٦ المرحلتان الخامسة والسادسة من خروج بني إسرائيل ، ابتداء من برية سين الى ألوش ، ثم إلى رفيديم حيث فاجأهم العماليق بالحرب .

وفي التوراة[٢٢] :

« ثم ارتحلوا من برية « سين » ، فنزلوا في « دفقة[٢٣] » ، ثم ارتحلوا

منها الى « آلوش[٢٤] » ثم نزلوا فى « رفيديم[٢٥] » .

ولم يكن هناك ماء ليشرب الشعب ، فتذمروا على موسى وخاصموه فصرخ إلى الرب ، فقال الرب لموسى : خذ معك شيوخ بنى إسرائيل ، ومر من أمام الشعب ، وها أنا أقف أمام صخرة على جبل « حوريب[٢٦] » ، فتضرب الصخرة بعصاك فيخرج منها ماء ليشرب الشعب ، ففعل ذلك موسى امام عيونهم ، ودعا اسم الموضع « مسة ومريبة[٢٧] » .

وأتى العماليق[٢٨] وحاربوا بنى إسرائيل فى « رفيديم » فقال موسى ليشوع[٢٩] خادمه : انتخب لنا من الشعب رجالا واخرج بهم لتحارب العماليق وغدا أقف أنا على رأس التلة ، وعصا الله فى يدى ، ففعل يشوع كما قال موسى ، فكان اذا رفع موسى يده ان إسرائيل تغلب ، واذا تعب فخفضها ان العماليق تغلب ، وكان مع موسى اذ ذاك هارون أخوه ، وحور[٣٠] ، أحد شيوخ بنى إسرائيل ، فأخذا حجرا فجلس عليه موسى ورفع العصا ، ودعماه من الجهتين ، هارون وحور حتى تغلب بنو إسرائيل بقيادة يشوع ، على العماليق بحد السيف .

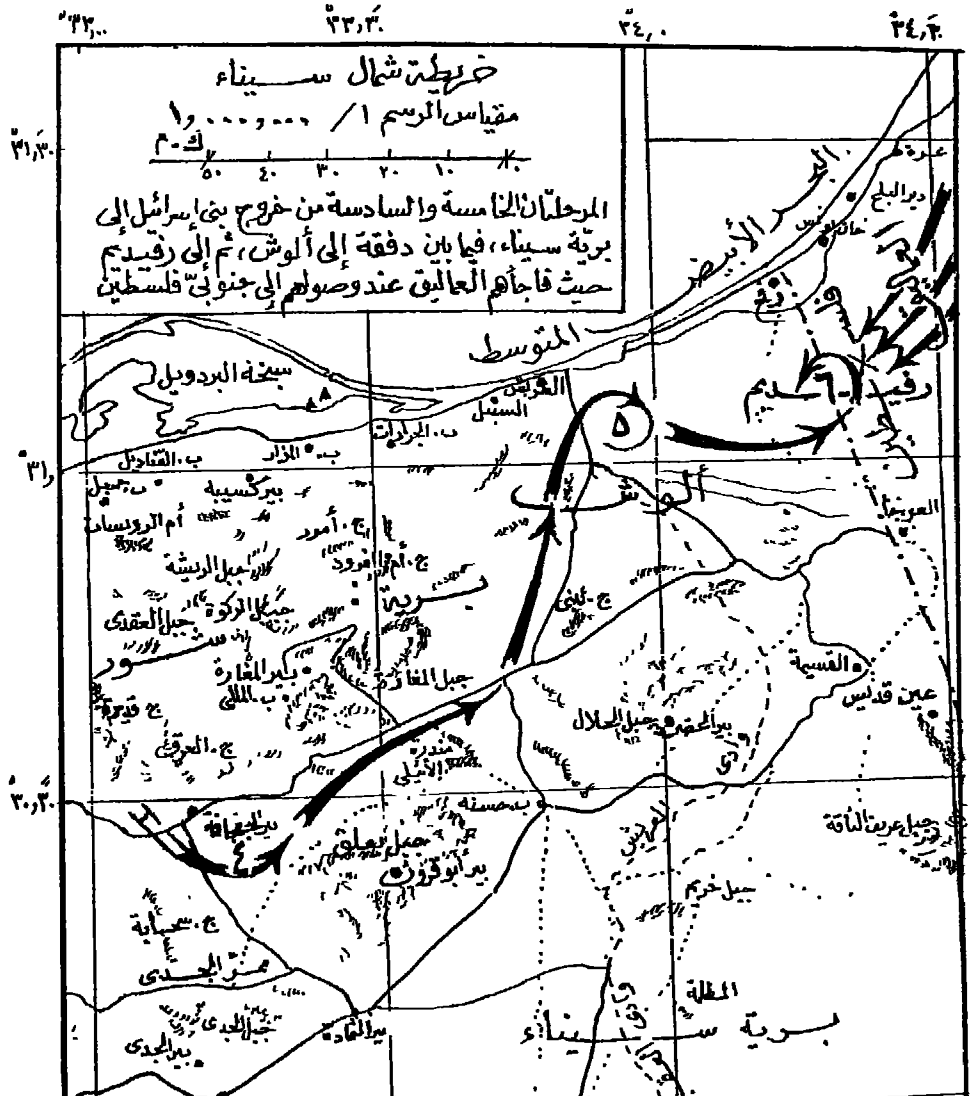
وقال الرب لموسى : أذكر هذا فى الكتاب تذكارا ، وضعه فى مسامع يشوع ، إنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء لتكون حرب مع عماليق من دور الى دور .. » .

قال[٣١] :

« وسمع « يثرون » كاهن مديان ، حمو موسى ، بما صنع الله ، الى موسى والى بنى اسرائيل ، فأخذ يثرون « صفورة » امرأة موسى وولديها منه : « جرشوم واليعازار » ، بعد أن كان صرفهم موسى الى مديان ، وأتى بهم الى موسى فى البرية ، حيث كان نازلا عند جبل « حوريب[٣٢] » فأرسل لموسى قائلا : أنا حموك « يثرون » آت اليك ، وامرأتك وابناها معها ، فخرج موسى لاستقبال حميه ، وقبله ، ثم دخلا الى الخيمة .

وحدث فى الغد ، أن موسى جلس كعادته ليقضى للشعب ، فوقف الناس عند موسى من الصباح الى المساء ، فلما رأى يثرون ذلك قال لموسى : انك

سوف تكل ولاتستطيع ان تفعل ذلك وحدك ، والأصوب فيما أرى أن تقيم للشعب رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء عشرات ، ذوى قدرة أمناء مبغضين للرشوة ، يقضون للشعب ، وتتفرغ أنت لتعليم الشرائع والفرائض والطريق الذى يسلكونه ، فلا يلجأون اليك الا فى الدعاوى الكبيرة ، وليكن الله معك ، فسمع موسى لما أشار به حميه يثرون كاهن مديان ، ثم صرفه إلى أرضه .. » .



٧ ـ المرحلة السابعة من الخروج ابتداء من رفيديم الى هضبة سيناء وفى التوراة :

وفى الشهر الثالث[٣٣] ، بعد خروج بنى إسرائيل من مصر ، ارتحلوا من رفيديم وجاءوا الى برية سيناء ، فنزلوا فى البرية ، فى مقابل الجبل ، جبل سيناء .

وصعد موسى إلى الجبل ، فناداه الرب قائلا : أقم للجبل حدودا لايقتحمها الشعب ، وليتطهر الناس وليتقدس الكهنة ثلاثة أيام .

وفى اليوم الثالث صعد موسى الجبل ، واذا صوت رعود وبروق ، ولف الجبل سحاب ثقيل ، ثم اضاء كأنه أتون نار يخرج منه صوت بوق شديد ، فارتجف الشعب ووقفوا من بعيد .

ثم كلم الرب موسى وأنزل عليه وصاياه[٣٤] لبنى إسرائيل فى لوحين منقوشين باسم الرب ، فنزل موسى من الجبل وفى يديه لوحى الشهادة ، وحدث الشعب بجميع الوصايا والأحكام[٣٥] التى أوصى بها الرب . وقال موسى لبنى إسرائيل . يقول الرب : لاتتخذوا لكم آلهة مصنوعة[٣٦] ، وها أنا أرسل ملاكى أمام وجهك يحفظك فى الطريق ويسير أمامك إلى الأرض التى أطرد منها الكنعانيين والحويين والحثيين من أمامك ، فلا تقطعون معهم عهدا ، بل تكسرون أنصابهم[٣٧] وسواريهم ، فإنى سأجعل تخومك من بحر سوف[٣٨] ، الى بحر فلسطين[٣٩] ، ومن البرية إلى النهر[٤٠] ، فأجاب الشعب بصوت واحد قائلين : كل ما تكلم به الرب نفعل ، وبكر موسى فى الصباح ، وبنى مذبحا فى أسفل الجبل ، واثنى عشر عمودا لأسباط بنى إسرائيل » .

وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى اسرائيل أن يأخذوا لى تقدمه ، مما يجودون به من الذهب والفضة والنحاس والخشب ، ومن فاخر الانسجة والأطياب وحجارة الترصيع ، ويصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم ، ووصف له الرب هيئة المسكن[٤١] ، وعمارته وطرازه ، وطوله وعرضه

وارتفاعه ، وتوشياته[٤٢] ومناراته وتابوته[٤٣] ففعل موسى كل ما أمر به الرب .

وكان فى الشهر الأول من السنة الثانية ، منذ خروجهم من مصر ، أن المسكن اقيم ، وبسط خيمة فوق المسكن ، وبنى خيمة الاجتماع الى جانبه ، وأصعد السرج ، ثم غطت سحابة من نور خيمة الشهادة نهارا وليلا أمام عيون بنى إسرائيل .

وأوحى الرب إلى موسى بكل الشرائع والفرائض والوصايا التى يتبعها الشعب ، وقال له : قل لبنى اسرائيل ، أن يعملوا بكل هذه ، فإن رفضوا أو كرهت أنفسهم أحكام الرب فإنى أهزمهم أمام أعدائهم ، وإن عملوا بكل ما أوجبته فإنى أذكر لهم عهدى وميثاقى مع آبائهم .. » .

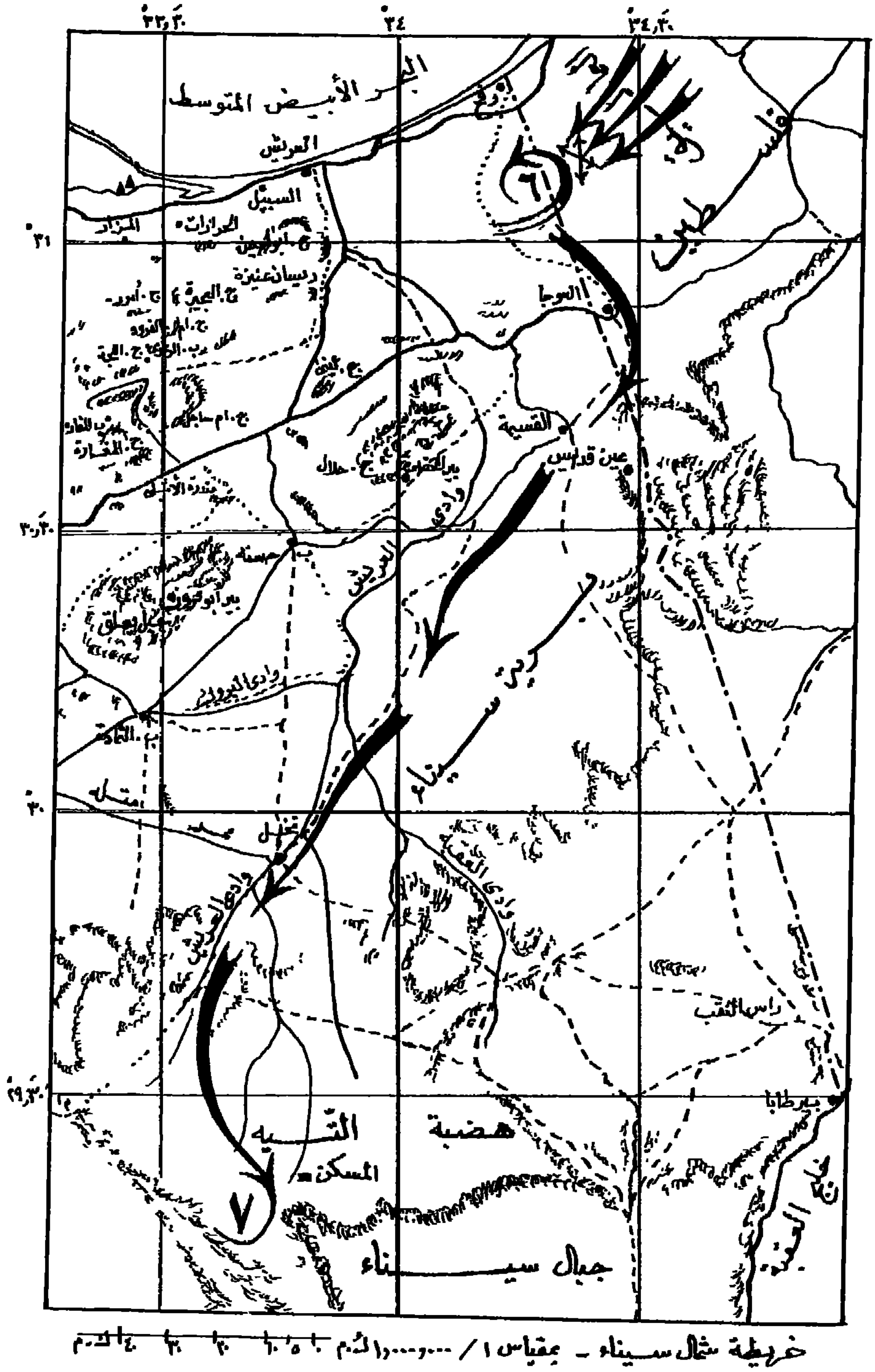
« وفى أول الشهر الثانى من السنة الثانية ، من خروجهم من مصر ، كلم الرب موسى قائلا : احص[٤٤] كل جماعة بنى إسرائيل ، بحسب عشائرهم ، من ابن عشرين سنة فما فوق ، واجعل لكل منهم راية مميزة فى المحلة[٤٥] ، ففعل موسى وهارون ذلك ، فكان عدد بنى إسرائيل ، بحسب عشائرهم ، وبيوت آبائهم ست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة ، وخمسين[٤٦] رجلا ، عد اللاويين .

فأما هؤلاء ، فقد أحصاهم موسى ، من كل ذكر ابن شهرين فصاعدا ، فكانوا اثنين وعشرين ألفا ومائتين وثلاثة وسبعين نفسا[٤٧] » [٤٨]

ثم قال الرب لموسى :

« أجمع إلى سبعين رجلا من شيوخ بنى إسرائيل وعرفائهم ، فأنزل وأتكلم معك ، وآخذ من الروح التى عليك وأضع عليهم ، فيحملون معك ثقل الشعب ، وقل لبنى إسرائيل ، الذين يشتهون اللحم ويتباكون على خروجهم من مصر ، إنى سأطعمهم لحما شهرا من الزمان ، دون أن يذبحوا من أغنامهم .

فانتخب موسى سبعين رجلا من خيار شيوخ بنى إسرائيل ، فلما حلت عليهم الروح تنبأوا .. » .



خريطة شمال سيناء - بمقياس ١ / ٠٠٠و٠٠٠و١

المرحلة السابعة في خروج بني إسرائيل من مصر، من رفيديم إلى برية سيناء عند الجبل

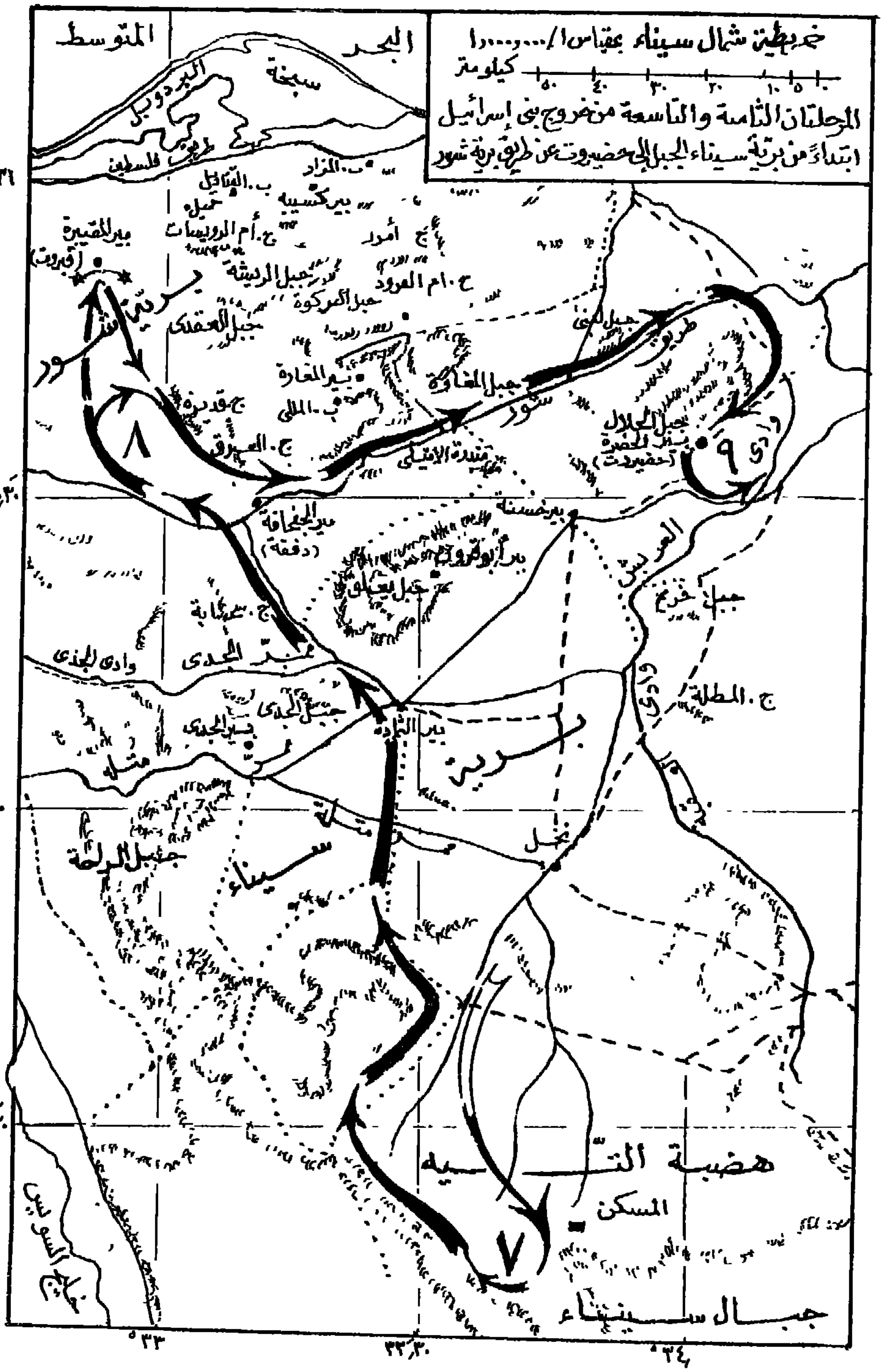
٨ ، ٩ (المرحلتان الثامنة والتاسعة من الخروج ابتداء من هضبة التيه فى برية سينا الى قبروت ، ثم الى حضيروت) .

وفى التوراة[٤٩] :

« ... ثم انحاز موسى الى المحلة ، وإذا بريح شرقية ساقت اليهم السلوى من البحر وغطت المحلة ، فقام الشعب وجمعوا كل الليل وكل يوم الغد ، وأكلوا ماشتهوا ، وضرب الرب الشعب فى ذلك ضربة عظيمة فمات منهم كثيرون ، هم الذين اشتهت أنفسهم اللحم ، ولذلك دعى الموضع الذى دفنوا فيه ، قبروت هتاوة[٥٠] ، لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا ومن قيروت هنأوة ارتحل الشعب الى حضيروت[٥١] » .

قال :

« وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية[٥٢] التى اتخذها لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ! ألم يكلمنا نحن أيضا ! فغضب الرب عليهما ، والتفت هارون فإذا هى بيضاء كالثلج ، فصرخ موسى الى الرب قائلا : اللهم ربى اشفها ، ثم حجزت سبعة أيام خارج المحلة ، حتى شفيت ولم يرتحل الشعب حتى أرجعت مريم .. » .


خريطة شمال سيناء بمقياس ١/١٠٠٠٠٠٠
كيلومتر
المرحلتان الثامنة والتاسعة من خروج بني إسرائيل
ابتداءً من برية سيناء الجبل إلى حضيروت عن طريق برية شور
البحر
المتوسط
سبخة
البردويل
برية شور
بئر القصيمة
(قبروت)
جبل العنقة
ج. قديرة
ج. الصيرق
بئر المغارة
جبل المغارة
منذرة الإبتلى
جبل الحلال
بئر الحضرة
(حضيروت)
بئر حسنة
العريش
جبل يعلق
بئر الجفافة
(دفقة)
ج. سحابة
ممر الجدى
وادى الجدى
جبل الجدى
بئر الجدى
بئر التمادة
برية
متلة
سيناء
نخل
جبل الراحة
ج. المطلة
جبل خريم
هضبة التيه
المسكن
جبال سيناء
خليج السويس
٨
٩
٧
٣١°
٣٠°٣٠
٣٠°
٢٩°٣٠
٣٣°
٣٣°٣٠
٣٤°

١٠ و١١ (المرحلتان العاشرة والحادية عشرة من الخروج من حضيروت الى برية فاران ، ثم منها الى قادش) .

وفى التوراة[٥٣] :

« وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا فى برية فاران[٥٤] ، وكلم الرب موسى قائلا : ارسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان .. » .

قال[٥٥] :

« وأتى بنو إسرائيل ، الجماعة كلها ، إلى برية صين فى الشهر الأول[٥٦] ، واقام الشعب فى قادش[٥٧] ، وماتت هناك مريم ودفنت هناك[٥٨] » .

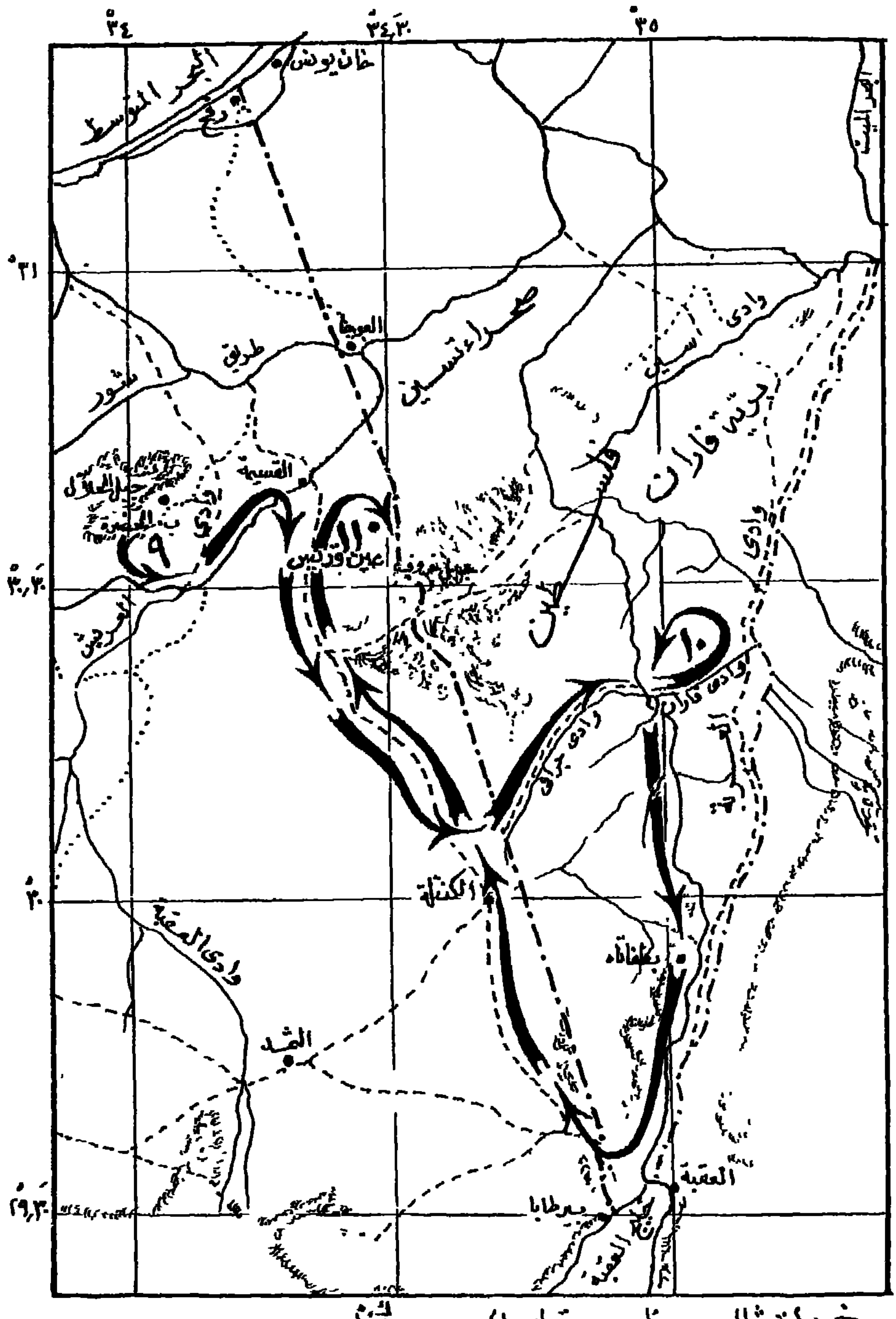
وفى التوراة (●) :

« ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا فى جبل هور (●●) ، فى طرف أرض أدوم (●●●) » .

(●) سفر العدد ١ صحاح/٣٣

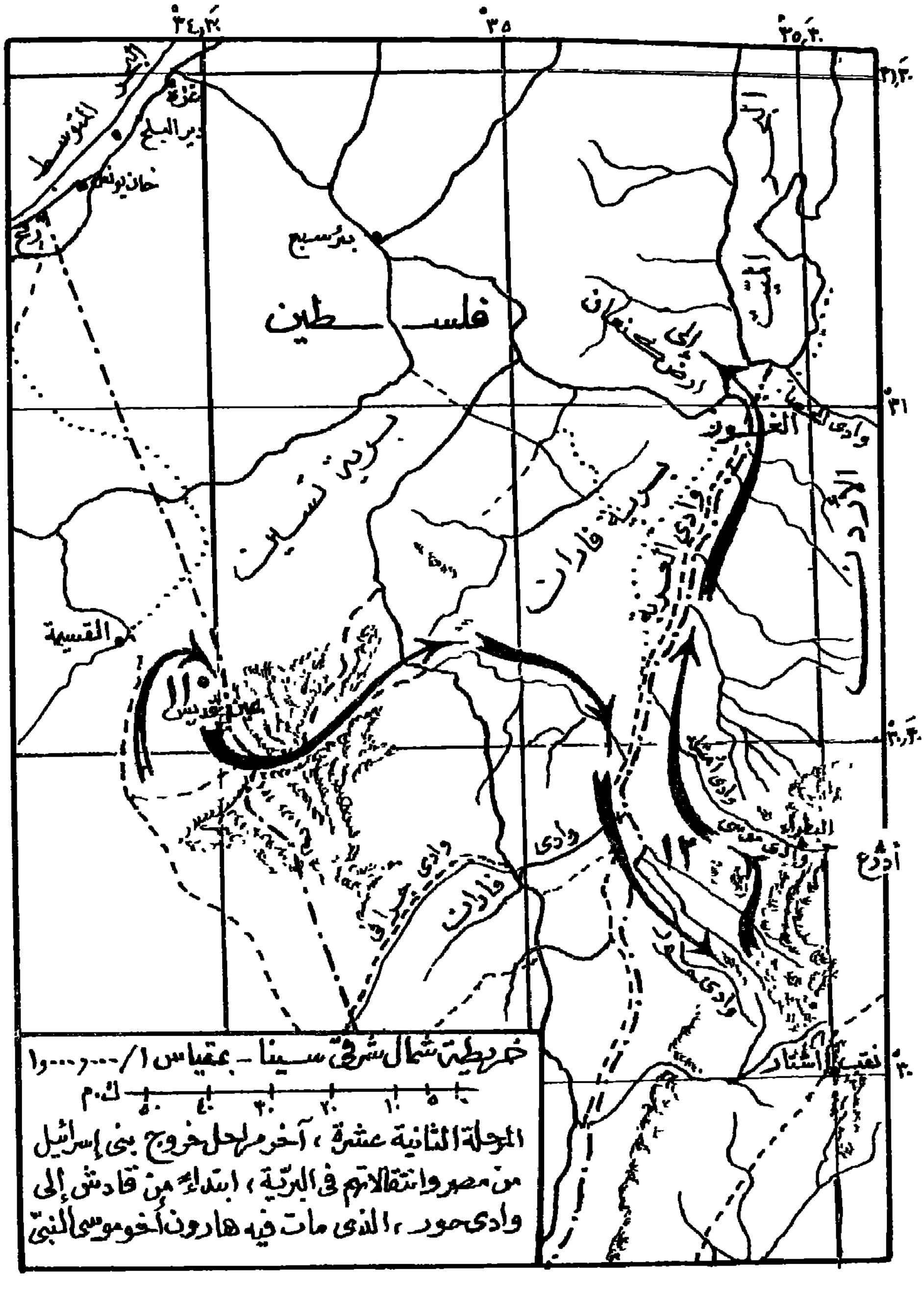
(●●) جبل « هور » · يريد جبل "حور" تجاه وادى حور الى الشرق من وادى العربة ، بين الأردن وفلسطين وهو أحد جبال الشراه التى كانت تعرف فى التوراة باسم جبال سعير ، بفرض أنها على امتداد أرض مديان شرقى خليج العقبة ، وقد مات هارون أخو موسى حوالى سنة ١٤٢٩ ق م قبل وفاة موسى بسنة واحدة

(●●●) "ادوم" نسبة الى الاسم القديم لعيسو بن يعقوب ، وهو أبو الادوميين الذين حكموا جنوبى الأردن ، فى جبال سعير ، وهى جبال الشراه الآن



خريطة شمال سيناء ـ بمقياس ١ / ١٠٠٠٠٠٠

المرحلتان العاشرة والحادية عشرة، من خروج بنى إسرائيل إلى التيه فى سيناء، ابتداء من (حضيروت) إلى برية فاران فى أرض فلسطين، ثم منها إلى عين قديس (قادش).



المرحلة الثانية عشرة : وهى الاخيرة لبنى اسرائيل فى البرية منذ خروجهم من مصر وهى من عين قديس الى جبال حور ثم الى كنعان

الطريق إلى كنعان :

وفى التوراة[٥٩] :

« وأرسل موسى ، من رؤساء بنى إسرائيل ، رسلا من « قادش » اثنى عشر ، واحد من كل سبط ، وقال لهم ، اصعدوا تجسسوا الأرض والشعب والمدن ، والقلاع ، وكل ماترونه فى كنعان ، فصعدوا من برية سين حتى رحوب فى مدخل حماة[٦٠] وظلوا أربعين يوما ، ثم رجعوا الى موسى وقالوا له :

« قد ذهبنا إلى الأرض ، التى أرسلتنا اليها ، وحقا إنها أرض تفيض لبنا وعسلا ، وهذا ثمرها ، وأظهروا له زرجونة ، بها عنقود من العنب ، ثم بعضا من ثمار التين والرمان ، غير أن الساكنين فى الأرض معتزون ومدنهم عظيمة محصنة ، وهناك رأينا بنى عناق[٦١] العماليق الساكنين فى أرض الجنوب ، فكنا فى أعينهم كالجراد ، ورأينا هناك الحيثين واليبوسيين والأموريين الساكنين فى الجبل ، فأما الكنعانيون فإنهم أقرب الى البحر .. »

فتذمر الشعب على موسى وقالوا : لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لكى نسقط بالسيف ، وتبقى نساؤنا وأولادنا ، غنيمة ، أليس من الخير لنا أن نعود الى مصر ؟ وقال بعضهم لبعض ؛ نقيم رئيسا من بيننا ونرجع إلى مصر .

فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل جماعة بنى إسرائيل ، وصاح يشوع بن نون وقال : الأرض جيدة ، وسوف نجد نعمة فى عينى الرب ، ليعطينا إياها أرضا تفيض لبنا وعسلا ، إنما لاتتمردوا على الرب ولاتخافوا من شعب الأرض هناك ، لأنهم خبزنا والرب معنا فلا تخافوهم .

وأرسل موسى رسلا من قادش إلى ملك أدوم[٦٢] ، يقول ؛ دعنا نمر فى أرضك لانميل يمينا ولاشمالا ، فى طريقنا الى كنعان ، فرفض واجتمع

الادوميون للحرب ، فارتحل بنو إسرائيل ليدوروا بأرض أدوم ، فى طريق بحر سوف ، فضاق الشعب وتكلموا على الرب وعلى موسى ، فتسلطت عليهم الأفاعى والحيات ، فقتلت منهم كثيرين ، فطلبوا الى موسى ان يصلى الى الرب ليرفع عنهم هذا البلاء ، واستجاب الرب لموسى ، فصنع لهم حية من نحاس اذا نظر اليها الملدوغ يبرأ .

وحارب بنو إسرائيل الأموريين[٦٣] وطردوهم واستولوا على « حشبون[٦٤] » ، ثم ارتحلوا ارتحالا متواليا الى عربات موآب عبر أردن « أريحا[٦٥] » ونزلوا فى وادى زارد[٦٦] .

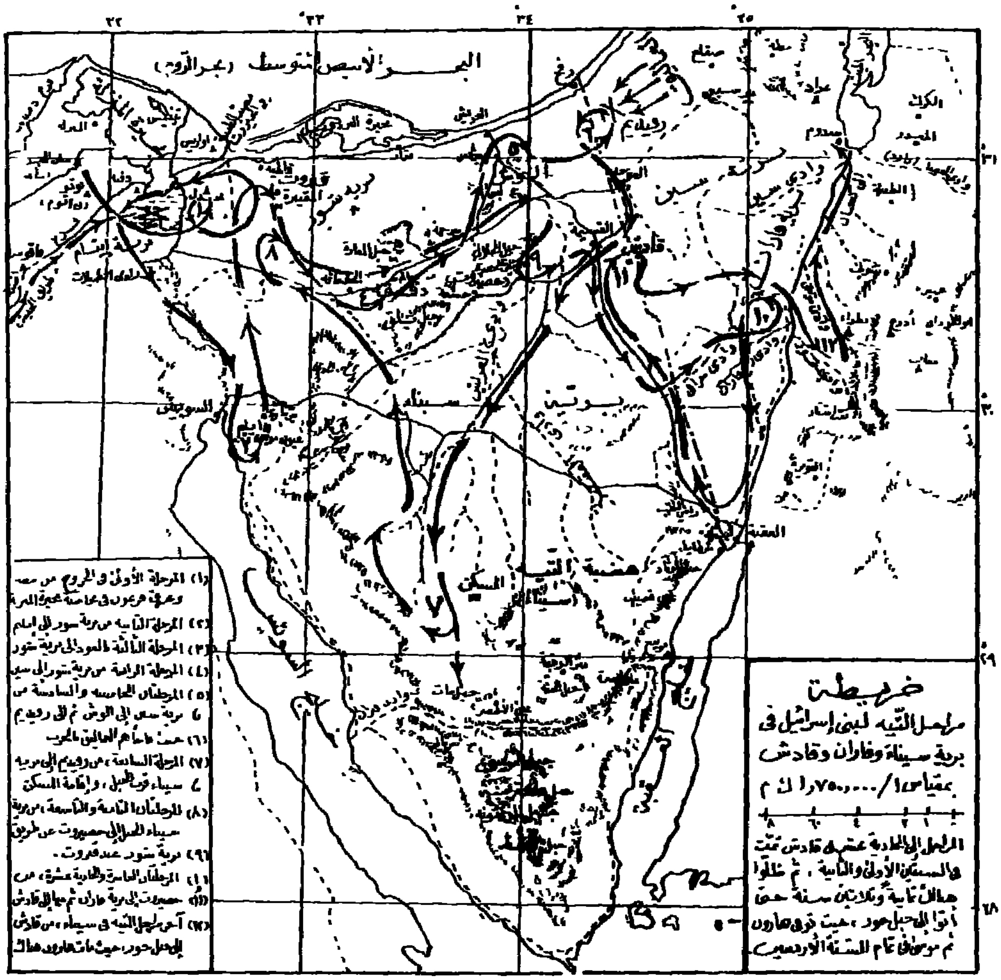
وكلم الرب موسى قائلا : أوصى بنى إسرائيل أنهم داخلون إلى أرض كنعان بتخومها ، وسيتولى قسمة الأرض أليعازار[٦٧] الكاهن ويشوع بن نون ورئيس واحد من كل سبط .

وكانت الأيام التى سار فيها بنو إسرائيل ، منذ نزولهم فى « قادش » إلى أن دخلوا وادى زارد ثمانى وثلاثين سنة ، حتى فنى كل الجيل الأول ، الذى خرج من مصر[٦٨] .

ثم كتب هناك موسى هذه التوراة ، وأوصى بنى إسرائيل أن يتلونها فى عيد المظال ، وكان لما أكمل موسى كتابتها أنه أنشد[٦٩] :

أنصتى أيتها السموات فأتكلم وتسمع الأرض قولى .
يهطل كالمطر تعليمى ، ويقطر كالندى كلامى .
إنى باسم الرب أنادى : أعطوا عظمة لإلهنا .
إله عدل لاجور فيه ، صديق وعادل هو .

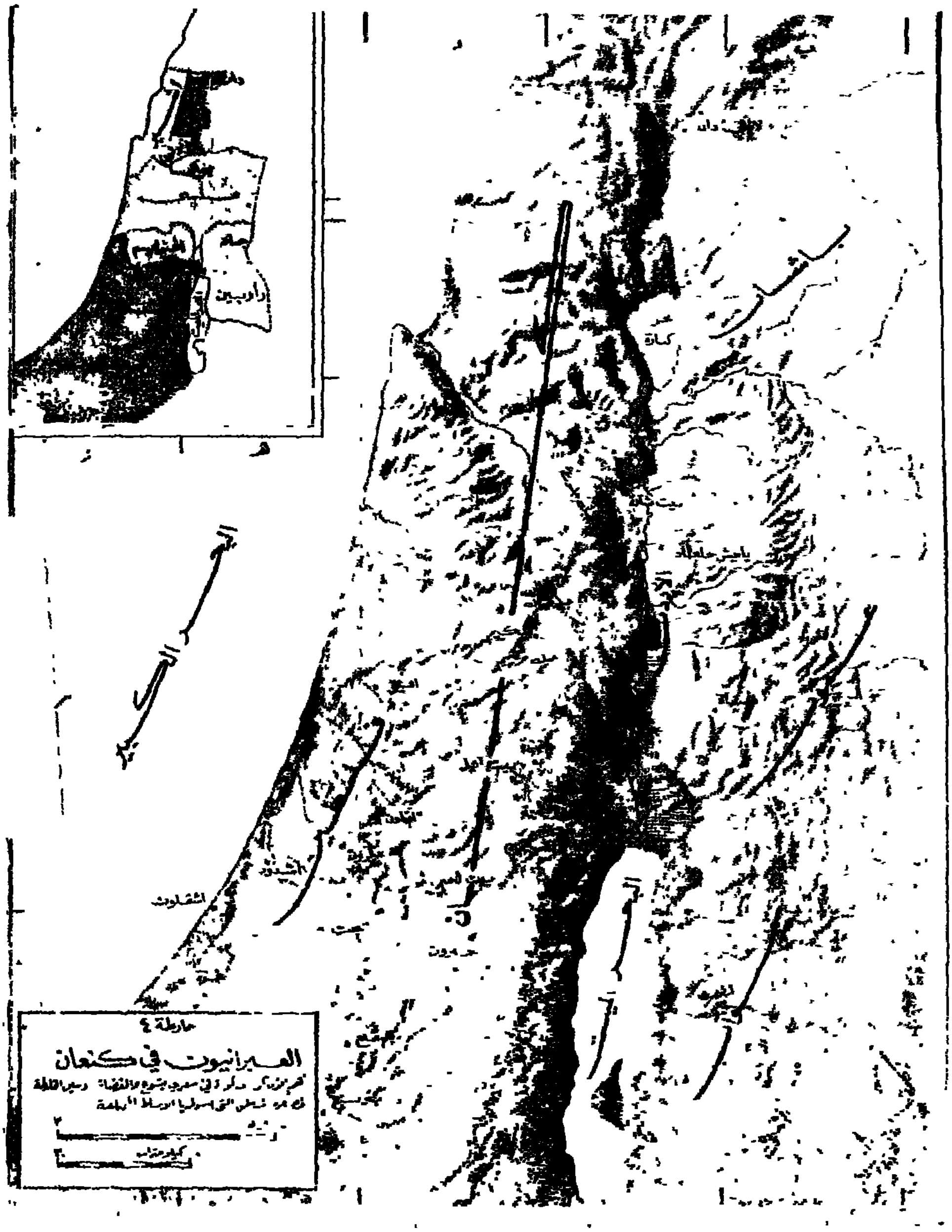
ثم قال الرب لموسى : اصعد الى جبل عباريم[٧٠] فى أرض موآب ، قبالة أريحا ، لأريك الأرض التى وعدت بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض ، ولكنك لاتدخلها الآن ، لأنك تموت فى هذا الجبل ، وتضم الى قومك ، كما مات هارون أخوك فى جبل هور وضم الى قومه .



ومات موسى ، ودفن في الجواء[٧١] ، في أرض موآب ، وكانت له من العمر مائة وعشرون سنة ، ولم تكل عيناه ولاذهبت نضارته ، وبكى عليه بنو إسرائيل ثلاثين يوما .

وكان بعد موت موسى أن يشوع بن نون قد امتلأ حكمة ، بعد أن وضع موسى يديه عليه ، فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى[٧٢] فكان يشوع بن نون أول المدبرين والقضاة لبني إسرائيل ، بعد وفاة موسى ، منذ خروجهم من مصر ، وهو الذي قاد الحرب في كنعان ، حتى

امتلك بنو اسرائيل بالحرب اكثر الأرض هناك ، وقسمها يشوع على الاسباط الاثنى عشر[٧٣] .



وإذا كنا قد أتينا ، فيما تقدم ، على جميع الحوادث الهامة ، التى تتصل برحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج منها إلى أرض كنعان ، بعد أن ظلوا فى التية أربعين سنة فى البرية ، ولما كانت تلك التواريخ العريقة فى القدم مما يلزم أن تكون مستندة إلى المحدث من التأريخات التى

وقعت قبيل الميلاد فى مناسبات معهودة ، وكان هدفنا تصحيح جميع الأزمنة على التحقيق ، ابتداء مما قيل إنه تاريخ آدم الأول ، فرضا أو بالحقيقة إلى سلسلة تواريخ الأسرات الملكية فى مصر الفرعونية ، وما تتخللها من الحوادث ، وأظهرها غزو العمالقة الهكسوس وعلاقة ذلك بدخول بنى إسرائيل أو خروجهم ، بما فى ذلك من اختلاف القول ، فإنا نستكمل ما تقدم بأن نسرد إجمالا أهم الموضوعات التى تتعلق ببنى إسرائيل مما يلى الخروج من مصر حتى عهد الملك سليمان ، ثم نتجاوزه إلى تاريخ السبى البابلى ، ونختم ذلك بالوصول إلى أول التاريخ الميلادى ثم الهجرى ، ونقرن ذلك بالتاريخ العبرى(٧٣) :

التاريخ الميلادى (ق . م)	التاريخ العبرى (عبرية)	الموضوعات الهامة
١٤٦٨	٢٢٩٢	تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر بقيادة موسى النبى .
١٤٢٨	٢٣٣٢	وفاة موسى فى السنة الأربعين من الخروج ، وتولى يشوع بن نون قيادة بنى إسرائيل فى أرض كنعان
١٤٠١	٢٣٥٩	وفاة يشوع بن نون ، وتوليه فينحاس بن اليعازار ابن هارون ، وفى عهده دفنت عظام يوسف فى « شكيم »
١٢٢٩	٢٥٣١	تغلب الفلسطينيين فى بعض المواقع بعد حروب متصلة
١٠١٢	٢٧٤٨	أول حكم الملك داود .
٩٧٢	٢٧٨٨	أول حكم الملك سليمان بن داود . وفى بداية توليه الحكم صاهر الملك (بسوسنس الثانى) فرعون مصر ، وفى السنة نفسها صعد ملك مصر إلى بلده (جازر) فى فلسطين وطرد أهلها عنوة وأعطاها هدية إلى الملك سليمان ، مهرا لإبنته .
٩٦٨	٢٧٩٢	وفى السنة الرابعة من حكمه سنة ٩٦٨ ق . م بدأ الملك سليمان فى بناء بيت المقدس ، فيكون من الخروج إلى بناء البيت خمسمائة سنة ، ومثلها إلى ميلاد إبراهيم الخليل .

٩٥١	٢٨٠٩	وفى السنة الحادية والعشرين ، من حكم الملك سليمان ، جاءت الملكة بلقيس ، ملكة سبأ ، إلى أورشليم بهدايا إلى الملك سليمان .
٩٣٢	٢٨٢٨	ابتداء حكم الملك رحبعام بن سليمان بعد وفاة أبيه ، وفى السنة الخامسة من حكمه صعد (شاشانق الأول) فرعون مصر ، واستولى على خزائن بيت المقدس
٦٠٧	٣١٥٣	قتل (نخاوالثانى) فرعون مصر ، يوشيا بن أمون ، عندما اعترض طريقه فى حرب الأشوريين ـ وذلك فى السنة الثالثة من حكم (نخاوالتانى) وهى الحادية والثلاثين من ملك يوشيا على أورشليم ، ثم أخذ ابنه (يوآحازين يوشيا) أسيرا ، ومات فى مصر
٦٠٥	٣١٥٥	موقعة قرقميش التى هزم فيها الجيش المصرى بقيادة الملك (نخاوالثانى) .
٥٩٧	٣١٦٣	ابتداء حصار الملك (بنوخذ نصر) لبيت المقدس
٥٨٦	٣٢٧٤	أول السبى البابلى الشامل لليهود وخراب أورشليم ، الذى دام سبعين عاما ، حتى أعيد بناء معبد اليهود بأمر قورش العظيم سنة ٥٣٨ ق م وفى « التوراة » أنه فى السنة السابعة من حكم الملك الفارسى (ارتكزركشيس) سنة ٤٥٨ ق م ، أصدر أمرا بعودة اليهود من السبى وبناء بيت المقدس .
٥١٦	٣٢٤٤	نهاية السبى البابلى وإعادة بناء البيت .
١ ميلادية	= ٣٧٦٠	أول التقويم الميلادى

٦٢٢ ميلادية = ٤٣٨٢ هجرية = أول التقويم الهجرى = ١ هـ .

* * *

(١) عن التوراة . سفر الخروج - صح / ١٣ و١٤ (بتصرف) .

(٢) قوله . « ألى طريق فلسطين . .» يعنى به الطريق الساحلى العام ، بازاء البحر المتوسط ، ويبدأ هنالك من القنطرة مارا برمانة إلى العريش ورفح وغزة الى فلسطين .

(٣) قوله « إذا رأى الشعب حربا » يشير إلى احتمال نشوب حرب مع أصحاب الأرض المقيمين فى فلسطين ، بينما الشعب الآن منهك وليست له قوة على الحرب ولا الرغبة فيها

(٤) « بحر سوف » يعنى ، بحر البردى ، وبرية بحر سوف هما الأرض اللينة المغمورة بالماء التى تمتد الى الجنوب والشرق من بحيرة المنزلة ، وكان ينبت فيها شجر الغاب وهو البردى ، ثم ماوالاها من الأرض الرملية

(٥) « سكوت » لفظ عبرى قديم (سوخيت) بمعنى الخيام أو المظلات ، ويراد به الأماكن المعدة بمثابة استراحات مؤقتة على طريق المسافرين والموقع المشار اليه تلك التسمية يقع فى الاكثر بين صان الحجر وبين الصالحية مسيرة يوم أو يومين من صان

(٦) « ايتام » اسم مدينة قديمة فى الآثار المصرية لها عدة تسميات محرفة متشابهة . فهى ايضا (بيتام) أو فيتام ، والاصل المصرى فيها هو (بى اتوم)

أى مدينة الإله « اتوم » والمراد بها احدى مدينى المخازن اللتين بناها الاسرائيليون بالتسخير فى اوائل عهد الملك احمس الأول عقب طرد الهكسوس سنة ١٥٦٨ ق . م .
والذى وجدناه فى الخرائط الطبوغرافية فى تلك البقعة أثر مدينة تدعى « بوتو Buto على قريب من ١٥,٠٠ كيلو مترا جنوبى شرقى صان الحجر ، على الطريق منها الى الصالحية .
فأما الذى قيل فى التوراة عن ان الرب كان يراقبهم نهارا فى عمود من السحاب ، وليلا فى عمود من نار فلم تجد لذلك تفسير افصح مما جاء فى كتاب وصف مصر Desciption de Egpt الترجمة العربية ج٢/٣٥٩ بأن ذلك يعنى المشاعل المضيئة ليلا وأعمدة الدخان نهارا .

(٧) "فم الحيروث" لفظ "الحيروث" هنا جاء كذلك فى التوراة ، ونرى انه محرف عن الاسم المصرى القديم لقلعة أواريس "حات أدوارت Hat Awart" وهى التى بناها الهكسوس عند استيلائهم على مصر سنة ١٧٥٦ ق م
واللفظ بأكمله يعنى مصب فرع النيل الشرقى الذى يكتنف القلعة من الجنوب والشرق فى نهايته عن البحر المتوسط - فالفم - هو المصب الذى يسمى عادة عند "المصريين" اشتوم أنظر خرائط الآثار .

(٨) « مجدل » اسم موضع فى الآثار كان بمثابة نقطة حراسة محصنة على قريب من حوالى ٢٠,٠٠ كيلو مترا جنوبى قلعة « اواريس » وجد على الخرائط القديمة باسم « محدولون » الى الجنوب الغربى من بئر الدويدار ، بما يقرب من ستة كيلومترات ، وعلى طريق فرعى موصل الى الطريق الساحلى العام الى فلسطين - (انظر خرائط وصف مصر - لوحة رقم ١٠)

(٩) « بعل صفون » : لايوجـد اسم (صفون) فى جملة بلاد الوجه البحرى ، ولا بالعربية ولابلغة اخرى ، والاشبه انه يعنى (صوعن Touan) اى مدينة « صان الحجر » التى تعرف فى الاثار باسم (ثانيس Thanis)
وقد ينطق ذلك ايضا بالتحريف · صقعن Savan) والمراد بقوله « أمام بعل صفون »..

به معبد صان اى مدينة صان ، ولما كان إله صان الحجر المعروف عند الهكسوس باسم « سوتخ » وان قلعة أواريس كانت لهم ، والقول هنا يعنى به ان ينزل بنو اسرائيل فى اتجاه (صان) غربا وفى اتجاه قلعة « أواريس » على البحر شمالا ، بينها وبين مجدل .
فأما التسمية القديمة لمدينة صان الحجر فهى بالمصرية القديمة (زوعن) ولها عدة مرادفات متشابهة التحريف

(١٠) انظر كتاب (وصف مصر Deseription De Egypte ـ الترجمة العربية ج/٢ الدراسة التاسعة : « كيف خرج اليهود من مصر » . رغم أن المؤلف (دى بوا ايمية) قد جعل الخروج من عند فم خليج السويس

ونحن متى فرضنا ان هذه النقلة هى أول مراحل خروج بنى اسرائيل ، فان التيه فى البرية استغرق معهم ابتداء سنتين ، حتى جاءوا الى قادش وبرية فاران وجبل حور ، فى اثنتى عشرة مرحلة
ثم ظلوا فى استقرارهم فى قادش حتى بدأوا الدخول الى فلسطين فى السنة الأربعين عندما وصلوا الى وادى الحصا وهو وادى زارد ، شرقى البحر الميت ، وقد ماتت مريم وهارون وموسى فى اواخر تلك المدة هناك .

(١١) سفر الخروج ـ صح /١٥ ، وسفر العدد ـ صح / ٣٣ (بتصرف) .

(١٢) « بحر سوف » : يعنى بحر البردى ، وهو البحر الأبيض المتوسط ، ويراد به هنا منطقة بحيرة المنزلة ومستنقعاتها الى الجنوب والى الشرق منها

(١٣) « برية شور » : هى الجزء الشمالى الغربى من سينا ، المتاخم لشرق الدلتا ، والمحصور بين الطريق الساحلى الى غزة وبين الطريق الصحراوى من الاسماعيلية الى القدس وسوريا

(١٤) قوله · « ثم عبروا البحر » يعنى اجتازوا مخاضة بحيرة المنزلة الى برية ايتام وساروا ثلاثة ايام يبحثون عن الماء
وفى التوراة ـ « سفر العدد صح/٣٣ » قال
« ثم ارتحلوا من أمام الحيروث وعبروا فى وسط الماء الى البرية ، وساروا مسيرة ثلاثة ايام فى برية ايتام ، ونزلوا فى « مارة » .. . »

(١٥) « مارة » . اسم بئر ، تعرف فى الخرائط الطبوغرافية باسم بئر (مر) وهى الى الجنوب من سفح جبل بهذه التسمية ، الى الشمال الشرقى من عيون موسى بمقدار ١١ كيلو مترا

تقريبا ، واما البحيرات المرة فلم تكن اذ ذاك ، ولاتصلح لما قيل فى تحلية الماء .
فأما الشجرة التى قيل إن موسى وضع بعض فروعها فى الماء ، يبدو انها ذات خاصية لتشرب الملوحة اذا شقت اغصانها والقيت فى الماء ، ثم اجرى سحبه تباعا ليبقى من الماء أقله ملوحه ـ (انظر تفسير ذلك فى كتاب « وصف مصر » ج/٢ ص/٣٥٤ ـ الترجمة العربية عن تاريخ يوسيفوس اليهودى) .

(١٦) « ايليم » . هى منطقة عيون موسى ، وهى فى الجنوب الغربى من بئر مارة ، على خليج السويس ، وقد كانت قديما عدة عيون ماء على قمم الروابى الرملية يحيط بها نخيل ولم يبق منها الان غير آثارها

انظر . الدراسة الثالثة ، فى كتاب « وصف مصر » ج٢/ص ٨١ الترجمة العربية ، عن عيون موسى

(١٧) « التوراة » سفر الخروج ـ صح ١٦/ ، وسفر العدد ـ صح ٣٣

(١٨) قوله « وأتوا الى بحر سوف . » يعنى انهم عادوا الى موضعهم الأول عند بحر سوف ، وهو البحر الأبيض المتوسط فى المكان القريب من (الفرما Pelusium) بينها وبين بئر قاطية شرقى بحيرة المنزلة .

(١٩) « برية سين » هى الأرض الرملية المحصورة بين طريق شور الى فلسطين ، وبين برية سينا التى فى سفح هضبة التيه .

والتوراة يسمى هذه برية « سين » بفرض انها امتداد لتلك التى فى جنوب فلسطين وان كليهما امتداد طبيعى لبرية سيناء .

(٢٠) قوله « من السماء خبزاً » يراد به المن وهو ذرات من الندى المتشبع بطعم محلى كالعسل ، وقيل انه يخرج لزجاً من شجيرات كانت وفيرة فى سيناء اذا ذاك ، وكانت تذورها الرياح فتساقط من السماء

(٢١) « السلوى » يبدو انها صنف من الطيور المهاجرة التى ارهقها السفر الطويل فتلجأ الى السهل القريب من شاطىء البحر وقد يكون هذا « طير السمان » الذى يأتى الى مصر فى الربيع هروبا من البلاد الباردة فى شمال أوروبا .

(٢٢) سفر الخروج ـ صح / ١٧ وانظر : سفر العدد صح / ٣٣

(٢٣) « دفقة » ربما كان اسم بئر فى الطريق الى وادى ألوش قرب الجعجافة .

(٢٤) « ألوش » . يعنى وادى العريش ، شمالى جبال الخرم ، التى تسمى فى الخرائط القديمة ، جبال الوس .

(٢٥) « رفيديم » . يبدو انه سهل « رفح » عند بلدة (أبو عريقيلة) الى الشرق عند الحدود

المصرية ، وفيها هاجم العمالقة الذين كانوا يقطنون جنوبى فلسطين بعد طردهم من مصر ، بنى إسرائيل فى التيه عندما وصلوا الى هذه البقعة .

(٢٦) « حوريب » . تسمية تطلق فى التوراة على جبل سيناء ، فى الجنوب ، غير أنه فى هذه المنطقة التى يحتويها وادى العريش ، ربما كان احد الجبال القريبة ، واشهر هذه جبل حلال ، وفيه بئر الحضرة

(٢٧) « مسة ومريبه» . تعبير باللغة العبرية ، جاء فى التوراة بمعنى الحقيقة بالتجربة مع المخاصمة

(٢٨) « العماليق » البدو من عرب فلسطين ، وهم فلول الرعاة الذين هاجموا مصر فى حرب الهكسوس ، وكان بعضهم يقيم فى مصر قريبا شرقى الدلتا وشمالها ، والبعض يقطن جنوبى فلسطين ، ولذلك اكتنفوا بنى إسرائيل من الجانبين وضربوهم بعنف

(٢٩) « يشوع » : هو يشوع بن نون ، خادم موسى ، وهو الذى قاد بنى إسرائيل من بعده ، فى ارض كنعان ، بعد أن أجتازوا جنوبى فسلطين

(٣٠) « حور » أحد مشايخ بنى إسرائيل ، من سبط يهوذا .

(٣١) « التوراة » سفر الخروج ـ صح/ ١٨ .

(٣٢) « حوريب » هنا يريد به جبل سينا ، الذى يعرف باسم جبل موسى ، أو هو جبل ديركاترينه

(٣٣) التوراة . أصحاح ١٩/ بتصرف للايجاز .

(٣٤) « وصاياه » . يعنى وصايا الرب العشر ، ومايتبعها من الفرائض التى أوحى بها الى موسى فكتبها فى لوحين .

فأما الوصايا العشر ، فهى :

١ ـ لايكن لك آلهة أخرى أمامى

٢ ـ لاتصنع لك تمثالا منحوتا لتعبده ، ولاصورة ما فى السماء أو فى الأرض

٣ ـ لاتنطق باسم الرب الهك باطلا

٤ ـ اذكر يوم السبت لتقدسه

٥ ـ اكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض

٦ ـ لاتقتل

٧ ـ لاتزن .

٨ ـ لاتسرق .

٩ ـ لاتشهد على قريبك شهادة زور .

١٠ ـ لاتشته بيت قريبك ، ولاتشته امرأته ، ولاعبده ولاأمته ولاشيئا مما هو لقريبك .

(٣٥) « الأحكام » . يعنى الشرائع والفرائض والقوانين الوضعية التى تتبع انحاء الوصايا ، وهى كثيرة مفصلة فى موضعها من « التوراة » .

(٣٦) « آلهة مصنوعة » : يعنى التماثيل المصورة ، من مادة صلبة ، كالذهب والفضة والحجر والخشب ، وغير ذلك من المسبوكات .

وفى « التوراة » : أن موسى لما نزل من الجبل وجد أن هارون أخاه قد سبك لهم الذهب عجلا يعبدونه ، فغضب حتى رمى بلوحى الشهادة من يده فكسرهما ، فقال هارون . لاتغضب ، رأيت الشعب فى شر ، يقولون · موسى الذى أصعدنا من مصر قد أبطأ فى الجبل ولانعلم ماذا أصابه ، فاصنع لنا الها يسير أمامنا ، فصنعت لهم إلها على هيئة العجل ، فقال موسى خطيئة عظيمة أمام الرب ، وعاد مرة أخرى الى الجبل وناجى ربه أن يهدى الشعب فغفر لهم ، وكتبْ موسى لوحين على مثال اللوحين اللذين كسرا - (أنظر سفر الخروج - صح/٣٢ .

(٣٧) « الأنصاب » جمع « نصب » وهى التماثيل والقوائم والأعمدة منْ الحجر التى ينصبونها مرفوعة تمثل الآلهة

فأما السوارى ، فهى جمع (سارية)، وهى كالانصاب ، تصنع من الخشب على قوائم ، ويجعل فى أعلاها رمز يشير عادة الى الكواكب التى يتعبدون لها ، فإذا قيل « سارية عشتاروت » فهى تعنى كوكب الزهرة

(٣٨) « بحر سوف » هو البحر المتوسط عند بحيرة المنزلة ، بما يلحقه من الخلجان الداخلة فيها ، والمعنى انه بحر البردى ، لكثرة ماكان يوجد من البردى فى شمال الدلتا وخاصة عند اطراف البحيرات والمستنقعات .

وليس صحيحا ان يخلط بين هذا وبين بحر « أزوف » الذى قد يراد به غالبا البحر الأسود .

(٣٩) « بحر فلسطين » هو البحر الميت المسمى قديما « بحر لوط » نسبة الى « لوط » بن هاران اخى ابراهيم

(٤٠) قوله · « من البرية الى النهر » يعنى من برية سين ، وهى التى فى جنوب فلسطين ، وشمال سيناء ، إلى نهر الأردن شمالا عند بحيرة طبرية .

(٤١) « المسكن » يعنى بيت الرب للعبادة ، وهو المقدس ، ويبدو انه اقيم فى هضبة التيه ، فأما الهيئة المعمارية والطول والعرض ، وكذا النقوش والستائر وغير ذلك ، فجميع ذلك مفصل فى موضعه ، من « التوراة » - سفر الخروج .

ويمكن الرجوع الى (تفسير سفر الخروج للأرشيدياكون نجيب جرجس) - وفيه بعض الرسوم التى تمثل ذلك - (طبع القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

ومن الجائز ان الأصل فى هيئة المسكن أخذ مما كان موجودا بالرسوم المصرية القديمة فى « سرابيط الخادم » فى سيناء .

(٤٢) « التوشيات » . النقوش والزخارف التى تتبع الأشياء المصوغة ، والتى فيها فضل صنعة .

(٤٣) « التابوت » · الصندوق كان يجعل فيه كتاب الوصايا العشر ، رمزا لبنى اسرائيل عن العهد الذى اعطاه لهم الرب ، بحسب اعتقادهم

(٤٤) « التوراة » ـ سفر العدد ـ صح/ ٣ و٤ .

(٤٥) « المحلة » . الموضع الذى كانوا يحلون فيه ، كل سبط برايته للتمييز ، وموضع المسكن هنا ، فى برية سيناء على اطراف هضبة التيه

(٤٦) وهذا العدد سبق الاشارة الى انه لايستقيم مع المدة التى قضاها بنو اسرائيل فى مصر ، على قياس اقصى المعدلات المعهودة للمواليد والوفيات ، ويبدو أن العدد (٦٣٥٥) رجلا فقط .

(٤٧) ، (٤٨) انظر سفر العدد صح/ ١٠ و١١ والأشبه أن العدد الصحيح هنا اقرب الى (٢٧٣ رجلا) بفرض أن لاوى هو احد أولاد يعقوب

(٤٩) سفر العدد ـ أصحاح ١١ و١٢ (باختصار) :

(٥٠) « قبروت هتاوه» لفظ عبرى يعنى قبور أهل الشهوة ، ويبدو ان كان بجوار البئر المسماة « بير المقيبرة » الى الجنوب من بير قاطية عند ساحل البحر المتوسط .

(٥١) « حضيروت » · والأشبه انها بئر الحضرة ، فى الجنوب من جبل الحلال ، عند وادى العريش فى سينا .

وهذه المرحلة من برية سيناء بجوار الجبل الى حضيروت انما كانت عن طريق بير المقيبره ، حيث مات كثيرون بسبب التخمة مما أكلوه من السلوى فى المحلة بجوار البحر ، ثم بعد ذلك استمروا فى طريقهم الى « حضيروت » .

(٥٢) المرأة الكوشية يعنى بها زوجة موسى صفورة الكوشية بنت كاهن مديان .

(٥٣) « التوراة » ـ سفر العدد اصحاح ١٢)

(٥٤) « برية فاران » تسمى ايضا (باران) نسبة الى وادى باران فى جنوبى فلسطين ، الى الغرب من وادى العربة ، الذى يصل البحر الميت بمدينة العقبة وهى ايضا فى اتجاه وادى حور من الجانب الاخر

(٥٥) (التوراة ـ سفر العدد اصحاح ٢٠) .

(٥٦) قوله « ... فى الشهر الأول » . يعنى فى الشهر الأول من السنة الثانية منذ خروج بنى

اسرائيل من مصر ، وبرية (صين) هى امتداد برية (سين) شمالا وشرقا عند الحدود المصرية

(٥٧) « قادش » يعنى بها عين قديس ، ويسميها التوراة ايضا عين مشفاط ، كما فى سفر التكوين اصحاح / ١٤ وتارة باسم (قادش برنيع)
وهى كما فى الخرائط الحديثة باسم (عين قديس) وتقع جنوبى شرقى القسيمة وعين قديران داخل الحدود المصرية فى شمال شرقى سيناء ، وقد ظلوا هناك الى ان ابتدأوا الدخول الى كنعان فى السنة الأربعين من الخروج ، عندما وصلوا الى وادى زارد

وفى التوراة ـ سفر العدد ـ اصحاح ٣٣ يفصل ذلك بدلا له اسماء مواقع لم نجد لاكثرها اثرا فى الخرائط القديمة خاصة منطقة سينا ، وهى على الوجه التالى
" وارتحلوا من حضيروت ونزلوا فى رثمة ، ثم ارتحلوا من رثمة ونزلوا فى رمون فارص ، ثم ارتحلوا منها ونزلوا فى لبنة ، ثم ارتحلوا من لبنة ونزلوا فى رسة ، ثم ارتحلوا من رسة فنزلوا فى قهيلا ، ثم ارتحلوا منها ونزلوا فى جبل شافر ، ثم ارتحلوا من جبل شافر ونزلوا فى مرادة ، ثم ارتحلوا من مرادة ونزلوا فى مقهيلوت ، ثم ارتحلوا من مقهيلوت ونزلوا فى تاحت ، ثم ارتحلوا منها الى تارح ، ارتحلوا من تارح ونزلوا فى مثقة ، ثم ارتحلوا من من مثقة ونزلوا فى حشموة ، ثم ارتحلوا من حشموبة ونزلوا فى مسيروت ، ثم ارتحلوا منها ونزلوا فى بطبات ، ثم ارتحلوا من بطبات ونزلوا فى عبرونه ثم ارتحلوا من عبرونة ونزلوا فى عيون جابر ثم ارتحلوا منها ونزلوا فى برية حيين ، وهى قادش . ."
ومن هذه الاخيرة ، فاما بطبات ، فهى "بطافتاة" فى وادى العرب الى قريب من خليج العقبة ـ واما عصيون جابر ، فالاشبه انها "ايلات" عند العقبة .
(٥٨) توا وماتت هناك مريم ودفنت هناك ـ يعنى انها توفيت فى الوقت الذى اقام فيه بنو اسرائيل على حدود جنوبى فلسطين فى برية صين التى بها بئر قادش وذلك قبل ان يدخلوا كنعان عن طريق وادى خوار .
ويشبه ان مريم اخت هارون توفيت سنة ١٩٣٦ ق . م ، فى نهاية السنة الثالثة والثلاثين من بدء الخروج من مصر ، وكان لها من العمر ١١٩ تقريبا

(٥٩) انظر · سفر العدد ـ صح / ١٣ و١٤

(٦٠) « حماة » مدينة قديمة تقع فى أرض سوريا ، الى الشمال من حمص

(٦١) « بنو عناق » من العماليق ، وهم البدو الرحل ، كان بعضهم فى سوريا ، وبعضهم فى جنوبى فلسطين

(٦٢) « ملك أدوم » من أولاد عيسو بن إسحاق ، وهم الذين كانوا يقطنون الى الشرق من وادى العربة ، من بحر لوط الى خليج العقبة ، وهى تتبع الأردن الآن .

(٦٣) « الأموريون » بطن من كنعان كانوا يقطنون شرقى نهر الأردن ، وجنوب شرقى فلسطين

(٦٤) « حشبون » . عاصمة الأموريين قديما ، وتقع الى الشرق من نهاية البحر الميت جنوبى غرب عمان

(٦٥) « أريحا » · تقع الى الشمال الشرقى من مدينة القدس ، فى فلسطين .

(٦٦) « وادى زارد » : يبدو أنه المعروف الآن على الخرائط باسم « وادى الحصا » شرقى البحر الميت تجاه مدينة سدوم

(٦٧) « اليعازار الكاهن » هو ابن هارون أخى موسى

(٦٨) انظر التوراة ـ سفر التثنيه صح / ٢ قال
« .. والأيام التى سرنا فيها من قادش برنيع حتى فنى كل الجيل ، رجال الحرب ، من وسط المحلة ، كما اقسم الرب لهم ، ويد الرب كانت عليهم لابادتهم من وسط المحلة حتى فنوا »

(٦٩) « جبل عباريم » فى جملة التلال الممتدة شرقى البحر الميت من وادى ارنون الى وادى ابو عربة شمالا ـ وأعلى قمة فيها بارتفاع ٨٠٦ مترا انظر خريطة فلسطين .

(٧٠) « الجواء » الفضاء حول الجبل ، وفى التوراة ان موسى دفن فى سفح جبل « نبو » ويبدو أنه القمة العليا فى تلك السلسلة المؤشر امامها فى الخرائط الطبوجغرافية بارتفاع ٨٠٦ مترا ، قريبا من (حشبون) فى إتجاه أريحا من الجانب الاخر غربى نهر الأردن

(٧١) قوله : « كما اوصى الرب موسى ».. يعنى أن الرب اوصى موسى أن يتولى « يشوع بن نون من بعده ، تدبير امر بنى اسرائيل لاستكمال استلائهم على أرض كنعان

(٧٢) وهذه القسمة ليست واضحة تماما فى سياق القول فى التوراة ، ونكتفى من ذلك بما جاء فى اطلس الكتاب المقدس للاستاذ هـ هـ . روبى ، ولسنا من هذا التقسيم على ثقة تماما (انظر الخريطة المرفقة) .

(٧٣) وقد كان من المستطاع أن نتوسع فى ذلك فنذكر أسماء وتواريخ القضاة ومدبرى بنى إسرائيل ، والحروب التى خاضوها فى كنعان ، غير أنا وجدنا فى ذلك فضلا يخرج بنا عما قصدناه فى موضوع رحلة بنى إسرائيل إلى مصر والخروج ، وأن هنالك مراجع كثيرة فى ذلك ، أشهرها تاريخ يوسيفوس اليهودى ، وتاريخ ابن العبرى ، ثم هى بالتفصيل فى التوراة

أقاويل المؤرخين فى الخروج

رغم أن كل ما قيل قبلا فى قصة بنى اسرائيل كان يدور حول موضوع الخروج وتاريخه فقد اختلف المؤرخون فى أمر خروج بنى اسرائيل من مصر الفرعونية ، فى عدة مواضع :

١ ـ تاريخ الخروج ، وأكثر ذلك عند بعضهم ، أن بنى إسرائيل خرجوا من مصر فى عهد الملك (مرنبتاح ١٢٢٢/١٢١٠) ق . م ، فى الأسرة التاسعة عشرة

٢ ـ أن موضع الخروج كان عن طريق خليج السويس ، بالبحر الأحمر ، وأن موسى شق الماء بعصاه فمروا على اليابسة ، ثم أطبقت المياه على جيش فرعون الذى كان يتعقبهم .

٣ ـ يخلط البعض بين بنى إسرائيل وبين البدو ، بوصف أن كليهما جميعا من الرعاة ، وعلى هذا الرأى فهم جزء من جيش الهكسوس ، أو أن بينهما صلة ما ، عند آخرين .

وهنالك زيادات كثيرة واستنتاجات لها فى تضاعيف تلك الأقاويل يمكن أن تبين من خلال تلخيصا لها

ولعل الذى دعا إلى اختلاف الرأى عند المؤرخين وعلماء المصريات[١] عند تنسيق النظر فى رحلة بنى إسرائيل إلى مصر والخروج ، هو الاعتماد على التواريخ المكتوبة فى هامش النسخ المطبوعة من التوراة ، والواقع أن هذه ، فضلا عن أنها تواريخ تقريبية ، فإن وحداتها أو مفرداتها ، ومجموعاتها ، إنما تخضع فى ترتيبها للتقويم العربى بالسنين القمرية ، وخاصة فيما قبل الخروج .

وفى التوراة ·

أن بنى إسرائيل مكثوا فى مصر أربعة قرون وثلاثين سنة ، فأما الذى تيقنا منه بالحساب ، فهو أنهم قضوا فى مصر مائتى وعشر سنين .

وفى التوراة أيضا .

أن من خروج بنى إسرائيل من مصر إلى تاريخ بناء المعبد فى أورشليم ، فى السنة الرابعة من حكم الملك سليمان ، أربعمائة وثمانين سنة ، والذى اتضح لنا أن هذه المدة خمسمائة سنة .

ومع ذلك ، ورغم الفائدة العلمية فى بعض ما قيل ، فإن الموضوع فى ذاته ، يبدو ناقصا أو يكتنفه الغموض والشك ، ونحن هنا نحاول أن نجعل القول مستقصى من جميع جوانبه ، فنتخير مما قالوه فى ذلك أقدمه وأحدثه .

***

(١)

فأما أقدم ما قيل ، فى رحلة بنى إسرائيل ، فهو ما جاء فى كتاب (وصف مصر[٢] .. Deseription de Legypt) .

ومضمون ما ذكره المؤلف فى هذا الكتاب يعطى القارىء انطباعا فى عدم قبوله لجميع المعجزات التى ذكرتها التوراة فى خروج بنى إسرائيل تحت قيادة موسى ، وفى ملاحظات له فى اعتقادات بنى إسرائيل وتعلقهم بالخرافات الدينية ، مما سهل على النبى موسى قيادتهم والخروج بهم ، ثم تركهم فى البرارى والهضاب أربعين سنة ، كى يضمن نفاذ هذا الجيل المتمرد الضعيف ، وينشأ بعده جيل يمكن أن يصلح للحرب فى كنعان ، فكان أن أدارهم عن الطريق المعهود إلى فلسطين وجنح بهم إلى هضبة التيه فى سيناء ، ثم أخذ يكلمهم عن لسان الرب ، الذى هو ، قبل كل شىء ، رب إسرائيل ، ويكتب لهم الوصايا والشرائع والأحكام ، التى أفادتهم كثيرا بعد أن وصلوا إلى أرض كنعان .

والمؤلف لم يذكر فى سياق القول تاريخ الخروج على التحديد ، ولا كيف دخل بنو إسرائيل إلى مصر ، بل إنما ابتدأ بالكلام عن إبراهيم الخليل ، ثم خلص منه إلى تنبيه الناظر فى ذلك أنه يلزمه أن يتقبل الفكرة التى تقول .

إن العبـرانيين كانـوا لايزالـون يقطنون فى مصـر إلى عهـد (سيزوستريس)[٣] ، فرعون مصر ، وأن ابنه (مربتاح)[٤] ، هو الذى أخرجهم بعد أن اشتركوا مع الرعاة المهاجمين لمصر فى زمانه .

ثم أدخل فى الموضوع قصة خروج الهكسوس عن « مانيتون Maniton » المؤرخ المصرى ، بتصرف آخر ، يبدو أنه نقله عن « يوسيفوس Josephus » اليهودى . قال فيها

« .. إن « آحموسيس »[٥] حاصر الهكسوس فى « آفاريس » ، حيث احتموا فى قلعتهم هناك ، وعندما لم يتمكن من الاستيلاء عليها بعد حصارها ، وافق على أن تخرج الحامية من أرض مصر مع كل ما تمتلكه ، فكان أن عبر الرعاة صحراء سوريا ، ولما كانوا يخشون بأس الآشوريين فقد استقروا فى جبال الجودية[٦] ، حيث أسسوا هناك مدينة « أورشليم »[٧] ، وقد تبعثروا هناك فى كل البلدان ، وإلى هنا ينتهى عهد ملوك الرعاة ، أو (الهكسوس) ، فى مصر . بعد ان أذلوا عرش الفراعنة خمسة قرون[٨] . . »

قال

« وأما العبرانيون الذين وجدوا قبل ذلك مأوى وحماية من ملوك الرعاة ، بسبب أصلهم المشترك وتطابق عاداتهم وتقاليدهم مع عادات الرعاة العرب ، فقد واصلوا الإقامة فى مصر وجرت عليهم أقدار المهرومين» وانسحب عليهم ما كان يكنه المصريون من أحقاد نحو أولئك ، وقد أخذ الوطنيون يشيرون إليهم صراحة باسم الأنجاس والمجذومين[٩] .

وقد ظل هؤلاء الأنجاس ، وهى صفة كانوا يلحقونها بالرعاة عامة ، بما فى ذلك الرعاة المصريون ، الذين كانوا يمارسون عادات الهكسوس ، يتمتعون فى مصر مع ذلك بقدر محدود من الحرية ، حتى عصر « أمنوفيس » والد (سيزوستريس)[١] التسهير . .. »

قال :

« وقد آمن « أمنوفيس » ، يدفعه فى ذلك الكهنة ، أنه سوف يتقرب إلى الآلهة أكثر ، إذا هو اضطهد الرعاة الأجانب ، والمصريين التابعين لهم فى عقيدتهم وعاداتهم ، فجمع عددا كبيرا منهم لتسخيرهم فى البناء وقطع الأحجار من جبل المقطم ، وفى مختلف الأعمال الشاقة

ثم عاد « آمنوفيس » ، بعد أن تراءت له بعض المخاوف الأسطورية والمتطيرة ، فسمح لهم بالاقامة فى أرض « جاسان »[١١] ، فاختاروا من بينهم رئيسا لهم ، واحدا من الكهنة كان قد نفى معهم ، بسبب آرائه الدينية دون شك ، يدعى (أوزرسيف)[١٢] ، ولحق به كهنة آخرون كانوا يشاطرونه معتقداته ، وقد أعطى (أوزرسيف) ، هذه الألوف من المنشقين المصريين ومن القوم الرعاة ، ديانة خاصة ، كانت بالضرورة خليطا من ديانتى هذين الشعبين ، وأمر هؤلاء ألا يتصاهروا إلا فيما بينهم ، ولكى يحول دون أى صلح بين هؤلاء وبين المصريين ، أباح لهم أن يأكلوا لحوم حيوانات تعد مقدسة عند المصريين ، وأوعز لهم بهدم أو تشويه تماثيل الآلهة المصرية .. . . . »

قال

« وقد كانت النتيجة للاضطهادات الدينية والحروب والثورات أن عددا كبيرا من العائلات أخذت تبحث لأنفسها ، ومعها آلهتها ، عن وطن جديد[١٣] ، ويبدو أن هذا الوقت هو الفترة التى يحتمل فيها أن مستعمرات عديدة نشأت خلالها فى بلاد الإغريق ، فإن رأى البعض أن هذه الديانة ليست هى تماما الديانة المصرية القديمة ، فإنا نضطر هنا إلى الظن بأن مؤسسيها كانوا من هؤلاء الرعاة القدماء الذين لم يعتنقوا جميعا معتقدات (أوزرسيف) ، بل كانت لهم بالضرورة ، فى عاداتهم ، أوجه شبه مع الفينيقيين والمصريين ، وإذا لم يكن كتاب (آريوس)[١٤] ، ملك لاسيديمونيا ، إلى (أويناس) ، كبير أحبار اليهود ، مزيفا ، فإنه يأتى كى يدعم هذا الرأى ، الذى يعطى العبرانيين وبعض أمم الإغريق أصلا مشتركا .. .. » .

قال

« وأخيرا ، فإن علينا أن نجعل مولد موسى[١٥] يتم فى عهد (آمينوفيس) ، هذا ، وأن نضع فيه أول الاضطهادات التى لحقت بالعبرانيين ، كما تشير إليها التوراة[١٦] .. ... »

ثم قال

« وقد دفع الخوف من سطوة فرعون ، وكذلك الرغبة فى الانتقام ، (أوزرسيف) إلى أن يطلب من رعاة الجودية ، فى أورشليم ، كى يلحقوا به ليزحفوا معا لفتح مصر . وذكرهم فى طلبه بأنهم كانوا من قبل سادة هذه

البلدان التربة ، وأنه قد لحقتهم فيها إهانات ينبغى الاقتصاص لها ، فهرع آهالى أورشليم إلى « آفاريس » استجابة لنداء إخوتهم ، وحملوا على مصر ، ويقول (مانيتون Maniton) فى ذلك[١٧]

إنه لم يكن ثمة ضرب من صنوف القسوة لم يرتكبوه فلم يكتفوا بإحراق المدن والقرى وتحطيم تماثيل الآلهة ، بل إنما قتلوا الحيوانات المقدسة وأرغموا الكهنة المصريين والعرافين بأن يكونوا هم ذابحيها ، ثم أطلقوهم بعد ذلك عراة كما ولدتهم أمهاتهم

وانسحب (أمنوفيس)[١٨] إلى ما وراء الشلالات على حدود مملكته ، وثبت هناك بدعم من الأثيوبيين ، مدة ثلاثة عشر عاما يناوىء الرعاة ، ثم فى نهاية هذه المدة زحف عليهم بقوات كبيرة ونزل إلى مصر السفلى وهزم (آوزرسيف) وطارد جيش الرعاة ودفع به إلى سوريا ... . »

وقال أيضا :

« وإذا صدقنا رواية (مانيتون)[١٩] ، فلابد آن يكون (آوزرسيف) هو موسى نفسه ، ولابد أن يعترف المرء آن التشابه شديد بينهما[٢٠] ، بل قد يمكن الافتراض بآن الجودية[٢١] تم غزوها من قبائل أخرى ، فى الوقت الذى كان فيه سكانها يخربون مصر ، وذلك كى نفسر إقامة الاسرائيليين فى التيه[٢٢] بالصحراء مدة طويلة ، وكذا الحروب التى كان عليهم آن يخوضوها لكى يعودوا إلى سوريا ، بعد أن تم طردهم من أرض « جاسان »

ومع دلك ، إذا ما قبلنا ، فيما يختص بالوقائع الأساسية ، آن يكون هذا الرآى محددا للإطار العام الذى جاء فى آسفار موسى الخمسة[٢٣] ، فإنه ينبغى القول أيضا ، أن جانبا من الأحداث الكثيرة فى قصة موسى لابد من آن نلقى به جنبا مع الأساطير ، ويكون من السهل آن نلائم بشكل أفضل بين ما جاء فى كتب العبرانيين وبين ماجاءت به الكتب الدنيوية ، وهكذا نستطيع ، على سبيل المثال ، القول بأن جزءا من الرعاة الذين هرمهم (آمنوفيس)[٢٤] قد ظلوا أسرى فى مصر ، حيث فرضت عليهم أقصى درجات العبودية ، وآن الاسرائيليين قد تلفتوا فإذا هم ضمن الأسرى ، فلنتقبل آيضا الفكرة القائلة بآن العبرانيين كانوا لايزالون يقطنون مصر إلى آن اعتلى (سيزوستريس)[٢٥] العرش ، وقد خلفه ابنه الدى يسميه هيرودوت (فيرون)[٢٦] ، بينما يسميه

ديودور الصقلى . (سيزوستريس الثانى)[21] ، ولكن ، لم يرث الابن لا فضائل ولا مواهب ابيه . ويصوره التاريخ ملكا ضعيفا متطيرا يؤمن بالخرافات . ونحن من جانبنا نعتقد أنه فى عهد هذا الأمير تمت عملية هروب العبرانيين إلى الصحراء »

وإلى هنا استقر رأى المؤلف « دى موالميه » ، كما جاء فى كتاب (وصف مصر Dbesiption de Eegypte) ، الذى وضعته البعثة العلمية المرافقة للحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ ق م .

ويتبين مما قاله أنه استقى هذا الرأى عما ذكره المؤرخ اليهودى (يوسيفوس Josephus » فى محاولته بأن يجعل خروج بنى إسرائيل مع الهكسوس

ولذلك ، لم يفرق المؤلف الفرنسى بين دخول الهكسوس الغزاة بالحرب وبين دخول بنى إسرائيل كجماعة قدمت إلى مصر على سبيل الاغتراب ، بعد أولئك بما يقرب من ثمانين سنة

وبالتالى لم يفرق بين خروج كل منهما ، فقد خرج الهكسوس بالحرب والطرد ، وخرج بنو إسرائيل بالهروب بعد ذلك بمائة سنة تامة

وكذلك خلط بين بنى إسرائيل الذين خرجوا فى آخر حكم الملكة (حتشبسوت) سنة ١٤٦٨ ق م ، وبين الحملة التى قادها الملك (مرنبتاح) سنة ١٢١٨ ق . م ، لطرد جماعات المهاجرين إلى مصر بعائلاتهم من جزر البحر المتوسط بقيادة ملك ليبيا ، من الجهة الغربية ، عن طريق سهول أبيس ، وبين هذه وتلك مائتان وخمسون سنة تماما

ورغم ذلك ، فإن المؤلف لم يذكر تاريخا واحدا بإزاء حادث واحد مما ذكره ، فبدا القول غير منتظم مع تتبع الأحداث والربط فى الصلات بين الفريقين ، وفى تسلسل القصة التواء متعمد ، بغية الوصول إلى أن كليهما من الرعاة جنس واحد ، وقد خرجا جميعا من مصر فى آن واحد .

(٢)

ومن قديم ما قيل فى هذا الصدد أيضا ، ما ذكره عالم الآثار المصرية ، المستشرق الألمانى (هنرى بروكش Henrich Brugsch) ، فى محاضرة[28] ألقاها فى حفل المدارس المجانية بالقاهرة سنة ١٨٧٩ م ، نلخصها فيما يلى

قال

«قضيت من عمرى ثلاثين سنة فى دراسة المصريات القديمة ، وقد استحوذ على تفكيرى منذ أول الأمر أن أربط بين ماجاء فى التوراة عن خروج بنى إسرائيل من مصر ، وبين مايمكن أن نجده منها مذكورا فى بعض النقوش أو فى البرديات المصرية ، وإنى مع اعتبارى لما فى الكتب المقدسة ، أرى نفسى مقصرا إذا تغاضيت عما هو ثابت منها فى الآثار ، حتى يكون اقتناعى أكثر قبولا على صحة ما فى الكتاب الثانى[٢٩] من كتب موسى النبى .

وخروج بنى إسرائيل من مصر أهم حوادث هذا الشعب ، وذلك لما قيل فيه إنه عبر البحر بطريقة عجيبة بقيادة موسى ، حيث سار الشعب على اليابسة بينما غطت المياه جيش فرعون الذى كان يسعى وراءه بمركباته وفرسانه .

والناظر فى هذا الحادث الفذ لابد من أن يتساءل هل فى نقوش الآثارات المصرية القديمة ما يثبت مثل هذا الأمر ؟ ونحن ، قبل الاجابة على هذا السؤال ، نبدى ملاحظة أن المصريين لا يثبتون فى نقوشهم على الآثار ما يدل على نقص يشينهم ، بل إنما يكتبون للمستقبل ما يرفع من شأنهم ، إلا فيما يخرج عن الارادة .

غير أنا نتلمس ما بين السطور فى بعض النقوش وفى أوراق البردى ، ونستشف منها بعض ما يخص أمر الاسرائيليين ، ومن أمثلة ذلك رسالة محررة على بردية محفوظة فى دار الآثار النيرلاندية بمدينة ليد[٣٠] ، من كاتب بالحكومة يدعى (كويسر) إلى رئيسه « بيكوتبا » وذلك فى عهد الملك (رمسيس الثانى) يقول فيها :

« قد أطعت الأمر الذى أصدره سيدى ، فأعطيت قمحا للعسكر وللاسرائيليين[٣١] الذين ينقلون الأحجار إلى حصن رمسيس العظيم ، تحت ملاحظة « افمان » رئيس الضباط ، وأعطيتهم القمح فى كل شهر طبقا للأمر الصادر إلىّ » .

قال :

« وكاتب هذه الرسالة لم يكن قاصدا إعانتنا على معرفة الحادثة التى تتعلق بالاسرائيليين فى زمن إقامتهم بمصر ، إلا بوجه المصادفة فى

إحاطة علم سيده بتنفيذ أوامره ، حيث كانوا يعملون فى نقل الأحجار لبناء حصن فى مدينة رمسيس . فأمثال تلك الكلمات القليلة تؤيد رواية التوراة عن عبودية بنى إسرائيل التى جاءت فى سفر الخروج ، وهنا قد تتحول الخرافات إلى قيمتها التاريخية

وحيث قد علمنا ذلك ، فينبغى أن نتحقق عن زمن خروج الاسرائيليين من مصر ، بمطابقة النصوص المصرية على الآثار وأوراق البردى المعاصرة للخروج ، ويلزم حينئذ أن نبحث أولا عن الفرعون الجالس على العرش فى ذلك الوقت ، لأن التوراة لم تذكره بالاسم ، ومع ذلك فإن الكلام الذى يسبق الخروج ، فى التوراة يقول

« وقد[٣٢] رتب المصريون على الشعب نوابا لجمع الجزية والخراج حتى يزيده عملا ، فبنى الشعب مدائن قوية لفرعون ، وهى فيتوم ورمسيس »

فهاتان المدينتان توجدان بالاسم فى النصوص المصرية

فالأولى تسمى « بى تام[٣٣] » ، أى مدينة تام ، الإله الشمسى .

والأخرى تسمى « بى رمسيس[٣٤] أى مدينة رمسيس

وهذا يؤيد لنا بالتحقيق على أن الملك رمسيس هو الذى أمر ببناء مدينة جديدة سماها باسمه الملوكى رمسيس ، حيث أنه هو المؤسس لها .

ومما يثبت لنا صحة ذلك . الشعر المكتوب على بردية محفوظة الآن بالمتحف البريطانى بلندن ، ويبدو أن الشاعر ، لما دخل هذه المدينة الجديدة وحضر حفل الافتتاح يوم دخول مؤسسها « رمسيس الثانى » وصف جمالها فى شعر يقول

دخلت[٣٥] مدينة رمسيس فوجدتها فى أحسن حال
جميلة لا شبيه لها حتى فى طيبة بالاجمال
فان براريها مملوءة بكل الأشجار العزيزة
وكل يوم يدخلها الطعام والمشروبات اللذيذة
الأسماك فى حيصانها وطيور الماء فى غدرانها
مروجها الخضراء موشاة بأصناف نباتاتها

قال .

« ووصف الشاعر هذه المدينة الجديدة بأنها مجاورة للبحر[٣٦] ، فقال في شعره

وإلى البوغاز تأتى السفن محملة بأتقالها
من مآكل ومشرب تزهو بسطوتها واقتدارها

قال

« ومن جهة أخرى ، يتضح من ورقة البردى هذه ، أن تلك المدينة كانت دار الإقامة الكبرى ، يأتيها الملوك والأمراء الأضياف ، حيث قال كاتبها

« إن سدته الملوكية قد أجرى بناء مدينة لنفسه تدعى القوية جدا ، ومركزها بين مصر وفلسطين ، وحقيقة أنها مملوءة من الحيرات حتى كأنها من صنع « هرميتس[٢٧] » فزمن دوامها وثباتها كرمن « منفيس » ، إذ أن الشمس تشرق على أفقها ، وتغرب عليها ، ويهجر الناس مواطنهم للاقامة فيها ، هيكل « أمون »[٢٨] فى مغربها ، وهيكل « ساذيت[٢٩] » فى جنوبها ، و« أستارت[٤٠] » فى مسرقها ، والإله « بيرو[٤١] » فى شمالها ، والمدينة كأنها الأفق السماوى والفرعون رمسيس كأنه إلهها ، إذ هو فى حكمه شمس الملوك والأمراء ، ولم يكن لمصر لذة إلا به ، فهو يحسن إدارته لكونه حبيب الإله « اتوم [٤٢] » حتى حرت الممالك اليه ساجدة ، فقد أرسل أمير الحيتيين* رسولا إلى أمير الجليل[٤٣] ليقول له قد تم كلام الله ، فإذا كنت مستعدا ، فهيا بنا إلى مصر نقدم فروض الاحترام الواجب للملك رمسيس ، معطى الحياة لمن يحبه » .

فيبين من كلام الشاعر ، على ورق البردى أن المدينة التى أسسها الملك رمسيس التانى ، كانت إذ ذاك تحتاج إلى أشغال معمارية كثيرة »
قال . وفى التوراة[٤٤]

« فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية ، فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل ، كل عملهم الذى عملوه بواسطلتهم عنفا »

قال

★ قوله « الحيتيين » تحريف والاصح انه يريد به الحاتين الاناضول فى الشمال من سوريا وليس الحيتيين الكنعانيين فى فلسطين

« فأما نقوش الآثار وأوراق البردى فإنها تشتمل على تفصيلات يجد الناظر بعضها مطابقا حرفيا لما فى التوراة ، حيث يتضح منها أن العمال كانوا تحت أوامر ملاحظين لهم . وهؤلاء تحت إشراف رؤساء . وكان هناك بعض العساكر من فرق (المازين)[٤٥] يحرسون الأغراب المساكين المحكومين بإجراء الأشغال القهرية ، وهناك فى أحد جوانب الهيكل الصغير الذى فى طيبة ، لوح من عهد (تحوتموس الثالث) منقوش عليه كيف كان هذا الشعب الغير مصرى ، وما كان يعامل به من جانب الحراس المسلحين بالعصى ، بقولهم « هاهى العصا فى يدنا فلا تكونوا مهملين »

وكان بعض الكتبة يختصون بإعطاء المؤونة للحراس والإسرائيليين ولباقى الناس الأغراب شهريا ، وبعضهم يختص بملاحظة تنفيذ الأعمال وقيدها بالحساب كل يوم دون انقطاع . »

قال .

« فإذا كان (رمسيس الثانى) هو الفرعون الذى بنى مدينة رمسيس ، فهو بالتالى الذى كان على عرش مصر فى زمن موسى[٤٦] ، ومدة حكمه الطويلة التى تبلغ ستين سنة تطابق عمر موسى مؤسس سريعة اليهود ، الذى كان قد بلغ إذ ذاك الثمانين سنة من العمر ، عندما أخرج شعبه من مصر فى عهد الملك (منفتاح الأول) ، الوارث لأبيه رمسيس الثانى - واعلم أن المصريين قديما كانوا يطلقون على الاسرائيليين لفظ « إيبريو »[٤٧]

والآن ، يلزمنا أن نتعرف من الآثارات على موقع تلك المدينة ، التى تعب فى معرفتها رؤساء الكنيسة وعلماء العصر اللاهوتيون دون طائل ، حتى أن المتتبع لتاريخ (يوسيفوس اليهودى) يجد أنه قد جعل موقعها بمدينة بابل[٤٨] المصرية ، مع أن هذه هى المعروفة الآن بمصر القديمة أو العتيقة .

وفى بعض الروايات أن اجتماع الاسرائيليين كان فى (برساتين)[٤٩] ، التى تبعد عن مصر القديمة بمسافة نصف الساعة لقطع الصحراء طولا من جهة وادى[٥٠] التيه والوصول إلى شواطىء البحر الأحمر

وقد اختلف بعض علماء اللاهوت وقالوا إن (هليوبوليس) إنما هى مدينة رمسيس قديما ، ولكنها لم تعط البراهين على ذلك ، علما بأن مدينة (هليوبوليس) . تقع على اليسار[٥١] من مدينة رمسيس ، وتعرف الآن باسم « ماراريه »[٥٢]

وزعم آخرون أن (هيرليوبوليس) إنما هى مدينة رمسيس ، وقال غيرهم إنها كانت مجاورة للجهة التى تعرف الآن ، فى وادى الطميلات[٥٣] ، باسم (أم خيدب)[٥٤] نظرا لعدم وقوفهم على حقيقة موقعها ، ولوجود بعض آثار هناك لمدينة مصرية قديمة منذ زمان رمسيس الثانى

وبدلا من سرد أقاويل لا طائل تحتها فيما زعم العلماء عن مدينة رمسيس ، فإننا نتجه نحو فحص الآثارات التى عدما بحثنا فيها عن هذه المدينة الموجودة بهذا الاسم فى التوراة ، وجدنا أنها كانت منفردة قديما عن مدينة (تانيس)[٥٥] ، وبها هيكل عظيم للاله (تب اين آمون)[٥٦] ، ومبنى فيها ، بأمر رمسيس الثانى ، حصون متينة من الجهة الشرقية لمنع دخول البدو إلى أرض الدلتا .

ونحن نقدم الشكر على ما تفضل به الخديوى الأعظم بالموافقة على الحفر فى أطلال (تانيس) بإشراف العالم الكبير (ماريت بك) ، وقد ظهر أن خرابها الجسيم يتصل بالجهة المعروفة الآن باسم (سان) ، وقد وجدنا هناك صنمين منقوشين باللغة الهيروغليفية ، يتضح منهما أن الملك رمسيس الثانى قد سمى باسمه (تانيس) الكبيرة[٥٧] ، المسماة بالعربية (ذان) وفى اللغة العبرية (ذوان)[٥٨] ، فيعلم حينئذ أن مدينة (رمسيس) إنما هى مطابقة لوصف (تانيس ذوان) ، والبرهان الأكبر الذى يدعم هذا الرأى هو ماجاء فى المزمور الثامن والسبعين[٥٩] باللغة العبرية ، فى أيتين منه ، عندما أراد مؤلفه أن يذكر بنى إسرائيل ويترحم على من سلف منهم ، الآية الأولى .

« وصنع أمام آبائهم عجائبا فى مصر فى أرض « ذوان » ، وشق البحر وأوقف اللجج كالجبال حتى عبروه وقطعوه » .

والثانية « ولم يتذكروا يده ولا اليوم الذى خلصهم فيه من أيدى ظالميهم ، ولا الذى صنع المعجزات فى مصر والعجائب فى أرض ذوان » .

قال

« فيتضح من هاتين آنه كانت لليهود معرفة ، حتى فى زمن ملوكهم[٦٠] ، على أن مدينة (ذوان ، آو تانيس) هى مسكن الفرعون رمسيس ، وفيها صنع موسى معجزاته ، وآنه لا فرق بينها وبين مدينة رمسيس التى خرج منها الجمع الغفير من العبرانيين تاركا دلتا مصر إلى الأبد ، وهذه المدينة كانت على جانبى أحد فروع النيل ، الذى صار خليجا صغيرا فيما بعد ، مع أن فمه ، منذ ما يقرب من تلاثين قرنا ، كان متسعا جدا ، بحيث كانت سفن البحار ترسو فى بوغاز تلك المدينة ، كما اثبتنا ذلك مما هو مكتوب على ورقة البردى المحفوظة فى المتحف البريطانى »

قال

« ويوجد على حائط هيكل الكرنك رسم لمدينة تانيس[٦١] ، ورغم آنه غير دقيق ، إلا أنه يرجع إلى تاريخ (سيتى الأول) ، وفيه يرى الناظر جانبى المدينة مرفوعتين على شاطىء النيل ، ومتصلتان ببعضهما بواسطة قنطرة ، وصورة التمساح والنبات المائى تدل على نهر النيل ، وأما السمك البحرى المنقوش على أحد أركانه فإنه يدل على البحر

ومدينة تانيس ، أو كما سميت فيما بعد رمسيس ، فإنها كانت فى زمن الفراعنة ذات سطوة وأهمية عظيمة للجزء الشرقى من الدلتا ، وكان يبتدىء منها الطريق[٦٢] الكبير الموصل إلى فلسطين ، الذى كان مجاورا آيضا لحصن (ميجدول) المذكور فى التوراة ، وكانت فيه[٦٣] بئر يشرب منها المسافرون ، ومؤرخو اليونان يسمونه · (ميجدولان) .

ونظرا لمعرفتنا الآكيدة بجوغرافية مصر ، التى آخذناها عن نصوص الآثار القديمة ، فقد تآكد لنا آن (تانيس ـ رمسيس) ، كانت عاصمة مديرية شرقى الدلتا ، وكانت تسمى فى عهد اليونان · (ترموس تانيذس) ، وحيت كان منها جزء كبير يقع على الشاطىء الشرقى لفرع النيل ، فقد كانت لذلك منحرفة من جهة الشمال نحو البحر ، بما فيها الجزء الغربى ، من بركة المنزلة ، وكانت مع ذلك متصلة بحدود الاقليم المعروف فى جغرافية الآتار باسم · توكو أوتوكوت ، وهو (سوكوت)[٦٤] فى التوراة ، وقد سماه المؤرخون (سيشويذس) ، وقد علم من الآتار أن

يعقوب وأولاده وسكنوا فى أرض (جاسان)[٧١]

وهذا أيضا اسم جغرافى قد حار المعبرون عنه ، ولم يصلوا إلى نتيجة ما ، غير أن الآثار القديمة ، ساعدتنا على معرفته ، فتقول

« قد كان فى جنوب الاقليمين[٧٢] اللذين ذكرناها آنفا ، إقليم ثالث قريب ، سماه اليونان الاقليم العربى ، فيما نسميه نحن : إقليم السهرجية[٧٣] ، وله عاصمة تسمى · « فقوسة » أو (فقيسا) أو تنطق « فقوذاى » أو (فقوسان) ، وقد حذف العرب آخره فصارت (فقوس)[٧٤] ، كما هو بالخرائط الجديدة لمصر ، إلا أن النقش الذى على آثار الهياكل يدل على أن هذه المدينة كانت تدعى (جوزيم)[٧٥] ، كما فى التوراة ، غير أنها فى الترجمة السبعينية للتوراة ، فهى تارة (جيذن)[٧٦] وأخرى (جيذم) ، فاختلط اسم (جيزم) التابعة للاقليم العربى السهرجى ، بتلك التى فى اقليم (ذوان)[٧٧] ، وهى مدينة رمسيس الجديدة .

وقد كان من عادة النطق بالأسماء الجغرافية للمدن والبلدان والأماكن ، إضافة حرف (فا)[٧٨] ، كقولنا (فيوم) عن الفيوم ، فصارت (حوذيم) تنطق (فاجوديم)[٧٩] وكلاهما بمعنى ، فأما « فقوسان » أو « فقوسة » أو : فقوساى ، باليونانى والعربى أيضا ، هى (فقوس) ، التى نقلها الكتبة القبط دون « آل » التعريف ، حتى نطقت : « قوس » .. ... » .

قال

« وأما (جيذان) القديمة ، التى هى إلى الجنوب من (تانيس رمسيس) ، وبالقرب من (فقوس) فهى مطابقة لما أخبرنا به التوراة ، والذى يؤيد ذلك هو كلام فرعون ذاك العصر إلى يعقوب[٨] ، حيث قال له

« لتسكن أرض (جوذين)[٨١] ، حتى تبقى قريبا منى ، أنت وأولادك وأولاد أولادك وغنمهم وبقرهم وجميع مالك »

وفى التوراة مسألة تستحق النظر ، وهى عن القوم الذين كانوا يقطنون قديما فى الثلاثة الأقاليم ، بيتوم ورمسيس وجوذيم ، فلو قلنا إنهم سلالة مصرية لأخطأنا[٨٢] ، إذ يتضح من الآثار وأوراق البردى ، أنهم وإن كانوا تابعين للدولة المصرية الفرعونية إلا أنهم من سلالة أخرى تدعى (خالو)

أى المختلطة ، وهم من سلالة ، فينيقية[٨٣] سكنوا فى الأزمنة المتأخرة من التاريخ المصرى ، بجوار بركة المنزلة واحترفوا التجارة البحرية وصيد الأسماك ، وكانوا يتمتعون بالأمان فى ظل الحكم المصرى .

وكان من بينهم موظفون يخدمون المصريين ، وخاصة فى علاقاتهم بأهل فلسطين . حيث كانوا على معرفة بلغتهم وعوائدهم ، ومن أوراق البردى نستدل على أنه كان فى خدمة الحكومة المصرية من هم من نسل سام . وذلك واضح فى أسماء بعض البلاد[٨٤] والحصون والخلجان والبحيرات فى الأقاليم الثلاثة التى ذكرنا ، ومن ذلك (ميجول) . ومعناها : الحصن ، و(سوكوت) بمعنى الخيمة ، فى اللغة العبرية ، كما أن لفظى (ذوان وتال)[٨٥] اللذين أعطيا لمدينة رمسيس ، قبل أن يأمر الملك (رمسيس الثانى) ببنائها ، كلاهما باللغة السامية

والعجيب أنه رغم مرور أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، منذ خروج الاسرائيليين من مصر ، فإن سكان تلك النواحى من المصريين لايزالون ، رغم اختلاف الشرائع والعادات يعيشون مع نسل الخالو[٨٦] .

والاكتشافات من الحفريات التى قام بها زميلى وصديقى ماريت بك ، تساعد على ازالة الشك نحو تلك المسألة ، فقد ظهر أن السكان على شواطىء بحيرة المنزلة ، وهم الذين يحترفون صيد الأسماك ، فإنهم رغم كونهم من رعايا مصر ، غير أن عاداتهم وهيئاتهم تدل على أنهم غير مصريين ، بل إنهم من الفينيقيين[٨٧] ، منذ العهد المتأخر فى مصر ، وكانوا يعتنقون النصرانية على المذهب الملكى ، ومن خصوم الخلفاء ، وقد ذكرهم العرب باسم (بيامية)[٨٨] أو (بيسامية) وتارة : بارتمورية[٨٩] .. »

قال

« ونرجع الى الكلام عن مدينة (رمسيس الثانى) الجميلة التى كانت ينتظر فيها الاسرائيليون[٩٠] مع موسى ، الوقت اللازم للخروج من أرض مصر ، فنقول .

إنه عندما سمح الفرعون (منفتاح الأول) بترك البلاد ، جدت بالمسير ، وفى ذلك تقول التوراة[٩١]

« وهكذا لما خرج بنو إسرائيل من مدينة رمسيس ، نزلوا فى سوكوت وكان عددهم قريبا من ستمائة ألف رجل ، غير الأطفال والنساء ، وانضم إليهم أيضا جمع(٩٢) غفير من جميع أجناس الناس » .

وسار الاسرائيليون بالطريق الكبير الفرعونى(٩٣) ومعهم عدد كثير من الفينقيين الذى مر ذكرهم . من سوكوت التى فى اقليم (بيذوم) والتى يخترقها الطريق شرقا ، حتى وصلوا (إيزام)(٩٤) التى فى طرف الصحراء ، كما فى التوراة »

وما يؤيد هروب الاسرائيليين على الطريق الكبير ، من مدينة (رمسيس ـ تانيس) ، إلى ميجدول ، الذى كان يخترق أرض سوكوت ، هو وجود رسالة على بردية ، اكتشفها : انسطاسى الخامس ، محفوظة بالمتحف البريطانى ، تذكر فى الصفحة التاسعة عشرة ، ابتداء من السطر السادس ، أمر هروب شخصين من خدم أحد الأمراء فى مدينة رمسيس ، وقد تمثلا بالاسرائيليين ، حيث أنهما لما هربا من سيدهما ذهبا إلى ميجدول ، وقد صار البحث عليهما ، فى جميع البلاد التى ذكرتها التوراة ، وترجمتها .

*** قد ذهبت فى إثر الخادمين بعد خروجى من السراى الملوكية التى فى رمسيس ، فى اليوم التاسع(٩٥) من شهر ابيفى ، فى وقت العصر ، فوصلت إلى سوكوت فى اليوم العاشر ، ثم وصلت إلى حصن خاطوم(٩٦) ، فقيل لى هناك : إن رجلا رآهما وقت خروجهما من السور الشمالى لميجدول التابعة للملك (سيتى منفتاح)(٩٧) .... ***

فالمكاتبات الجارية فيما بين المحطات المصرية : رمسيس وسوكوت ، وخاطوم التى ذكرتها التوراة باسم : « ايزام » وميجدول ، فإنها حقيقية ومطابقة لما جاء فى سفر الخروج .

فأما الحائط ، أى السور الذى كان فى شمال ميجدول ، وباللغة المصرية : (تامب) ، فإنه فى زمن البطالمة كان ضمن الأسماء الجغرافية ، التى تدل على سور (سيزوستريس)(٩٨) ، غير أنه كان كذلك موجودا من قبل ، وكان السائحون الذاهبون إلى فلسطين فى عهد الأسرة الثانية عشرة يمرون من هذا الحائط عند خروجهم من الدلتا لاستمرار السير على الطريق فى الصحراء .

وما نجده من الشك يزول حينئذ من اطلاعنا على سفر الخروج فى التوراة ، عند قوله(٩٩) :

* وكلم الرب موسى قائلا : قل لبنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا قدام (بيهاخيروث)[١٠٠] فيما بين ميجدول والبحر ، أمام « بآل ذيفون[١٠١] » ، وأما أنت فتحط قدامهم بالقرب من البحر *

والأسماء الموجودة هنا فهى كذلك فى النقوش الهيروغليفية ، ولا ينبغى أن نخوض فى ذكرها ، فأما قوله : (قل لبنى إسرائيل أن يرجع ....) فيلزمنا الوقوف على أسبابها مع معرفتنا لموقع ميجدول والبحر أيضا ، إذ أن الانسان لا يرجع إلا إذا حاد عن الطريق .

وحيث كان بنو إسرائيل قد وصلوا إلى إيزام[١٠٢] ، فكان يجب أن يستكملوا السير ، فى الطريق العظيم الواصل إلى جهة الشرق وإلى أرض كنعان ،فأما رجوع موسى فكان بالنظر إلى دافع فى نفسه ، كما فى التوراة التى تقول :

* ولما أخلى فرعون السبيل للشعب ، فإن الرب لم يسمح لهم بالمرور من الطريق المعهود إلى فلسطين ، ولو أنه قريب جدا ، لأنه قال لئلا الشعب إذا رأى حربا فإنه قد يعود ثانية إلى مصر *

وهنالك غير هذا سبب آخر ، وهو العهود التى كانت بين رمسيس الثانى ، وبين ملك الحيثيين[١٠٣] ، التى تنص على إعادة الرعايا من أى البلدين الذين يخرجون من أيهما بالهروب ، ولابد من أن موسى لم يجهل هذه الشروط ، ولذلك رأى أن يسلك طريق الصحراء ، فعندما رجع الشعب عاد إلى ميجدول .

وميجدول ، بمعنى البرج أو الحصن ، وهى نقطة معلومة فى الآثارات القديمة ، مجاورة لبئر ماء ، وكانت تمنع دخول الأعداء إلى أرض مصر ، من جهة الشمال ، وقد سمى المؤرخون هذا الحصن : « مجدولوس أو مجدولون » ، وقالوا إنه كان فى نصف الطريق فيما بين « بليز ـ وسيل » ، فأما (سيل)[١٠٤] ، فإنها قريبة من الجهة المعروفة الآن باسم : القنطرة ، وأما البحر فلا يمكن أن يزعم أحد بأنه البحر الأحمر ، ولا يصح إلا أن يكون هو البحر المتوسط » ..

قال :

« فلما جاء الاسرائيليون إلى آخر محطة ، بين ميجدول والبحر ، إذا بجيش فرعون بخيله ومركباته يسعى وراءهم ، وذكر التوراة : أن مد الماء

فى تلك الآونة قد زاد فجأة حتى غطى الجيش ، وسلك بنو إسرائيل فى طريقهم على اليابسة ..

ولا أريد هنا تفسير المعجزة ، أو نقضها ، وإنما أقول : إنه بعد أن قطع بنو إسرائيل الجهات المنخفضة التى بين البحر المتوسط والبركة المسماة قديما ، (سربونيس)(١٠٥) ، اضطربت الخيالة المصرية وضباط المركبات الحربية من المد والجزر العظيم الذى حدث وقتئذ ، حتى خارت قواهم وانحلت عزائمهم ، ويبدو أن ارتباك الخيل عند سيرها فى الوحل هو الذى زاد مشقة الجيش .

وقد جرى مثل ذلك فى تلك البقعة ، ليس لبعض السائحين فقط ، بل لجيوش أخرى ، كما هو مدون فى التاريخ ، ومع أنه بمثل هذا القول لم يبق للمعجزة فضل ، إلا أنه يجب علينا أن نذكر أن للحكمة والقدرة الإلهية مدخل فى هذا .

قال سترابون الجغرافى ، عندما ساح الأقطار المصرية فى القرن الأول للميلاد :

« قد حدث فى مدة إقامتى بالاسكندرية مد وجزر عظيمين فى مدينة « بليز » بالقرب من جبل كاذيوس(١٠٦) ، فأغرق الماء تلك الجهة حتى صار الجبل كأنه جزيرة ، وكانت السفن تجرى على الطريق المجاور ، الذى كان يمتد إلى أرض فلسطين حيث غطاه الماء .

وقال ديودور ، المؤرخ اليونانى ، خلال كلامه عن حمله « ارتكزركشيس »(١٠٧) ، ملك الفرس على مصر : إنها وقعت فى مأزق فى تلك الجهة بعينها ، وذلك أنه لما زحف بجيشه ، ووصل إلى البركة الكبيرة المجاورة للجهة المسماة : « المهالك » فقد جانبا من الجيش ، نظرا لعدم معرفته بطبيعة تلك المنطقة .

وإنى مع عدم رغبتى فى نقض الروايات التى جاءت فى التوراة ، فإنى ملتزم أيضا بالوثوق فى نصوص الآثار القديمة ، لإقناع تفكيرى منذ الصغر فى مطابقة ما قيل فى التوراة عن هذا الموضوع » ...

قال :

« ثم انطلق بنو إسرائيل نحو الصحراء ، المسماة « شور »(١٠٨) وطافوا بها ثلاثة أيام فلم يجدوا ماء فجاءوا إلى « مارا »(١٠٩) ، غير أنهم لم

يستطيعوا شرب مائها لمرارته ، فانتقلوا إلى « اليم »(١١٠) ، الذى كان فيها اثنا عشر عينا وسبعين جريدة(١١١) ، فحطوا رحالهم هناك ..

وقد اتضح لنا أن الصحراء المسماة : « شور »(١١٢) ، المذكورة بالتوراة ، هى المحصورة بين البحر المتوسط ، وخليج السويس ، الذى هو شرقى مصر ، وأن « الماء المرة » ، هى البركة المرة(١١٣) ، أى ترعة برزخ السويس ، وأما « اليم » فإنها المسماة الآن : عيون موسى .

فأما بقية القول عن تنقلات بنى إسرائيل ، من محطة إلى أخرى ، حتى وصلوا إلى جبل سيناء ، فإنه لم يكن ضروريا لنا الآن ، إذ هو يخرج عما أردناه بهذه المحاضرة ..

ونختتم القول بأنه ، دون الاجتهاد والعلم باللغات والتاريخ ، لم نكن لنستطيع أن نعرف شيئا مما ذكرناه ، ولذا يلزم أن ننظر فى تعليم النشء وتهذيبه ، من غير أن نحرم بعض ذلك بدعوى الدين ، لأن الأديان جميعا لا تسامح من يهمل فى تربية الأطفال منذ الصغر » .

* * *

وإلى هنا ينتهى قول عالم الآثار المصرية ، المستشرق الألمانى (هنرى بروكش H . Brugseh) ، وقد نقل عنه مثل هذا عالم الآثار المصرى (أحمد كمال) ، فى كتابه . (العقد الثمين فى محاسن المصريين الأقدمين) .

والقول عند هذين لا يختلف فى زمان الخروج ، فكلاهما جعل خروج بنى إسرائيل أبان حكم الملك (منفتاح الأول ١٢٢٢ / ١٢١٠ ق . م) ، من مكان واحد هو مخاضة بحيرة المنزلة ، حيث عبر بنو إسرائيل الماء إلى اليابسة بسلام ، بينما عادت المياه إلى مكانها أثناء إقتفاء الجيش المصرى لهم بخيله ومركباته دون حذر فغرق بعضهم ممن فى المقدمة .

وكلاهما لا يختلفان أيضا عما ذكره المؤرخ الفرنسى « دى موا ايميه » ، إلا فى تشكيل القصة بوجه عام ، وفيما قاله فى كتاب « وصف مصر » بأن خروج بنى إسرائيل إنما كان من جهة مخاضة خليج السويس ، غير أننا نرى أن الشواهد وأسماء البلاد وغير ذلك إنما يرجح الخروج من جهة بحيرة المنزلة ، على الوجه الذى به اقتفاء آثار تلك القصة التاريخية من جميع نواحيها .

فيما ارتآه د . هانز جيديك فى الخروج

فأما أحدث ما قيل فى تاريخ خروج بنى إسرائيل فهو ما أعلنه (د . هانز جيديك ـ H . Jedic) ، عالم المصريات بجامعة « جونز هو بكتز » فى واشنطن ، بأن خروج بنى إسرائيل كان فى ربيع سنة ١٤٧٧ ق . م ، فى عهد الملكة « حتشبسوت » ، التى حكمت مصر فى الأسرة الثامنة عشرة بالوصاية مع الملك (تحتمس الثالث) .

وهذا التاريخ الذى يشير إليه المؤلف ، رغم أنه قريب مما ذكرنا ، إلا أنه أضاف إليه سببا اعتمد عليه ، وهو حدوث انفجار بركانى فى جزيرة « تيرا Tira » ، التى تعرف الآن باسم جزيرة (سانتورين Santorine) ، إلى الشمال من جزيرة « كريت » بحوالى سبعين كيلومترا ، وأنه تصادف أن خروج بنى إسرائيل كان عقب هذا الانفجار ، عند وصولهم إلى بحيرة المنزلة ، لكى يسلكوا الطريق الساحلى إلى أرض كنعان ، فلما أشرفوا على ربوة تطل على الصحراء ، جنوب شرقى البحيرة بقريب من ستة أميال ونصف ، نظروا فإذا جيش فرعون مصر يتعقبهم ، فوقفوا استعدادا للدفاع ، وكان وصول الجيش بخيله ومركباته فى اللحظة التى وصل فيها المد شاطىء البحر المتوسط عند البحيرة ، فارتفع منسوب المياه وفاضت على الأراضى المجاورة فأغرقت جنود فرعون ومركباته .

ويقول المؤلف : إنه توصل إلى هذه النظرية بعد دراسات عدة ، واستند فى ذلك إلى أن الانفجار البركانى ، كما يقول العلماء ، قد حدث فعلا فى ذلك التاريخ أو قريب منه ، ثم اعتمد على اللوح المنسوب إلى الملكة (حتشبسوت) ، الذى يحكى جانبا من أعمالها ويشير إلى جماعة المهاجرين الأسيويين الذين ، أهانوا الآلهة بعدم التزامهم بالأعمال الموكولة إليهم ، وأنه حين سمحت لهم بالرحيل ، لم يبق لهم أثرا كأن الأرض ابتلعت أقدامهم ، وهو اللوح الذى عرضنا ترجمته قبلا .

وهذا النظر المحدث ، فيما يختص باقتران انفجار بركانى فى إحدى جزر اليونان التى تبعد عن بحيرة المنزلة بأكثر من ألف كيلومتر ، أدى إلى إحداث موجات مدية فى الوقت الذى وصل فيه جيش فرعون وراء بنى

إسرائيل ، فأغرق الجنود والخيل والمركبات ولم ينج منهم أحد ، يعد أمرا غريبا ، ويبدو كأنه متعمد لمثل هذه المناسبة بالذات ، ومع أن العقل لا يقبل مثل هذه الاستعارات ، فى المواضيع التاريخية ، إلا أنه كان يمكن أن يتقبل أمر المد والجزر العالى ، فى هذه المنطقة التى غرق فيها من قبل جزء من جيش الفرس فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وتعرف باسم : المهالك ، دون إحاطة الحادث بإطار خرافى على أنه ضرب من المعجزات النادرة ..

ومع ذلك ، فليس فى التاريخ العام ما يثبت مثل هذا الانفجار البركانى فى ربيع تلك السنة التى أشار إليها المؤلف ، فإنه إذا لم يكن كذلك فإن الحكاية عنه تبدو مصنوعة وتفقد رونق الجدية فى حدوثها ، ولا يمكن أن يطلق الناظر هنا ، عنان خياله حتى يحدث مثل هذا الازدواج فى لحظة واحدة ، على ذلك البعد الشاسع .

فأما التاريخ الذى أتى به المؤلف لخروج بنى إسرائيل فى ليلة النصف من شهر نيسان سنة ١٤٧٧ ق . م ، فالواضح أنه ليس نتيجة اجتهادات تاريخية مقارنة ، بل إنما جاء به عفوا بأقل جهد من التفكير ، وباعتماده على التواريخ الغير يقينية التى فى هامش التوراة ، بفرض أن :

بداية بناء المعبد فى أورشليم كانت فى السنة الرابعة من حكم الملك سليمان ، وأن ما بين بناء البيت وبين خروج بنى إسرائيل أربعمائة وثمانون سنة(١١٤) ، فكأنه فرض أن ابتداء حكم الملك سليمان كان سنة ١٠٠١ ق . م ، وأنه بدأ فى تأسيس المعبد سنة ٦٩٧ ق . م ، فإذا أضيف هذا إلى أربعمائة وثمانين سنة ، كان الخروج سنة ١٤٧٧ ق . م ..

وهذا التاريخ ، لو أنه قريب من الصحيح إلا أنه لم يكن يتأتى بمثل ذلك ، الحساب التلقائى ، لأن المعهود فى التاريخ العام أن الملك سليمان تولى الملك عن أبيه سنة ٩٧٢ ق . م ، وأن التواريخ التى فى هامش التوراة لايجوز الأخذ بها عندما يراد استخراج نتائج صحيحة .

*

(١) انظر ما جاء عن بنى إسرائيل فى كتاب (الكنز التمين) لأحمد كمال ، عند القول فى مآثر الملك « مرنبتاح » ص/١١٧ ـ ١٢٠

(٢) انظر الترجمة العربية لكتاب (وصف مصر) ـ المجلد الثانى ، الدراسة التاسعة ، التى عنوانها « كيف خرج اليهود من مصر القديمة » ـ تأليف (دى بوا اميه) . وانظر أيضا للمؤلف الدراسة الثامنة فى نفس المرجع ، تحت عنوان · « القبائل العربية فى صحراوات مصر »

(٣) « سيروستريس » لفظ إغريقى كان اليونان القدماء يطلقونه على الملوك الفراعنة العظام ، والمراد به هنا « رمسيس الثانى »

(٤) « مرنبتاح » ، ويسمى أيضا (منفتاح الأول) حكم مصر (١٢٢٢/ ١٢١٠) ق م ، وفى عهده أغارت جماعات من المهاجرين بعائلاتهم قيل إنهم من جزر اليونان وصقلية وكورسيكا وسرديبيا ، ونزلوا من السفن على ساحل ليبيا ، فاستقطبهم ملكها ، إذ ذاك المدعو (مريامو) ، وجهز منهم ومن الليبيين جيشا ، أراد أن يغزو به مصر من الجهة الغربية ، فلما نزلوا فى سهول أبيس تصدى لهم الجيش المصرى بقيادة الملك (مرنبتاح) وهزمهم وأسر منهم عددا كبيرا ، فى معركة خاطفة .

وقد نقش (مرنبتاح) ، هذا النصر على ظهر لوحة كانت للملك (أمنوفيس الثالث) ، فى الأسرة الثامنة عشرة ، غير أنه أقحم فى القول جملة معناها « .... وأما إسرائيل فقد أبيدت ولم تعد لها بذرة . . » .

وكان لذلك صدى كبير وبلبلة ظن به الكثيرون أن المهاجرين الذين هاجموا مصر هم الاسرائيليون ، وأن خروجهم من مصر كان أثناء تلك المعركة ، وأن (مرنبتاح) ، هو فرعون مصر ، وقد وضح أن الصحيح ليس كذلك ، والأشبه أن الأسلوب الشعرى الذى صيغ به وصف تلك المعركة أقحم هذه الجملة على سبيل ما كان قد حدث قبلا فيما مضى .

(٥) فى الأصل « تحيموسيس » ـ وهو تحريف ، لأن الذى حاصر الدعاه فى « أفاريس » هو الملك (أحمس الأول) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة

(٦) « جبال الجودية » هى جبال الخليل فى فلسطين ، ومنها جبل « يهودا Iudica »

(٧) قوله · « حيث أسسوا هناك مدينة أورشليم . .. » ، غير صحيح تماما ، لأن أورشليم كانت تعرف بهذه التسمية « أورشليم » قبل زمان إبراهيم الخليل ، ويبدو أن الهكسوس لما طردوا من مصر التجأوا إلى أورشليم وضواحيها .

٨) لم يطل حكم الهكسوس فى مصر إلى هذا الحد ، على الرغم من أن بعض المصادر القديمة تذكر أنهم ظلوا (٥١١ سنة) ، ويشبه أن هذا الرقم محرف ، لأن ما بين نهاية الأسرة الثانية عشرة وابتداء الأسرة الثامنة عشرة لا يتعدى ٢٢٥ سنة ، وقد فصلنا القول فى ذلك عن تلك المدة ، بتصحيح الفترة التى حكم فيها الهكسوس مصر

٩) « الأنجاس » صفة من النجاسة ، كان المصريون القدماء يطلقونها على الرعاة جميعا ، عن اعتقاد لهم بأن الرعى يدعو إلى كثرة الاختلاط بالحيوان ، وقد يؤدى إلى أمراض جلدية خطيرة ، كالبرص والجذام

ومع ذلك ، فلم يكن المصابون ، الذين أشار إليهم المؤلف ، من الكثرة أو من القوة ، بحيث يتألف منهم جيش ، كما يقول

(١٠) قوله « . . .. والد سيزوستريس الشهير » . يبدو أنه يريد أن يقول « أمنوفيس الأول والد تحتمس الأول .... » ، وهو الأرجح .

(١١) « أرض جاسان » يعنى أرض (صان الحجر) ، وتسمى أيضا . (عمسيس) ، أى أبناء الإله رع

(١٢) « أوزرسيف » ، هذا الاسم ، وهذه القصة التابعة له ، لم ترد فى (التوراة) ، وليس لذلك من مصدر غير ما جاء بهذا المعنى فى تاريخ (يوسيفوس ـ Iouphus) اليهودى المتوفى حوالى سنة ١٠٠ م ، وهو الذى حاول أن يربط بين طرد الهكسوس الغزاة وبين خروج بنى إسرائيل ، أو أن يجعل بينهما علاقة ما .

(١٣) وهذا القول عن الجماعات التى أخذت تبحث عن وطن جديد ، هو إشارة إلى المهاجرين من جزر البحر المتوسط بعائلاتهم ممن أرادوا الاستيطان فى مصر ، فحاربهم الملك (مرنبتاح ١٢٢٢ / ١٢١٠ ق . م) ، وهؤلاء ليس لهم علاقة مباشرة ببنى إسرائيل ، لا فى الزمان ولا فى المكان الذى هاجروا منه ..

(١٤) وفيما يلى ترجمة كتاب (آريوس) ، كما جاء بإزاء النص فى كتاب (وصف مصر) عن المؤرخ « يوسيفوس اليهودى »

« من ملك الأسبرطيين (آريوس) إلى (أونياى) ـ تحية وسلاما ـ حدث أن وجدت فى بعض النقوش أن اليهود وأهل لاكيدايمونيا ينتمون إلى جنس واحد ، وأن الأخيرين ليسوا بغرباء عن نسل إبراهام ، ولذلك فمن الأوفق ، مادمنا إخوة ، أن تطلعونا على كل ما ترغبون فيه ، ونحن من جانبنا سنفعل الشىء ذاته ، ولسوف تصير شئونكم مثل شئوننا بسواء ، وبالمثل سوف تكون بيننا وبينكم علاقات مشتركة ، وأن « ديموتيليس » الذى يحمل هذه الرسالة ، هو الذى سيتولى حمل رسائلنا » .

والذى يفهم من هذه الرسالة إنها من باب التمهيد لصلات تجارية ، وفيها بعض المجاملة التى تفيد أن كليهما أولاد عم ، فاليهود من نسل سام بن نوح وأولئك من نسل يافث أخيه ..

(١٥) مولد موسى ، كان فى سنة ١٥٤٨ ق م ، فى أول حكم (أمنوفيس الأول) ، ثانى ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، فإذا علم لنا أن موسى لما خرج ببنى إسرائيل من مصر ، كان له من العمر ثمانون سنة ، لذلك يكون الخروج فى آخر سنى حكم الملكة « حتشبسوت » ، سنة ١٤٦٨ ق . م

غير أن المؤلف هنا انزلق فى القول بأن (أمنوفيس) انسحب إلى ما وراء الشلالات ، بدعم من اثيوبيا وظل هناك ثلاثة عشر عاما ، وهذا القول إنما يصدق على الملك (كاموزا) جده ، الذى حارب الهكسوس وطردهم من الوجه القبلى ، قبل حصارهم فى قلعة « أفاريس » ، ثم حاصرهم (أحمس الأول) لمدة خمس سنوات ، بعدها طردوا نهائيا من مصر .

(١٦) والتوراة لا تشير إلى (أمنوفيس) بالذات ، والذى فى أول سفر الخروج إنما يراد به (أحمس الأول) ، بعد حصار « أفاريس » ونصه

* ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه : هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينمو ، فيكون إذا حدث حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض ، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس *

(١٧) وهذا القول الذى نسبه المؤلف إلى (مانيتون) المؤرخ المصرى بشأن العنف ، لم يكن فى مثل تلك المناسبة التى ذكرها ، وإنما قال ذلك عند غزو الهكسوس لأول مرة فجأة فى أوائل الأسرة الثالثة عشرة سنة ١٧٥٦ ق م ، فى عهد الملك المسمى (سخم سوازتوى) ، وهو (سبك حتب الثالث) ، الذى سماه مانيتون ـ (توثيمايوس)

فأما « أوزرسيف » فلم يذكر فى الآثار ولا فى المراجع ، وإنما هو على الأرجح من رواية المؤرخ اليهودى (يوسيفوس Iosiphus)

(١٨) والثابت فى المراجع من كتب الآثار المصرية ، أن (أمنوفيس الأول ١٥٤٨ / ١٥٢٦ ق م) ، ليست له علاقة بملوك الرعاة (الهكسوس) ، لأن هؤلاء كانوا قد ارتحلوا إلى سوريا قبل استيلائه على العرش بما يقرب من عشرين عاما ، والأشبه أن المؤلف إنما يعنى جده الملك (كاموزيس) المسمى أيضا (السفراجموزيس) .

(١٩) تلك الرواية ، ليست عن « مانيتون » المؤرخ المصرى ، وإنما هى من أقاويل « فلانيوس يوسيفوس » المؤرخ اليهودى المتوفى حوالى سنة ١٠٠ م .

(٢٠) قوله « إن التشابه شديد بينهما .. » ليس واضحا ، ولا يمكن أن يصل التحريف فى اسم (موسى) إلى « أوزرسيف » أو بالعكس

(٢١) (الجودية) يعنى بها هنا منطقة أورشليم وجبل يهوذا .

(٢٢) وتفسير إقامة بنى إسرائيل فى التيه أربعين عاما ، قد ذكرها المؤلف آنفا ، على أنها رغبة موسى بأن يظل بنو إسرائيل فى البرية ، بعد الخروج من مصر ، حتى ينقرض هذا الجيل منهم ويأتى جيل آخر يمكن أن يقوى على الحرب فى كنعان .

(٢٣) « أسفار موسى الخمسة » هى (التكوين ، والخروج ، والعدد واللاويين ، والتثنية)

(٢٤) قوله « .. الذين هزمهم (أمنوفيس) ، غير صحيح ، لأن (أمنوفيس الأول) يأتى فى الترتيب ثانى ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، بعد (أحمس الأول) الذى طرد الرعاة وملوكهم من قلعة « أفاريس » سنة ١٥٦٨ ق م ـ ويبدو أن المؤلف يعنى به الملك (كاموزا) فى الأسرة السابعة عشرة .

(٢٥) « سيزوستريس » قد يراد به هنا الملك (رمسيس الثانى) فى الأسرة التاسعة عشرة

(٢٦) « فيرون » لفظ قد يكون محرفا عن (خبرون) ، وهو لقب الملك (تحتمس الثانى) فى الأسرة الثامنة عشرة ، ولا صلة له فى التاريخ مع (رمسيس الثانى ـ سيزوستريس) ، والقول هنا يبدو فيه التخليط فى أسماء الملوك مع تسلسل الحوادث

(٢٧) « سيزوستريس الثانى » قد يريد به المؤلف هنا ، الملك (مرنبتاح) ، وهو ما يظنه أو يعتقد بأن بنى إسرائيل قد خرجوا من مصر فى عهده .

(٢٨) هذه المحاضرة ترجمها عن الفرنسية إلى العربية نخلة صالح ، فى كتيب صغير باسم (الدرة الحقيقية البهية) فى خروج الاسرائيليين من مصر ، وهى محفوظة بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم ٥٠٤ تاريخ .

غير أنه لما كانت الترجمة إلى العربية ركيكة جدا لدرجة أنها أغفلت قواعد النحو وبدت غير لائقة للنشر هنا ، رأينا أن نختصرها بقدر المستطاع دون أن نخرج عما

قصده صاحبها ، وهو العالم المستشرق الألمانى (هنرى بروكش ـ . H) Brugsch ، خبير الآثار المصرية ، المتوفى سنة ١٨٩٥ م

(٢٩) « الكتاب الثانى . » يعنى سفر الخروج ، فى التوراة ..

(٣٠) كذا بالأصل محفوظة الآن فى دار الأنتيكة النيرلاندية فى مدينة ليد . .. » ، ونحن نظن أنه يعنى متحف جامعة ليدن فى هولانده »

(٣١) قوله . « للعسكر والاسرائيليين » ، لا يعنى بالضرورة بنى إسرائيل بالذات ، بل قد يريد بوجه عام الأغراب والبدو والأسرى من أهل فلسطين ، والجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى كان فيه حكم الملك رمسيس ، منذ بدايته ، كان بنو إسرائيل قد خرجوا من مصر واستولوا على معظم أرض كنعان منذ مائة وثلاثين سنة تقريبا .

(٣٢) والنص ، كما فى نسخة التوراة ، الترجمة العربية ، سفر الخروج ـ صح/١ ٩ مايلى

* فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن ، فيتوم ورعمسيس *

(٣٣) « بى تام » ، والأصل فيها . (بى أتوم) ، أى مدينة الإله « أتوم » ، ومكانها الآن على الخرائط الطبوغرافية تل أترى باسم (بوتو Buto) ، على الطريق من فاقوس إلى صان الحجر ، بمقدار ١٨ كيلومترا تقريبا من فاقوس ، وهى غير (بوتو) بمركز دسوق غربية

(٣٤) « رمسيس » هنا ، أصلها (رع مسيس) بمعنى أبناء الإله رع ، فتكون التسمية الصحيحة (بى رع مسيس) ، وهى إحدى مدينتى المخازن اللتين بناهما بنى إسرائيل بعد طرد الهكسوس ، من مصر فى عهد الملك (أحمس الأول) ، ونرى أنها التل المعروف الآن باسم (تل دفنة) وهى « تحفنيس القديمة » وآثارها الآن على مسافة ٢٤ كيلومترا تقريبا إلى الشرق من (بيتوم) ، وهى غرب محطة القنطرة الآن بحوالى ١٠ كيلومترات ، والواضح أن هذه غير مدينة (رمسيس) التى وصفت فى محاضرة (بروكش Brugsah) .

(٣٥) وهذا الوصف بالشعر لا ينطبق بحال ما على إحدى مدينتى المخازن اللتين بناهما الاسرائيليون بالتسخير عقب خروج الهكسوس مباشرة ، كما جاء فى أول سفر الخروج فى قوله .

« ثم قام ملك جديد على مصر ، لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه . هوذا بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينموا ، فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض ، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير ، لكى يذلوهم بأثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن « فيثوم ورعمسيس » ..

(٣٦) قوله : « مجاورة للبحر » واضح أنه يتعارض تماما مع وصفها فى التوراة بأنها مدينة مخازن ، لأن مثل هذه لا يصح أن تجاور البحر ولا أن تجاور الصحراء ، بل إنما يلزم أن تكون فى أرض عامرة ، قريبة من العاصمة ، التى كانت إذ ذاك ، مدينة (صان الحجر) المسماة بالمصرية (صوعن) .

(٣٧) « هرميتس » هرمس المصرى ، أى (تحوت) إله المعرفة

(٣٨) « هيكل أمون » : يعنى به معبد أمون بالواحات ..

(٣٩) كذا فى الأصل «ساديت » ، وربما كانت محرفة عن (سدت) ، وهى نجم الزهرة إلهة سينا المصرية

(٤٠) « إستاروت » . يريد عشره ، من آلهة بابل واشور ، وهى الزهرة أيضا ، زوجه الآله (بعل) وقد يرمزون لها تارة بالقمر

(٤١) « بيرو » كذا فى الأصل ، وربما يعنى (بيروت) ، يريد به (مجمع الآلهة فى السماء) فيما يسميه المصريون قديما « التاسوع »

(٤٢) (اتوم) ، الإله المصرى (رع آتوم) ، ابو البشرية فى العالم

(٤٣) قوله « الحيتيين » ، تحريف ، والأصح أنه يريد به الحاتيين الأناضول ، فى الشمال من سوريا ، وليس الحيتيين الكنعانيين فى فلسطين

(٤٣) « الجليل » الجزء الشمالى من فلسطين ، غربى بحيرة طبرية ، وأهم مدنه الناصرة وطبرية وكفرناحوم

والذى يبدو من ذلك الوصف لمدينة (رعمسيس) ، التى بناها الملك رمسيس الثانى ، أو أعاد بنائها ، أنها بعينها حصن (قاريس القديم) ، الذى كان الملك « أحمس الأول » ، قد هده عقب طرد الهكسوس سنة ١٥٦٨ ق م

(٤٤) وقد كتبنا هنا النص الذى فى النسخة العربية من التوراة ، بالأصحاح الأول من سفر الخروج ، بدلا عما جاء فى ترجمة المحاضرة عن الفرنسية ، لكونها ركيكة التعبير

(٤٥) « المارين » يعنى (المارو) وهم شرطة من البدو حراس الحدود

(٤٦) قوله « الذى كان على عرش مصر فى زمن موسى » ، غير صحيح ، لأن موسى ولد سنة ١٥٤٨ ق م ، وعند خروج بنى إسرائيل من مصر سنة ١٤٦٨ ، كان له من العمر ثمانون سنة . والثابت فى التاريخ أن (رمسيس الثانى) أعتلى العرش فى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، سنة ١٢٨٨ ق م

وبذلك لا يمكن أن يكون (رمسيس الثانى) هو فرعون موسى ، وبالتالى لا يصح القول بأن خروج اليهود كان فى عهد ابنه الملك (مرنبتاح ـ منفتاح الأول ١٢٢٢ / ١٢١ ق م)

(٤٧) « ايبرو » تحريف من (عبرى)

(٤٨) « بابل المصرية » أى « بابليون » ، وهى مصر القديمة ، فى جنوب القاهرة الآن

(٤٩) « برساتين » لا يوجد مثل هذا الاسم فى البلاد المصرية ، ويبدو أنه محرف عن اسم ناحية « الزيتون » . وهى إلى الشمال الشرقى من القاهرة ، من مدخل مصر الجديدة (هليوبوليس) ، وكأنه أراد أن ينطقها ، (بى زيتون)

(٥٠) « وادى التيه » يعنى به هنا الطريق الصحراوى إلى السويس ، وهو طريق القوافل القديم

(٥١) قوله « على اليسار » يريد يسار الواقف فى « هليوبوليس » متجها بنظره إلى الشمال الطبوغرافى ـ وفى الأصل « على الشمال من مدينة رمسيس »

(٥٢) « مارازيه » كذا فى الأصل ، والأشبه أنه تحريف لاسم ناحية (المطرية) ، من مداخل « هليوبوليس » ايضا

(٥٣) بالأصل « وادى ميلات » ، وهو تحريف عن « الطميلات » .

(٥٤) كذا بالأصل « أم حيدب » . ويبدو أن صحة الاسم (أم حسب)

(٥٥) « مانيس » الاسم اليونانى لمدينة (صان الحجر) . نفرض أنها كانت تنطق فى القديم (صوعن ـ او دوعن)

وقوله « منفردة عن مدينة تانيس . . . » يعنى أنها ليست هذه ، وأن كانا جميعا فى منطقة واحدة

(٥٦) كذا بالأصل (بتانن آمون) ـ ولعله يعنى هيكلا بناه رمسيس الثانى فيها للإله آمون ، فى الجهة الغربية منها

والمراد مما قيل فى ذلك أن رمسيس الثانى أعاد بناء حصن أواريس بعد طرد الهكسوس وجعل منه مدينة حصينة ، وبنى فيها هيكلا للإله أمون ، وسماها باسم (بى رعمسيس)

(٥٧) فى الأصل « تانيس الأكبر » وهذا يعنى مدينة (صان الحجر) القديمة ، ومتى كان كذلك ، فإن سياق القول لا يستقيم مع ما تقدم ، ويبدو هنالك خلط فى القول ، واللائق بالمعنى أن التى بناها رمسيس الثانى سماها (تانيس الكبيرة) ولكنها ليست هى صان الحجر بعينها .

(٥٨) « ذوان » هى صوعن ـ أو ذوعن ، وكلتاهما لفظ (صان) بالعربية ، هذا مع مراعاة أن اللفظ يطلق على الأرض المحيطة بها أيضا بوجه عام ، ويطلق على المدينة عند التخصيص .

(٥٩) فى الأصل « المزمور الثامن والستين .. » والصحيح ما أثبتناه فى المتن عن التوراة بالعربية ، وهو المزمور الثامن والسبعون ، فى الآيتين (١٢ ، ١٣) ونصهما :

* قدام آبائهم صنع أعجوبة فى أرض مصر ، بلاد صوعن ، شق البحر معبرهم ونصب المياه كسد *

ثم فى الآيتين (٤٢ و ٤٣) ونصهما

* ثم يذكروا يده يوم فداهم من العدو ، حيث جعل فى مصر آياته وعجائبه ، فى بلاد صوعن *

(٦٠) قوله « فى زمن ملوكهم .. » يعنى ، بعد الخروج عندما صارت لهم مملكة ..

(٦١) وذلك الرسم الذى يشير إليه ، إذا كان المراد به (صان الحجر) ، فعلا ، فإن هذه لما كان موقعها على بحر صان فإنها تتصل بهذا المجرى مع بحيرة المنزلة ...

فأما إذا كان يشير إلى موقع (أفاريس) فإن هذه قريبة من شاطىء البحر المتوسط شمالا وتتصل من الجنوب والشرق بالفرع الشرقى للنيل ، المسمى فرع الطينة قديما

(٦٢) « الطريق الكبير » . هو الطريق الساحلى بحذاء البحر المتوسط ، ويبدأ من القنطرة إلى العريش ورفح ، ثم إلى غزة جنوبى فلسطين .

(٦٣) وهذه البئر كانت تسمى أيضا « بئر مجدل » والتسمية فى ذاتها .

(٦٤) إقليم « سوكوت » كان يطلق على الجزء الشرقى المتطرف نحو البرية ، ويبدو أنه يراد بهذه التسمية الاقليم الذى يسكنه البدو والرعاة أصحاب الخيام ، ويحيط بمنطقة بحيرة المنزلة ، ثم يتجه شرقا نحو مجدل وبيلوزيوم وقاطيه فى الصحراء

(٦٥) « بيدوم » هى أيضا بيتوم أو (فيتوم) .

(٦٦) « الطريق الفرعونى الكبير » يعنى به الطريق الساحلى العام وكان يسمى أيضا . طريق حورس

(٦٧) « بدو أدوم » . البدو العرب فى جنوب فلسطين والأردن

(٦٨) « منقطا » هو الملك « منفتاح الأول » ، المسمى أيضا (مرنبتاح)

(٦٩) قوله « . في أيام خروج بني إسرائيل في مصر ، إنما هو على زعم أن خروجهم كان في زمن الملك مرنبتاح » في سنة ١٢٢٠ ق م ، والصحيح في الخروج انه كان في عهد الملكة « حتشبسوت » سنة ١٤٦٨ ق م ، وصاحب المحاضرة هنا ، قد اختلط عليه الأمر عندما اعتقد أن (بي رمسيس) التي بناها الملك رمسيس الثاني ، هي إحدى مدينتي المخازن ، اللتين بناهما بنو إسرائيل بالتسخير ، بعد خروج الهكسوس فقرن هذه بمدينة صان الحجر القديمة أو بما يفيد أنها حصن أواريس

(٧٠) تاريخ يوسف الصديق ، أو قصته في مصر ، ليس لها علاقة بتاريخ الخروج ، لأن هذا إنما كان بعد وفاة يوسف بما يقرب من مائة وأربعين سنة ، حيث كانت وفاته بعد طرد الهكسوس بقريب من أربعين سنة

(٧١) « جاسان » يعني الأرض التي عاصمتها صان الحجر الشرقية ، وهي مدينة (تانيس) باليونانية

(٧٢) « الأقليمين » يعني اقليم « سوكوت » المتطرف شرقا ثم اقليم « تانيس » الواقع جنوبي بحيرة المنزلة ، بين بحر صان وبين الفرع الشرقي للنيل

(٧٣) ليس في جغرافية هذه المنطقة لفظ « السهرجية » وإنما هو في الحقيقة منسوب إلى اسم مدينة « صان الحجر » ، غير أن صعوبة النطق به في لهجة غير عربية جعلت حرف « الراء » مقدما على حرف « الجيم » ، كما في قولك الصان حجرية ، متقلب إلى (الصان حرجيه) وبالتخفيف تتحول إلى « السهرجية » ، وبالتالي لا ينطبق هذا على الاقليم العربي الجنوبي ، الذي عاصمته « فقوسة » إلا إذا كان هذا ضمن ذاك منذ أول الأمر

(٧٤) لفظ « فقوسة » أو فاقوسا ، القديمة يختلف عن لفظ « فاقوس » التي هي أحد مراكز محافظة الشرقية الآن

فإن « فقوسة – Phaqusa » عاصمة إقليم (عربيا Arobia) باليونانية ، هي التي تعرف في الآثار باسم (سيدت) نسبة إلى نجم الشعرى اليمانية ، وأطلالها إلى الشمال من قرية « صفد الحنة » ، فيما بين الرقاريق وأبوحماد ، وتوجد في الخرائط الطبوغرافية بمثل هذه التسمية باللاتينية (Phacusa فاقوسا) .

فأما « فاقوس » المركز ، ويبدو أن التسمية محدثة عن تلك باسم (فاقوس Phaeus » فهي التي بين أبوكبير والصالحية ..

(١) لفظ (ذوان) هو فيما نرى ، تحريف أو استعمال لفظي آخر بدلا عن (صوعن)

فأما (جيذم ، وجيذان ، وجوديم) ، فجميع هذه يراد بها لفظ (جاسان) ، بمعنى أرض (صان) ، وواضح أن لفظ (صان) هنا تحريف أو تخفيف للاسم (صوعن) أو (ذوان) .

(٧٤) « جوذيم » لفظ يبدو أنه محرف عن « جاسان » ، ونهايته بحرف « الميم » جائز في اللغات السامية القديمة بدلاً من « النون » .

(٧٥) « جيذن » وهذا اللفظ هو أيضاً بعينه « جيذم » ، وكلاهما كذلك · (جوذيم) ، وجميع هذه تجزح بالتحريف عن النطق بسامم) (جاسان) ، ونحن هنا لا نرى بادرة اتصال تؤدي إلى التحريف بين « فاقوس » وبين النطق بلفظ (جاسان)

(٧٨) لفظ (فا) ، يبدو أن الأصل فيه (بي) بمعنى ناحية أو قرية ، غير أنه يصح النطق به بلفظ (في) كما في (بي أتوم) فتنطق أيضا · (فيتوم ، أو بيتوم) ، وكلاهما اسم واحد ..

فأما مدينة « الفيوم » فالأصل فيها (بى يوم) ، فتنقل أيضا إلى (قيوم) وتنطق بالعربية (فيوم) ، وأسماء الأعلام بالعربية (بيومى) يبدو أنها نسبة إلى (الفيوم)

(٧٩) قد يتعذر الأخذ بلفظ (فاجوذيم) على أنه « فاقوسة » أو فاقوس ، لأن (حوديم ، وجيذن ، وجودين) جميعا ، يراد بها أصلا لفظ (جاسان) بمعنى أرض صان ، ولا معنى للاضافة هنا ابتداء بلفظ (فا)

(٨٠) ونص التوراة ، عن الترجمة العربية ، سفر التكوين ـ صح/ ٤٧

❋ فكلم فرعون يوسف قائلا أبوك وإخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر قدامك ، فى أفضل الأرض أسكن أباك واخوتك ، ليسكنوا فى أرض جاسان ، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواش على التى لى ❋

وأرض جاسان ، هى أيضا أرض رعمسيس ، لأنه فى موضع آخر منه قال

❋ فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكا فى أرض مصر ، فى أفضل الأرض ، فى أرض رعمسيس ، كما أمر فرعون ❋

(٨١) « جوذين » هى التى فى نص التوراة آنفا ، باسم أرض « جاسان » ، ومن هنا يتبين أن القول عن « فاقوس » بأن الأصل فيها « جوذيم » ، ثم تقدمها ابتداء لفظ (فا) ، ليس بصحيح

(٨٢) السلالات المصرية الخالصة ، هم سكان الوجه القبلى ، وبلاد النوبة ، وأهل منطقة قفط وادفو خاصة ، فأما سكان الوجه البحرى فأكثرهم خليط من الليبيين واليونان فى شمال وغرب الدلتا ، فأما شرقى الدلتا فهم من المبدأ بدو آدوم وفلسطين ، وبعض العماليق الذين آثروا حياة المدن بدلا عن الخيام فى البرارى

(٨٣) وأكثر هؤلاء هم سكان دمياط والمنزلة والمطرية ، ويحتمل أن يكون معظمهم من الجاليات الساحلية فى سوريا ولبنان ، ممن هاجروا إلى مصر واحترفوا صيد الأسماك

(٨٤) وأسماء البلاد والحصون وغير ذلك ، مما هو بالعبرية ، فإنه يرجع إلى عهد قديم عندما أقام بنو إسرائيل فى مصر مائتى وعشر سنين ، أكثرها فى عهد الهكسوس ، فضلا عن وجود بعض المقاطع التى تشترك فى أكثر من لغة واحدة

(٨٥) كذا بالأصل « ذوان وتال » ، بفرض أن كليهما (صوعن) التى يقول إنها « رمسيس » التى بناها (رمسيس الثانى) ، والأشبه أنه يريد (صوعن وتاسال)

وفى التاريخ ، فأما « صوعن » فهو مدينة (صان الحجر) ، وأما « تاسال » ، فهى قلعة بناها الملك (أحمس الأول) بدلا عن حصن (أواريس) الذى كان يتحصن فيه الهكسوس ، فلما طردهم هدم الحصن وبنى بدلا عنه قلعة « تاسال » . انظر « العقد الثمين » لأحمد كمال ، مآثر الملك أحمس الأول ـ الأسرة الثامنة عشرة .

(٨٦) « الخالو ـ الخارو » يعنى بدو الشام ، من أهل سوريا ، وقد يقال « شارو »

(٨٧) « الفينيقيون » جنس من سكان فلسطين ممن كانوا يقطنون المدن الساحلية ، وهم بطن من الكنعانيين ، البدو يرفضون الخضوع تحت حكم الأمم القوية التى توالت على فلسطين ، فلما يئسوا اضطروا إلى الانسحاب شمالا إلى ساحل لبنان ومن مدنهم صور وصيدا وبيروت وطرابلس .

(٨٨) « بيمائية » هذا اللفظ يبدو أنه غير عربى تماما ، وأنه نطق كذلك ، على أنه صفة قوم

غير معروفين الهوية يحترفون الارتزاق مما فى الماء من البحيرات التى فى شمال الدلتا ، وقد يريد بذلك أنهم صيادو الأسماك

(٨٩) كذا فى الأصل « بارتمورية » ، ولسنا من هذه التسمية على ثقة ، وربما كان يعنى لفظ (بارتينية Parthenie) ، صفة لقوم غير معروف أصلهم ولهجتهم

« والبرطمة » فى العامية المصرية هى اللهجة التى يتعذر تمييز مقاطعها المصوتة ، كالرطانة

(٩٠) قوله « التى كان ينتظر فيها الاسرائيليون . » ، يعنى ، مدينة (صان الحجر) ، وهى التى يقول إنها المدينة التى بناها ، أو أعاد بناءها (رمسيس الثانى) .

(٩١) والتوراة لم تذكر بالاسم أحدا من الملوك الفراعنة فى قصة بنى إسرائيل ، غير أن الذى يؤكد أنهم خرجوا قبل عهد (منفتاح الأول) بقريب من مأتين وخمسين سنة ، أن ما بين الخروج إلى السنة الرابعة من حكم الملك « سليمان بن داود » ، خمسمائة سنة تماما

(٩٢) قوله « وانضم إليهم جمع غفير . » ، إن كان صحيحا ، فإن هذه الزيادة لم تدخل فى جملة العدد ، الذى ذكر فى الخروج ، لأنه كان عدا فعليا ، لبنى إسرائيل بحسب اسباطهم ـ انظر (سفر العدد) من التوراة

(٩٣) « الطريق الكبير الفرعونى » هو الطريق الحربى الساحلى ، الذى كانت تسلكه الجيوش ، من مصر إلى فلسطين وما وراءها

(١٩٤) « إيزام » ، كذا بالأصل ، وفى التوراة (إيتام) ، وهذه هى أيضا (بيتوم)

(٩٥) بالأصل « فى اليوم التاسع عشر من شهر ابيعى ... » يعنى شهر ابريل

(٩٦) « خاطوم » يبدو أنها (اشتوم) ، وهى لفظ اصطلاحى مصرى ، يعنى مصب النهر ، ولعل المراد حصن « أواريس » الذى فر منه الهكسوس إلى فلسطين ، وكان منسوبا فى التسمية إلى أشتوم فرع الطينة .

(٩٧) « سيتى منفتاح » هو سيتى الثانى ، ثانى ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، ويلقب (منفتاح)

(٩٨) « سيزوستريس » لفظ يونانى ، كان يطلق على الفراعنة العظام ، مثل (سيتى الأول ، ورمسيس الثانى ، وتحتمس الثالث) ..

(٩٩) ونص هذا القول فى التوراة ـ (سفر الخروج ـ صح/ ١٤)

* وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الجيروث ، بين مجدل والبحر ، أمام بعل صفون ، مقابلة تنزلون عند البحر ، فيقول فرعون عن بنى إسرائيل هم مرتبكون فى الأرض ، قد استغلق عليهم القفر . . *

(١٠٠) كذا فى الأصل « بيهاخيروت » ، والمراد « فم الحيروث » ـ وهذه محرفة عن المصرية « حات وارت » ، وهى قلعة أواريس ، والمعنى (أمام مدخل أواريس عند البحر ، تنزلون . » .

(١٠١) فى الأصل (بآل ذيفون) ، وهذه بها أيضا بعض التحريف والمراد بها (بعل صوعن) أى تجاه معبد الإله فى (صوعن) ، وهى صان الحجر

(١٠٢) « إيزام » . يعنى ايتام ، أو فيثام ، أو بيتام

(١٠٣) بالأصل « الحيتيين » ـ بالكسر ، والأصح الحتيين ، من جنس ترك الأناضول ، الذين غزو سوريا وفلسطين ، وهم أصحاب المعاهدة التى تمت مع الملك رمسيس الثانى ، فأما لفظ الحيتيين فهم بنو (حثا) الكنعانى الأصل ، وليس لهؤلاء شأن فى المعاهدة

(١٠٤) « سيل » يبدو أنها (تاسال) التى ذكرت قبلا ، وهى القلعة التى بناها أحمس الأول بعد خروج الهكسوس ، بدلا عن « أواريس » التى كان قد أمر بهدمها ، وتعرف أيضا فى الآثار باسم (زالو)

فأما قوله « بين بليز وسيل » يعنى فيما بين قلعة « بليزيوم » وهى « أواريس » أيضا ، وبين « زالو »

(١٠٥) « سربونيس » بحيرة المنزلة

(١٠٦) « جبل كاديوس » يبدو أنه يريد كثيب بئر قاطية ، إلى الشرق من الفرما Pelusium

(١٠٧) « أرتتكركسيس » الملك « ارتخشاشا » الفارسى (٤٦٥ / ٤٢٥) ق م سادس ملوك الأسرة السابعة والعشرين الفارسية والكلام لا يزال عن بروكش الالمانى صاحب المحاضرة .

(١٠٨) « صحراء شور » هى برية شور ، المحصورة بين الطريق الساحلى إلى غزة وبين الطريق الصحراوى إلى فلسطين وسوريا ، فى المنطقة الواقعة إلى الشرق من بحيرة المنزلة

(١٠٩) « مارا » ، فيما نرى أنها ليست البحيرة المرة ، وإنما المراد بها « بئر مر » ، إلى الشمال من عيون موسى ، وتقع فى سطح جبل مر (انظر خرائط الحملة الفرنسية)

(١١٠) « اليم » ، فى التوراة « ايليم » ، وهى عيون موسى على خليج السويس ، فى الشاطىء الشرقى ، قرب « الكورنتينة » نحو الجنوب الشرقى ، وقد كانت قديما عدة آبار على الروابى يحيط بها النخيل

(١١١) « الجريدة » يعنى بها النخلة ـ (انظر المراحل التى ساح فيها بنو اسرائيل) المرحلة الأولى والثانية ، وما يليهما .

(١١٢) قوله إن صحراء شور هى المحصورة بين البحر المتوسط وخليج السويس ، ليس صحيحا تماما ، لأن برية سينا هى التى تصل إلى خليج السويس ، فأما برية سور ، فإنما تنتهى إلى طريق القوافل القديم الممتد من الاسماعيلية عبر سينا ، ولا تتجاوز شرقا الطاسة وبئر قاطية ، يليها سهل العريش

(١١٣) قوله « هى البركة المرة ، قد يكون غير صحيح أيضا ، لأن هذه لم تكن على الخرائط الطبوغرافية فى ذلك الحين ، وإنما كانت توجد بحيرة التمساح والمراد باسم « ماء مارة » هو البئر المسماة كذلك فى سفح جبل مر ، شمالى عيون موسى إلى الشرق بمقدار ١٠,٠٠ كيلومترات تقريبا ، وبوجه آخر لا يصلح مثل البحيرة فى أن تحلى مياهها بإلقاء أغصان من الشجر فيها تمتص ملوحتها ، كما فعل النبى موسى

(١١٤) وفى التوراة سفر الملوك الأول ، صح/٦ ـ قوله

* وكان فى سنه الأربع مائة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر ، فى السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل ، فى شهر زيو ، وهو الشهر الثانى ، أنه بنى البيت للرب *

فهرس

رقم الايداع ٩٤٩٦ ـ ١٩٩٠
I . S . B . N .
977 - 07 - 0052 - 5